University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

البنية السَّردية في شعر علي الفزاني

د. علي عياد محمد صالح

(أستاذ الأدب العربي بقسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم المرج / جامعة بنغازي)

توطئة

ظهر اعتماد الشاعر الليبي علي الفزاني [1](1936 – 2000 م) على كثير من التقنيات الشعرية في سرده القصصي عبر مراحله الإبداعية المختلفة، وقد تميزت أعماله الفنية بتغلغل تقنيات الفن الشعري في بنية نصوصها السردية، سواء في اللغة أو الإيقاع الموسيقي أو بناء الصور البلاغية أو التأملات الذاتية وغيرها.

ومن هنا يحاول هذا البحث دراسة الوظائف البنائية لاستعارة مثل هذه التقنيات الشعرية في السرد القصصي في شعره من خلال تحليل نماذج من النصوص السردية المبينة لذلك، وبيان مدى إفادتها للعالم القصصي والبناء الفني لأعمال هذا الشاعر.

وقد جاء هذا البحث في أربعة محاور، يقدم الأول مدخلاً لمعرفة تقنية السرد القصصي ، ويتناول الثاني بنية الحدث كونه يحمل سمة وظيفية تتجلى في أدائه دورًا مهمًا في اتجاه النص إلى الأمام ، أضف إلى ذلك أنه يسهم في بناء الشخصية من خلال الكشف عن بعض ملامحها الداخلية او الخارجية، فهو يكاد يعطي صورة كاملة عنها، ويناقش المحور الثالث بنية الشخصية من حيث كونها وسيلة فنية وسيطة بين الشاعر والمتلقي، في حين يناقش المحور الأخير بنية الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي باعتباره يقوم بوظيفة الكشف والإبانة عن معاناة الشاعر الشخصية ، ويرسم صورة واضحة المعالم للواقع الذي يعيشه.

وتبدو أهمية هذا البحث في النهاية على الجانبين النقدي والتاريخي معًا؛ إذ أوضح من ناحية مدى التداخل النوعي بين القصة القصيرة والشعر، بوصفهما أكثر الأنواع الأدبية تبادلاً للتأثير والتأثر، وكان ذلك من خلال دراسة الإرهاصات المبكرة في إبداعات واحد من رواد الشعر الليبي والعالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين من ناحية أخرى.

- مدخـــل:

يعرف السرد في الفن الدرامي على أنه: " الطريقة التي يختارها الروائي؛ ليقدم بها الحدث إلى المتلقي، أو هو: " نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية "[2] ، وربما اتسع مفهوم السرد فأطلق على كل الأنواع النثرية التي تتخذ من هيكل الرواية قالباً في بنائها. فالسرد والشعر مظهران من مظاهر الممارسة الابداعية ، وقد تجليا بكيفيات معينة محكومة بمجموعة الأنساق التي تحفل بها آداب الأمم ، إلا أن الحقيقة التاريخية تفصح عن أولوية الشعر في عملية الاهتمام الصادر من النقاد، إذ أخذوا يبحثون في أساليبه وبناه ، وتحديد خصائصه وتقنياته، أما السرد فقد بقي مفتقرا إلى إطار نظري "تنظيري" وفي ذلك دلالة على ظهوره في مرحلة متأخرة ، وقد تموضع هذا المصطلح بكيفيات عدة في منظور النقد الحديث ،" فالسرد narration هي العملية التي يقوم بها السارد أو

[1] - ولد في مدينة صرمان عام 1936 م ، حفظ القرآن الكريم ، وانتقل إلى بنغازي وأكمل دراسته بها ، ثم انتقل إلى الإسكندرية ودرس بجامعتها ، ونال درجة الإجازة العالية في التوعية الصحية عام 1973 م ، نشر نتاجه الأدبي في عدة صحف ومجلات منها : الرقيب ، والحقيقة ، والفصول الأربعة ، وغيرها ، توفي عام 2000 م . ينظر : معجم الشعراء الليبيين ، عبدالله سالم مليطان ، الطبعة الأولى، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني ، طرابلس ، ليبيا ، 2001 م ، ص : 363 .

[2] - الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل ، الطبعة الثالثة .، دار العودة ، بيروت ، 1981 م ، ص : 187 .

"الحاكي" أو الروائي وينتج عنها النص القصصي المشتمل على اللفظ "الخطاب" / القصصي والحكاية"[3]. ويعد السرد فرعا من أصل كبير هو الشعرية ، القائمة على استنباط "القواعد الداخلية للأجناس الأدبية ، واستخراج النظم التي تحكمها وتوجه أبنيتها ، وتحدد خصائصها وسماتها"[4]، وقد تفاوتت آراء المنظرين في هذا الحقل السردي ، في سبكهم للمصطلح الدال على العلم ، الذي يتعاطى مع السرد ، إذ رأى بعضهم أن يطلق عليه مصطلح السردية narratology مؤسسا تصوره بأن المصدر الصناعي في العربية ، يدل على حقيقة الشيء وما يحيط به من الهيئات والأحوال ، كما ينطوي على خاصية التسمية والوصف معا.

فـ "السردية بوصفها مصطلحا ، تحيل على مجموعة الصفات المتعلقة بالسرد ، والأحوال الخاصة به ، والتجليات التي تكوّن عملية مقولاته"[5]، وتبعا لذلك فهو الأكثر دقة في التعبيرعن طبيعة الاتجاه الجديد في البحث ، الذي يجعل مكونات الخطاب السردي وعناصره موضوعا له.

في حين يرى باحث آخر بأن " علم السرد أحد تفريعات البنيوية الشكلانية ، كما تبلورت في دراسات " كلود ليفي شتراوس " ، ثم تنامى هذا الحقل في أعمال دارسين بنيويين آخرين منهم البلغاري " تزفيتان تودورف " ، الذي يعده البعض أول من استعمل مصطلح علم السرد "narratology " والفرنسي الغردا جوليان غريماس ، والأمريكي جيرالد برنس"[6].

ولا يتوقف علم السرد عند النصوص الأدبية التي تقوم على عنصر القصص بمفهومه التقليدي ، وإنما يتعدى ذلك إلى أنواع أخرى تتضمن السرد بأشكاله المختلفة ، مثل الأعمال الفنية من لوحات ، وأفلام سينمائية ، وإيحاءات وصور متحركة ، وكذلك الإعلانات والدعايات وغير ذلك [7]، وقد اشتملت الدراسات التنظيرية في الحقل النقدي على أنواع سردية متعددة، عبر التعاطي مع طبيعة النصوص الأدبية سواء أكانت في الإطار الشعري أم النثري دراسة وتنظيرا ، وهذا ما منح الناقد ذخيرة إجرائية مكنت النقاد من تحديدهم لسرديات الخطاب الوضعي كما حددها بروكي ، وجنيت ... وتودورف"[8]، وقد درج العرف النقدي على التمييز بين الشعر والقصة وعدَّهما نوعين متغايرين، ولعل هذا متأت من الطبيعة اللغوية ، فـ (الشعر ...، يحتكم إلى قانون الانزياح الجمالي المتحقق لغويا بالخروج على الاستخدامات المباشرة والحافلة بالصياغات المجازية، التي تمنحها تفردها وخصوصيتها الأسلوبية ، لغة الصفر من الكتابة [أما] لغة السرد في حدودها النقدية التداولية هي لغة صفرية كما حددها جان كوهين"[9]، ومن هنا "يتميز الشعر من خلال خصائص اللغة وحدَّة الصورة والتكثيف الذي يختلف عن اطراد النثر وتتابع الأفكار في إطار

---

[3] - بنية السرد في القصص الصوفي ، (المكونات والوظائف والتقنيات) دار ناهضة ستار ، ص :85 .
[4] - الشعرية ، تزفيتيان تودوروف ، ترجمة : شكري المبخوت ورجاء سلامة ، الدارالبيضاء ، توبقال ، 1986 م ، ص : 23.
[5] - السردية العربية ، (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي) عبد الله إبراهيم ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2005 م ، ص : 8.
[6] - دليل الناقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ، ميجان الرويلي ، سعد البازعي ، الناشر ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000 م ، ص : 103.
[7] - المصدر نفسه ، ص : 104.
[8] - مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية ، دراسة شارف مزاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001 م ، ص : 15.
[9] - المفكرة النقدية ، بشرى موسى صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، بغداد ، 2008 م ، ص : 202 .

فكرة محددة تعرض بالأسلوب الوصفي التقريري"[10]، وهذا يؤكد أن القصة فن نثري حاضن لقيم إبداعية، وأن هذه القيم متأتية وكامنة في بنية الحكاية ، فقد انفتح النص الحداثي في بنيته الأسلوبية على تبنيه لممارسات حداثية ، تميل إلى التضايف مع أجناس أدبية ، إذ اشتغل هذا النص على رؤى مرتكزة على عملية الاستمداد والاستعارة ، والتناص مع الفنون الأخرى ، عملت على استثمارها لإمكانات السرد وطاقاتها وتقاناتها وآلياتها بحرية ، هذه العملية "أثرت كثيرا التجربة الشعرية العربية الحديثة ، وأغنتها ، إذ أفاد الشعراء في هذا السياق من المنجزات النظرية الحديثة التي كشفتها نظريات السرد ، وأخذوا ينظرون إلى القصيدة ، وكأنها حاضنة فنية إبداعية عميقة وواسعة ، يمكن احتواء الفنون الأخرى على النحو الذي يناسب تجربة كل قصيدة ووعي وحساسية كل شاعر" [11]، فمن خلال تفاعل النص الشعري مع الأجناس الأدبية الأخرى، فقد نتج عن هذا التفاعل تعددٌ في البنية النصية، ووصولٌ إلى لذة القراءة المتحققة عند المتلقي ...، إذ شرعت التقنيات السردية تمارس حضورها وفاعليتها المتأتية من حراكها في بنية النص ، فهذه التقنيات قد "تماهت مع الشعر في بذوره الجنينية، مؤكدا طبيعة الإنسان ، ورغبته في الحكي والسرد".[12]

إن هذا التداخل بين الأجناس الأدبية ، هو نتاج لطبيعة النضج الفني للشاعر ، وقدرته على تمثل أدواته ، وتوظيفها بشكل جديد ، مما حتم عليه الاشتغال بمثل هذه التقنية والتوجه نحوها ، فـ " تغلغل السرد في بنية القصيدة الحديثة ، يعد من الأسس الدالة على حداثتها ، وهو ما يؤمن التخلص من دكتاتورية صوت الشاعر ، كما تجده في الشعر الغنائي المحض" [13]، فقد نسفت نزعة الحداثة الحواجز التقليدية بين الأجناس الأدبية ، وما تشتمل عليه من معايير وقواعد صارمة ، "فاذا كان النثري / السرد قد استوعب تقنيات الشعر بوصفه بنية لسانية فاعلة ، فليس هناك ما يمنع الشعري بإيقاعاته ومجازاته من أن يتوسل بتقنيات نثرية (سردية) في بناء شعريته / جمالياته الخاصة ، في الوقت الذي لا يفقد فيه هويته ، حينما يستخدم تقنيات محددة لنوع من أنواع أخرى".[14]

إن التوجه إلى أسلوب السردي القصصي وتوظيفه داخل النص الشعري ليس من منجزات شعراء الحداثة، وإنما هو أسلوب مألوف في التراث الشعري، فالقارئ لنماذج عديدة من الشعر العربي القديم يجد نفسه أمام عشرات من القصائد التي استخدمت الأسلوب القصصي، وتعددت فيها تقنيات الفن الدرامي من: شخصيات، وأحداث ، وأصوات ، وتنامت فيها الأحداث وتصاعدت لتصل إلى نهاية قصصية، وثمة قصائد أخرى اتكأت على الحكاية وقدمت مشاهد قصصية متنوعة مثل: بعض قصائد الشاعر النابغة الذبياني، وطرفة بن العبد، والحطيئة، وغيرهم.

وقد راح هذا الشكل القصصي يتطور في العصرين: الأموي والعباسي، فأفاد الشعراء من الحكاية، واقتربت القصيدة من القصة القصيرة من حيث بناؤها وشخصيتها وحبكتها التي أخذت تتنامى حتى تصل إلى ما يشبه العقدة، ثم تأخذ في الانفراج باتجاه الحلِّ، معتمدة على عنصري

[10] - شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية ، لمحي الدين بن عربي ، تأليف سحر سامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2005 م، ص : 53 .
[11] - فضاء الكون الشعري ، من التشكيل إلى التدليل ، مستويات التجربة الفنية عند محمد مردان ، إعداد وتقديم ومشاركة : محمد صابر عبيد ، دار نينوى للدراسات والنشروالتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ص : 166 .
[12] - آليات السرد فـــي الشعر العربي المعاصـــر ، عبد الناصر هلال ، مركز الحضارة العربية ، الطبعة الأولى ، 2006 م ، ص :10 .
[13] - الحداثة في شعر البريكان ، فهد محسن فرحان ، مجلة الأقلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العدد : 3 ، 2002 م ، ص : 29.
[14] - آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، ص : 32 .

التشويق والإثارة، واعتمدت قصائد أخرى في بنائها على الحوار والسرد، وظهر ذلك في بعض قصائد الشاعر عمر بن أبي ربيعة والبحتري وغيرهما.

ومن يتابع ما أبدعه الشعراء في العصر الحديث من أمثال: أحمد شوقي وخليل مطران وإيليا أبي ماضي وغيرهم، يجد عدداً غير قليل من القصائد العربية اتكأ فيها مبدعوها على استخدام أسلوب السرد القصصي بعناصره المتنوعة، وأنماطه المتعددة ، والمتأمل في تلك القصائد، يجد أن طرائقَ صوغها السردي لمواد حكاياتها الخام - على الرغم من ذوبان كثير منها بشكل جوهري في بنية الشعر - ظلّت بسيطة، وبالأخص فيما يتعلّق ببناء الزمن والشخصيّات، وأنماط السرد ومظاهره، فضلاً عن ميل الشعراء لاستخدام أساليب السرد التقليدية التي يغلب عليها الوصف الخارجي والمباشرة ، والوقوف عند تسجيل الوقائع ووصف الأحداث، بخلاف أسلوب السرد القصصي الذي توافر لدى شعراء الحداثة، الذين أفادوا من المنجزات الروائية الحديثة بشكل يخدم القصيدة الشعرية، وينهض بمستوياتها الفنية ومقوماتها التعبيرية، وعمل أولئك الشعراء على النهوض بالقصيدة، وتجنيبها الغنائية، وإكسابها أبعاداً موضوعية تفسح المجال أمامهم للتعبير عن رؤيتهم الإنسانية بصورة ناضجة تتسم بالدقة والعمق، وأصبح البناء القصصي في ظل القصيدة الحداثية أكثر نضجاً ووضوحا مما كانت عليه القصيدة الموروثة .

ومما شك فيه أن الشاعر العربي الحديث يسعى من وراء استخدام عناصر السرد القصصي وتقنياته في خطابه الشعري إلى تحقيق وظائف فنية عدة منها: إزالة الحواجز بين الأجناس الأدبية والفنون المجاورة؛ الأمر الذي يبرز التمازج والتعانق بين الشعر الغنائي التأملي والشعر السردي الموضوعي في إطار نظرية (الفن الشامل) التي ترى وفق ما ذهب إليه "كلينث بروكس": " أن كل قصيدة هي (دراما صغيرة) لأنها تقوم على صوت يحاور نفسه أو (أنا) تحاور العالم في حوارها مع نفسها "[15].

إن الفهم الدقيق لوظيفة السرد ودوره في بناء القصيدة، وإدراك سمات السيرة الشعرية وخصائصها الفنية، يمكّن للباحث أن يتخذ من البنية السردية مدخلاً لقراءة شعر علي الفزاني ومقاربته من خلال منهج تحليلي، يقترب فيه الدارس من رصد العناصر السردية في النصوص الشعرية وبنيتها وتقاطعاتها، ومعالجتها معالجة تحليلية تكشف عن خصائصها الأسلوبية، وسماتها الفنية ؛ لأن منهج تحليل النصوص الأدبية " يأخذ في الاعتبار محاولة استقصاء الجوانب التي يمكن أن تؤثر في فن الشعر على مستوى الصياغة الجمالية والمحتوى معاً "[16]، إلى جانب الكشف عن التقنيات السردية التي استعان بها الشاعر في نسج خيوط هذه البنية مثل: الاستهلال الزماني والمكاني، والخاتمة السردية، وضمائر السرد ومفرداته، وطاقه التناص وكيفيته، والوصف وأسلوب القطع المشهدي والمفارقة والتكرار والاسترجاع التذكاري وغيرها، والعناصر السردية الأساسية التي سيتم مقاربتها في النصوص الشعرية المختارة ، وهي: الحدث والشخصيات والمكان والحوار؛ لكونها تجلت أكثر من غيرها في هذه المجموعة.

---

[15] - مجلة فصول ، جابر عصفور ،.القاهرة ، العدد : 15 ، 1996 م ، ص : 5 .
[16] - القصيدة الأموية رؤية تحليلية ، عبد الله التطاوي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، 1984م ، ص : أ .

وثمة عدة دراسات في مجال هذا البحث ، منها دراسة بعنوان:"البنية السردية في الرواية السعودية / دراسة فنية لنماذج من الرواية السعودية " للدكتورة : نوره المرِّي ، حيث تناولت الباحثة في هذه الدراسة تقنيات الخطاب السردي وآلياته ، وكذا أدبية النص السردي .

كما تناولت الدراسة مفهوم البنية السردية ومكوناتها ، وعرضت نماذج للراوية السعودية تبعا لمراحل تطورها وموضوعاتها المختلفة .

وخلصت الباحثة إلى أن هناك بنيات سردية جديدة تولد مع نهاية كل مرحلة من مراحل تطور الرواية السعودية ، كما أن هناك مجموعة من الروايات السعودية اعتمدت على عنصر الزمن الأمر الذي أسهم في ظهور روايات اعتمدت على السرد الاسترجاعي ، وأخرى على السرد التصاعدي .

ودراسة أخرى بعنوان:" الشعر الحديث يستعيرُ تقنيات السرد " للدكتور ثائر زين الدين، مهد لها بمقدمة نظرية قارب فيها العلاقة التى تربط بين النص الشعري والقصة، وأشار إلى ظاهرة تداخل الأجناس الأدبية، وعرج على بعض الدراسات النقدية العربية التي عالجت البني السردية في الشعر العربي القديم والحديث على حد سواء، وعمد الباحث فيما بعد إلى دراسة قصائد للشاعر محمود درويش توافرت فيهما عناصر السرد القصصي وتقتنياته بصورة جلية.

- بنية الحدث:

يعد الحدث عنصرا مهما من عناصر البنية السردية، ويعني الفعل، والمقصود به: "أي شيء يدفع مجرى القصة إلى الأمام تجاه ذروة وخاتمة، والفعل قد يكون فكرة، أو حديث، أو حركة جسمانية"[17] . فالحدث " مجموع الأعمال أو الحوادث التي تأتي وفق طبائع الأشخاص".[18]

والحدث يعكس صورة متكاملة للشخصية من خلال الكشف عن بعض ملامحها الداخلية والخارجية. كما نجد أن هناك علاقة وطيدة بين الحدث والحوار تتمثل في أن الأخير تنتجه الشخصية ويلعب دوراً بارزاً في الكشف عن كنه الصراع بين الشخصيات المختلفة في العمل الدرامي ، الأمر الذي هيأ له أن يسهم بشكل واضح في بناء الحدث والشخصية معاً . وهذا الحوار الدرامي هو الذي يكشف عن الأحداث التالية والمقبلة في العمل الدرامي كما يكشف عن الشخصيات ومراحل تطورها.

يقول " لاجوس إيجري " مبيناً أهمية الحوار في بنية الحدث: " والحوار يكشف عن الأحداث المقبلة".[19]

---

[17] - الدراما بين النظرية والتطبيق، حسين رامز محمد رضا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ، بيروت- لبنان ، 1972م ، ص: 425 .

[18] - نظرية الأنواع الأدبية، م. لا. بي. جي. فينسينت، ترجمة: حسن عون، منشأة المعارف ،الاسكندرية ،1977م ، ص : 171 .

[19] - فن كتابة المسرحية ، لاجوس إيجري ، ترجمة : دريني خشبة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1956 م . ص : 411 و ما بعدها .

والأحداث قد تتعدد في العمل الفني وتتشعب ، فيعمد المؤلف إلى إيجاد آلية معينة لترتيبها وتنسيقها ، هذه الآلية هي الحبكة التي ينتظم فيها العمل الدرامي ليصبح كائناً واحداً قائماً بذاته ، فهي – إذاً - أشبه بعملية هندسية لربط أجزاء هذا العمل بعضها ببعض ، فالحبكة خطة الحدث " التي يمكن عن طريقها للشخصيات وغير ذلك من العناصر المكونة للدراما أن تكشف نفسها".[20]

وتبعاً لذلك يمكننا القول بأن الفعل حدث والحدث الدرامي هو: الحركة الداخلية لما يقع في ذهن المتلقي من أحداث تامة تحتوي على فكرة كاملة لا يحتمل لها إلا نهاية واحدة ؛ لأن المنطق الفني هو الذي يحكم هذه الأحداث في وجود عنصر السببية بعكس الحدث في الحياة فإنه يحتمل له أكثر من نهاية.

لقد استطاع شاعرنا أن يوظف تقنية الحدث كأساس اعتمد عليه في إيضاح معنيً ، ونقل شعور، وإثارة الانتباه لانطباع داخلي في نفسه وإيصال تأثيره إلى المتلقي . وعلى وفق هذا النهج الفني وظّف الحدث ؛ لتأتى أعماله الشعرية غنية بالعناصر السردية التي تجلت بوضوح في عدد من الأحداث وتناميها والصراع فيها، وقد شكلت تلك الأحداث النواة المحورية لتلك الأعمال ، ويجدها المتلقي متشظية في ثنايا مجموعته الشعرية.

يقول الشاعر "علي الفزاني " [21]:

مطارد محاصر إلى غد .. إلى الممات
مصفد ولات من قيوده انفلات
الصمت قيد
والبوح قيد
والنار في القرار تأكل المزيد في القرار
لن ينتهي نضاله ، وفي الضلوع ومضة الشرار
لن ينتهي !
صديقتي
لأن شاعراً يراعه يقدِّس الفِكر
مطارد ، محاصر إلى مدى القدر

ففي هذه القصيدة أطلَّ الشاعر على المكان الواحد، في أزمنة متعدّدة ومتعاقبة، فرأى من مكانه كل ما مَرّ على بلاده من احتلال إيطاليا ، إلى تحولها مسرحا للحرب العالمية الثانية ، وما صاحب تلك الحرب من دمار وخراب للأرض والمواطن في ليبيا وغيرها من بلاد الوطن العربي ،

[20] - المدخل إلى الفنون المسرحية ، فرانك . م . هواتينج ، ترجمة : كامل يوسف وآخرون ، دار المعرفة، القاهرة ، 1970 م. ص : 177 .

[21] - الأعمال الشعرية الكاملة ، المجموعة الأولى ، علي عبد السلام الفزاني، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، مطابع دار الحقيقة، بنغازي ، 1975 م . ص : 157.

وتقسيمه وتمزيقه من قبل المحتل الغربي، الأمر الذي دفعه إلى البحث عن النور والحرية والترحال؛ لأنه صار مطاردا محاصرا كئيبا حزينا ، أينما حلّ وارتحل فشبح الرعب والقتل والنفي والضياع يطارده وحاول أن يستشرف المستقبل، فـ " الشاعر في هذه السيرة يعيد تأليف ماضيه، وهو ماض له خصوصيته؛ لأنه يمتد في الحاضر ويتجذر فيه".[22]

وفي مشهد سردي آخر نجد أن الشاعر يعمد إلى اختيار أحداث درامية ذات دلالات عميقة ليختصر من خلالها المسافات والأزمنة وصولاً إلى التأثير المرجو في أعماق المتلقي عن طريق تقنية فنية تمثلت في جودة اختيار القافية وإتقانها دون الوقوع في غيابات القوافي الاضطرارية ، وكذلك انعدام الحشو الزائد ، والمزج بين الحقيقي والمزاجي ، وكذا بين الواقعي البسيط والاستعاري ، يقول الشاعر:[23]

هُوَ ذا الشَّارعُ الخلفيُّ وأنت – وأزمنة السَّبي

الطويلِ تعود

هو ذا – الْعُرْيُ ، والقدمُ الحافي ، والقططُ الجَوْعَى

وطفلٌ يبحث في القمامةِ عن فتاتِ رغِيف

كأنَّ – صورةً في المرايا تُرْجِعُ صوت أمس

وللأمسِ القصيِّ في حناياك نطفةُ الرجْعِ البعِيد

فالحكاية السردية في هذه الأبيات تتلخص في فقد الآمال وانعدامها من حياته الكئيبة ، حياة الفقر والبؤس والشقاء ، وقد عبر عنها الشاعر معتمداً على بعض الصور الجزئية (الْعُرْيُ ، القدم الحافي، طفل يبحث في القمامة ، فتات رغيف) وتوالي هذه الصور في البنية السردية يضفي على الحدث دلالات متزايدة من اليأس، وإيحاءات متعددة من انعدام أي شعور بالتفاؤل، فالشاعر في هذا المقطع يبتعد عن المباشرة ويلتزم تقنية الإيحاء.

إن كلمة الشاعر الليبي المعاصر سبرت أغوار الحاضر المرير، فصنعت من صمته أحداثاً سردية دامية نسجت من خلالها خيوط الوعي والانتباه لما يدبره الأعداء، ورسمت طريق المستقبل بالاعتماد على الصمود والثقة في النصر، فشاعرنا الرافض لكل أشكال الاستعباد والتميز العنصري؛ لعلمه يقيناً أن الشعراء الصادقين "يظلون يقرعون الأجراس، ويصرخون بملء الفم، حتي ينقذوا السفينة أو يغرقوا معها"،[24] اعتمد على تقنية الحدث المركب في بناء عمل سردي يرتكز على أحداث متفرعة عن حدث رئيسي تمثَّل في خلاص الوطن وتحرره من قبضة المارد الأبيض ، يقول في قصيدته "العقم والأصداء":[25]

من ألف عام يا أخي وقبضة الصدى تدق

---

[22] - تجليات الشعرية (قراءة في الشعر المعاصر) فوزي عيسى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1997 م ، ص : 12 .
[23] - ديوان طائر الأبعاد الميتة ، علي عبد السلام الفزاني ، الطبعة الأولى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 1995 م . ص : 29 .
[24] - الأعمال الكاملة (حياتي في الشعر) صلاح عبدالصبور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993 م ، ص : 75.
[25] - الأعمال الشعرية الكاملة ، علي الفزاني ، ص : 221 .

أبواب قلعة الزمان
وتلعق الخُواء والفراغ والقلق
من صمتنا المكفَّن المحنَّط الوديع
وكنت كاذباً على الأطلال أهرق الدموع
وأنثني مع الفصول أغمز الربيع
بلفظة مشلولة الحروف والمِداد
بهمسةٍ تدثَّرت بالزيف والحداد
وعندما أتى الشتاء بتُّ في الصَّقيع
غرقت في مستنقع الصديد والنجيع
* * *
الساعة الحمقاء في الميدان تعلن
(القرن مرَّ سيدي ، لمن تدندن ؟)
الكأس ، جفَّ في يديَّ .. آه
كلّ الذي بقي من بسمتي على الأفواه
الجوع أو أحزاننا الكئيبة الشِّفاه
* * *
موصدة أبوابها يا أيها المساء
" لمن تدقُّ هذه الأجراس والأصداء
لمن تذلُّ هذه الرقاب والجباه
للريح ، للفراغ ، للضياع ، والخُواء

تداخلت في هذا المقطع اللغة المبنية على فنية الكثافة الشعرية وصفاء اللغة المباشرة، اللغة التي تقترب من لغة الحديث اليومي المتمثلة في قول الشاعر (بتّ في الصقيع ، جفّ في يديّ ، أحزاننا الكئيبة) وهذا التضافر بين اللغتين يقوي بلا شك من العنصر السردي في النص، ويزيده درامية.

من يتابع المشاهد التي رسمها الشاعر، يجد أن كاميرا السرد في القصيدة جمعت عدداً من الصور الاستعارية عن طريق تحويل المجرد إلى محسوس ، منها قوله (قبضة الصدى تدق أبواب قلعة الزمان، وتلعق الخواء والفراغ والقلق، من صمتنا المكفن المحنط) الأمر الذي أكسب البنية السردية نوعا من الغموض، وحقق الشاعر البناء السردي الدرامي المتكامل الذي شمل النص، ومثل

هذه التقنية تخلع على الذات الشاعرة نوعا من التوتر الأخَّاذ ، الذي يمنحه القدرة على استخدام اللغة، وبناء العبارة الشعرية، في إيقاع يتراوح بين الحدة والهدوء، ولكن قلَّ أن يرتفع إلى درجة الصخب.[26]

ومن الأحداث التي شغلت حيزاً مهماً في ديوانه مشهد ضياع المجد العربي في العصر الحاضر الذي عبر عنه في قصيدته "الطوفان آت"، حيث يقول:[27]

رُبَّمَا فَاطِمَةُ قد حسبتنِي جِئْتُ أَبغِي لحظةً حمراءَ، فرَّتْ
حِينَ وَافيتُ الْمَحَطَّه
أَوْقفتنِي شرطةُ الجسرِ وَقَالُوا أينَ تَمْضِي ؟ ، كَان
عِندِي بعضُ صفحاتِ بِطَاقَه
قَرَءُوهَا نَوْرَس الصَّحْرَاءِ هَذَا مَا الَّذِي أَلْقَاكَ آهٍ
أَصْدِقَائِي، طَالَ بَحْثِي فِي عُيونِ الْجِيلِ جرياً ، طَالَ بَحْثِي
مُدنٌ تَلفظُ قلبِي وَشَوَارِع ،
فَافْهَمُونِي إنَّها فاطمةُ السمراءُ ضاعتْ ، حَمَلُوهَا ، وَقَعَتْ فِي الْفَخِّ لَيْلا
قُلْتُ : مَاذَا ؟ رُبَّمَا صَارَتْ بِبيرُوتَ عَرُوسا
رُبَّمَا النخّاسُ أَغْرَاهَا بِقصرٍ، فَاشْتَرَاهَا بِنقُودِ النَّفطِ "وَعَل"
أَصْدِقائِي كنتُ رَقْماً فِي دُنَا بيروتَ أَمْشِي
وَالْمَخَانِيثُ وَرَائِي
شارعُ الحمراءِ خلفِي ودمُ "غَسَّانَ" عَلَى أرصفةِ الْأَسْواقِ بَاق
مَنْ يُغَنِّي لِخِيامِ الفقراءِ لَحْناً دَمَوِيّا
مَنْ يُغَنِّي؟ مَنْ يُغَنِّي؟ كنتُ أَدْرِي أُمُّ قِنديل كِتَاب
بُحَّ صَوْتِي لَمْ تُجِبْ قَحْطَانُ آهٍ احْمِلِينِي مِنْ مَطَارٍ لِمَطَار
أَلْفَ جِيلٍ، قَدْ فَقَدْنَا، وَشَنَقْنَا، فِي ذرا بَغْدَاد قَسرا ،

تتكئ بنية السرد في القصيدة على تقنية التلميح والإيحاء بعيدا عن التقريرية والمباشرة والشروح المسهبة ، كما أنها تعتمد على الرمز في سياق النص الشعري ، فتتخذ منه طاقة تعبيرية تؤدي دورا فاعلا في بنية القصيدة.[28]

---

[26] - ينظر : حصاد السندباد ، عبدالقادر القط ، جريدة الحقيقة ، العدد : 1090 ، مارس / 1969 م.
[27] - ديوان الطوفان آت ، علي عبد السلام الفزاني ، الطبعة الأولى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ليبيا، 1977م ، ص : 14 وما بعدها .

فمن خلال الحوار السابق وتعدد الأصوات تبرز الألفاظ والمفردات التي تجعل من الحوار في البنية رمزيا: فنورس الصحراء رمز للشعراء ، وفاطمة السمراء رمز للقضية الفلسطينية ، وشارع الحمراء من أكبر شوارع بيروت ، فيه أكبر الملاهي الليلية ، استخدمه الشاعر رمزا للواقع العربي الغارق - إلا قليلا - في اللهو والفساد ، ودم غسان أي قبيلة غسان العربية المعروفة رمز للحالة المتردية للعرب ، فجثث العرب ودماؤهم تغرق الشوارع ، وحاجب الحمراء يرمز به إلى ضياع الأندلس ثم لحقت بها فلسطين.

فالشاعر – إذاً – من خلال هذا الحوار الرمزي وتعدد الأصوات قدّم " صوراً ذات دلالات إيحائية تتجاوز الوصف إلى الرمز"،[29] الأمر الذي دفع مسار الحدث الدرامي داخل الهيكل العام للقصيدة إلى آفاق سردية جديدة ؛ لأن السمة الفنية للحوار مرتبطة بما يبعثه في جسد النص السردي "من علامات الصحة وطاقات النمو ، عبر تحكمها الواعي في بناء الفعل الدرامي".[30]

وجاءت الخاتمة السردية التي تقابل فيها مشهد النهاية مع مشهد البداية كأنها نذير بالمستقبل الفاجع، ونبوءة بالرحيل الجماعي، فقد أنهى الشاعر القصيدة بنفس الصور التي بدأها به؛ ليصنع بذلك دائرة دلالية مغلقة، لا يريد الخروج منها، وهي استمرار التعلق بالوطن المنكوب ومشاركته همومه وآلامه.

إن النص السردي هو النص المستعمل لوصف الأحداث الحقيقية أو الخيالية في نسج منتظم متتال عن طريق التعبير – وبالأخص – الكتابي ، يتميز بالتسلسل الزمني للأحداث، والبنية السردية تضم في هيكل بنائها: المقدمة والموضوع والخاتمة.

وهذا ما أبدعته – أيضاً - ريشة الشاعر الفزاني عندما وصف حكاية "وتشي جيفارا" في مشهد سردي لقصة ذلك الرجل الذي فضّل القتال ومقارعة الجبابرة على السلطان والجاه حتى سقط قتيلاً من أجل مبادئه الإنسانية التي اعتنقها ودافع دونها حتى الموت: الحرية والوطن.

فقد وجد في هذه الحكاية ميداناً فسيحاً لاستيعاب تجربته الشعرية ، فاتخذها "وسيلة يعبر بها عن تجربته ، وعن طريقها يوحي إلينا بهذه التجربة"،[31] يقول الشاعر في قصيدته " موت جيفارا":[32]

بُنْدُقِيَّه

وَحَمَامَه

وَأَخِي المصلوبُ فِي الدغلِ عَلَى غُصْنِ خَمِيلَه

عَارُ هَذَا العصرِ : أن تبكِي ... وَلَكِنْ ...

---

[28] - ينظر : الحوار القصصي ، فاتح عبد السلام ، الطبعة الثالثة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1982 م ، ص: 63 .

[29] - قضايا التشكيل في الشعر الحر في ليبيا ، أطروحة دكتوراه ، ساسي سعيد رمضان جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، 1998 م ، ص : 137 م .

[30] - البنية السردية في الرواية السبعينية وإشكالية توظيف الحوار الفني ، باقر جواد الزجاجي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، العدد : 9 ، نيسان / 2010 م ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة . ص : 78 .

[31] - - دراسات في المسرح والشعر ، محمد مصطفى بدوي ، مكتبة غريب . د . ت . ص : 34 وما بعدها.

[32] - المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة ، على عبد السلام الفزاني ، ص : 125 .

دَاعِرٌ عالمنَا يَا صَاحِبي
وَالضميرُ النسرُ مَقْصوصُ الْجَوَانِح
دَاعِرٌ عَالَمُنَا ، وَالْأرضُ مَلأى بِالْفَضَائِح ! !
بُندقيَّه
وَحَمامَه
وَضَحَايَا الشرفِ أَفواهُ الْمَدَافِع !
تَتَصدى قَلْبكَ الْفِضِّي ... تَضْرب
ثُمَّ (جِيفَارَا) عَلَى السَّفْحِ مُخضب
وَأَنَا أَرثِي ، وَأَكْتُب ..
عبرَ هذَا الشرقِ قطعانَ الْقَصَائِد
وَأَنَا لِلْحَرْبِ عَائِد
أَلْف عَائِد
بِعصايَا ، بِالَّذِي عِندِي
أَنَا لِلْحربِ عَائِد
* * *
كَانَ (جِيفارَا) صَدِيقِي
وَصَدِيقك
وَلَمْ أَرَى عَيْنَيْهِ يَوْمَا
إِنَّمَا كَانَ صَدِيقِي
وَهْوَ أَسْمَر ...
يَتَدَثَّر
بِرِدَاءٍ قُرْمُزِي ... ثُمَّ مَات !!
أَلْفُ آه
فَتَمَهَّل
مَاتَ " جِيفَارا " .. وَلَكِنْ ... لاَ تَعجّل
يُولَدُ الإنسانُ حُراً ثُمَّ يُقْتَل !

غَيْرَ أَنَّ الْحُبَّ أَقْوَى
وَطَرِيقُ الْخَيْرِ أَنْأَى
وَدُرُوبُ الْحُبِّ أَفْضَل

لقد تبنى الشاعر في هذه القصيدة المشهد الحكائي عن بطل من أبطال الحرية الذين سطروا بدمهم أسطورة النضال من أجل حرية الوطن ، ولعل هذا المشهد ارتكز على التقابل بين شخصية البطل الصلب ، والإنسان الطيب صديق البسطاء ، حبيب الأطفال ، القريب من نفوس الفقراء ، يقول عبد الوهاب البياتي : " كنت أعتبرهُ الرمز والأمل الوحيد الباقي لكادحي العالم ومثقفيه المضطهدين والمظلومين ، والذي كنت أعتبره أول بطل نموذجي في جيلنا تخطّى أسوار الحاضر المتعفن وأسوار الإمبريالية العالمية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ... هذا البطل الذي تخطى بنقائه وسموه و ثوريته أبطال سارتر ومالرو وألبيركامي ...".[33]

ومن التقنيات السردية التي عمد الشاعر أيضاً إلى استثمارها تقنية الفراغ الطباعي (...) في المقاطع؛ لما لها من دور مهم في جعل المتلقي يتابع الحدث وتطوره مثل: (تَتَصدى قَلْبكَ الْفِضِّي ... تَضْرب، مَاتَ " جِيفَارا " .. وَلَكِنْ ... لاَ تَعجّل) وهي تقنية تفرض حضورها عند المتلقي الذي يحاول الوصول الى تأويل يشبع الناقص من التعبيرات المسكوت عنها قصدا من المبدع، وعند تحقيق هذه الانسياحات الدلالية لهذه النقط بتعدد تأويلها، تتحقق متعة الالتصاق بين النص ومبدعه من جهة، والنص التأويلي ومبدعه المتلقي من جهة أخرى.[34]

- بنية الشخصية:

لفظة (شخصية) "persona" تعني: "القناع الذي كان الممثل يضعه على وجهه للأداء المسرحي ، وكان هذا القناع يحمل الملامح المميزة للشخصية التي يقوم الممثل بأداء دورها ثم استعملت اللفظة عندهم بمعنى المميزات الشخصية في المظهر والأخلاق واستعملت أيضاً بمعنى شخص".[35]

ويعرفها "وليم أرثر" بأنها "مركب من العادات الذهنية والانفعالية والعصبية"،[36] أما "جوردن إليوت" فيعرفها بأنها "التنظيم الدينامي الذي يكمن بداخل الفرد والذي ينظم كل الأجهزة النفسية والجسمية التي تملي على الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير".[37]

والشخصية في العمل السردي هي تلك الشخصية البارزة المحركة للعمل سواء أكانت تلك الشخصية مسرحية أم روائية أم تاريخية فهي تضفي على العمل الفني الكثير من العلاقات والتحولات والصفات والقيم التي يجسدها الفنان على هيئة قوى تتفاعل دراماياً وصولاً إلى التأثير في الملتقى ونقل رسالته إليه.

---

[33] - تجربتي الشعرية ، عبد الوهاب البياتي ، دار العودة ، بيروت ، 1971 م . 2 : 406 .
[34] - مراوغة اللغة (قراءة في نماذج من ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً" لمحمود درويش) محمد الخلايلة ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عدن ، العدد : 7 / 2004 م ، ص : 35 .
[35] - الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا، مجلة عالم الفكر، العدد: 4، المجلد: 10، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1980 م، ص: 14.
[36] - فن كتابة المسرحية، لاجوس إيجري ، ص: 144
[37] - نقلاً عن: الأبعاد الأساسية للشخصية، أحمد محمد عبد الخالق، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص: 39.

لذا فهي إحدى المكونات الأساسية للحدث، لأنها "تنتج أفعالاً تترابط فيما بينها بعلاقات سببية أو زمانية" [38] ؛ فالأحداث إنما تتطور من خلال حوار الشخصيات وصراعها وسلوكها، فهي "والحدث شيء واحد".[39]

لقد زخرت قصائد الفزاني بعدد وافر من الشخصيات السردية، فثمة شخصيات تراثية: أدبية وتاريخية وأسطورية، وهناك شخصيات أخرى ابتدع الشاعر أبعادها وملامحها من خلال التجربة الذاتية، ورؤيته الإنسانية.

وبالرغم من أن هذه الشخصيات قد تداخلت مع غيرها وتشابكت في علاقات متنوعة، فإنها ظلت تحتفظ بملامح وسمات وأفعال خاصة ضمن المنظومة السردية المتعارف عليها في الفن السردي. ولكن كيف صاغ الشاعر هذه الشخصيات في قوالب سردية؟ للإجابة عن هذا السؤال يجدر الوقوف عند أبرز ملامح تلك الشخصيات وأبعادها.

شكَّلت الشخصيات الدينية على تنوعها وما تحمله من دلالات مصدراً سخيَّاً من مصادر الإلهام الشعري الغني بكثير من الطاقات الإيحائية الزاخرة بالعطاء النفسي والوجداني الذي تتجلى من خلاله معاناة تلك الشخصيات في عصرها وواقعها الذي عاشت فيه، فالشاعر وجد في هذا التراث "أدوات يثري بها تجربته الشعرية ويمنحها شمولاً وكلية وأصالة، وفي نفس الوقت يوفر لها أغنى الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية وأكثرها قدرة على تجسيد هذه التجربة وترجمتها ونقلها إلى المتلقي".[40]

لقد أكثر الشاعر من ترديد أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام "آدم، نوح، يوسف، عيسى، محمد ﷺ" لما وجد في سيرهم العطرة من عذاب وألم وظلم من قومهم وعشيرتهم، وإنكارهم وتجاهلهم لما يدعون إليه من رسالات سماوية فيها الخلاص والانعتاق للبشرية فوظَّفها في الوقت المناسب، "فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية، وكلٌّ منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته ويعيش غريباً في قومه محارباً منهم أو في أحسن الأحوال غير مفهوم منهم".[41]

وتبعاً لذلك فقد اتجه الشعراء الليبيون إلى "استعارة شخصيات الرسل ليعبروا من خلالها عن أبعاد تجاربهم المعاصرة".[42]

من الشخصيات المقدَّسة التي حظيت باهتمام شاعرنا شخصية نبي الله "أيوب ﷺ" حيث التي ركز فيها الشاعر على الملامح الداخلية في رسم معالم صورته من: شجاعة وقوة وصبر وإيمان قوي بفرج الله تعالى وزوال المحن، معتمداً على العناصر الأساسية في سيرته؛ ليخلع عليها رموزاً

---

[38] - البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبد الله إبراهيم ، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988 م. ص: 18.
[39] - دراسات في الأدب المسرحي، سمير سرحان ، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، د . ت. ص: 24.
[40] - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، 1978 م. ص: 93.
[41] - نفسه ، ص : 97 ، 98 .
[42] - نفس المرجع والصفحة .

بديلة تحلُّ محل العناصر التراثية؛ ليكسب النص الطابع الديني دون أن يغفل عن واقعه الراهن، فيقول:[43]

يا إخوتي .. أيوب ، ما عاد له شعر !
أيوب .. أمس ضُيِّعتْ السُّمْرُ
يمشي بلا خطو إلى النحْب !
يسامرُ الآلام و الآهات في الدرب
في ليل " بنغازي " الذي يُقعي على القلب
كالموت – منحوتٌ – من الرُّعْب
في غربة – التاريخ والتزييف – والعصْر
في محنة الأوراق والحبر
في عزلة الفكر

تجلى في هذا المشهد عنصر الصراع والتوتر بين المفكر وعدوه السلطة الظالمة التي تكمم الأفواه بصورة واضحة، إذ حاول السارد/ الشاعر أن يرصد رؤية شخصية المفكر الداخلية، ويرصد ما يدور في خلدها من أفكار ومعان.

كما أدت (الأفعال) دوراً حاسماً في كشف أبعاد هذا الصراع وتناميه، فالفعل الماضي المنفي (ما عاد) يحمل دلالة الإحباط وانعدام الرغبة ، أما الفعل المضارع (يسامر) فيشي بدلالة العذاب النفسي، واليأس والقنوط من تغيُّر هذه الحال الصعبة ، فشخصية " أيوب ﷺ " تحمل دلالة رمزية مجازية لمعاناة الشاعر/ السارد وغيره من أهل الفكر والقلم.

ويوظِّف "الفزاني" شخصية "المسيح ﷺ" ليعبر من خلالها عن عذاب شعب كامل يقاوم ليل القهر الحالك المختفي خلف صبح كاذب يتخذه الظالمون ستاراً للمؤامرات التي تحاك ضد ذلك الشعب الغافل، فشاعرنا يعتبر نفسه مسيحاً يتحمل المعاناة والألم الجسدي في سبيل أداء رسالته والإسهام في بناء جيل جديد واعٍ بما يدور حوله، فيقول:[44]

صَلَبُونِي فَوْقَ أعوادٍ حَقِيرَهْ
من غصونٍ قد تغنَّى فوقَهَا شادٍ وَنَائِح
لَمْ أَقُلْهَا إِنَّنِي كنتُ نَبِيا
أتلقَّى الْوَحْيَ مِنْ إِلَهٍ فِي الْأَعَالِي

[43] - ديوان مواسم الفقدان، على عبدالسلام الفزاني ، الطبعة الأولى، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ، ليبيا ، 1977 م، ص:48.
[44] - المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، علي عبد السلام الفزاني، ص: 29.

غَير أنِّي عُدْتُ يَوْماً .. وَصَلِيبِي فوقَ ظهرِي
وَتلمستُ طرِيقِي عبرَ دَرْبِي
فَوجدتُه
وَمشيتُه
حَافياً تدمِي خطَاي
صَفَّق الْأَطْفَالُ ... هَا قَدْ عَادَ للأرضِ الْمَسِيح

نلحظ في النص السابق غلبة الأفعال على البناء العام (صلبوني، تغني، أقلُها، كنت، عدتُّ، تلمست، فوجدته، مشيته، صفق، عاد) مما يدل على نفسية الشاعر المعذبة من طول الصمت ومرراته، وديناميةالنص المتدفقة من أجل توليد دلالة أن الصلب ثمن لمعانقة الشعر والكلمة "فالصليب [45] رمز من رموز المطر والخصب".[46]

ومن الشخصيات التي تنتمي إلى الفلكلور الشعبي واهتم بها الشاعر شخصية "السندباد"، فقد " تعددت ملامح شخصية السندباد ووجوهه في الشعر العربي المعاصر بتعدد أبعاد تجربة الشاعر المعاصر وتنوع ملامحه النفسية والاجتماعية والفنية، وإن كان من الممكن رد وجوه السندباد وملامحه – على كثرتها وتنوعها – إلى وجهه الأصيل، وجه المغامر الجوّاب بحيث يمكن لكل وجوه السندباد الأخرى أن تعد ملامح تفصيلية لهذا الوجه الأساسي".[47]

فالسندباد البحري يعدُّ "رمز الاكتشاف والبحث عن عوالم الامتلاء والخصوبة، قد ألهمت الشعراء بوصفها المعادل الموضوعي لإشراقات رؤيوية رؤيا البعث المنتظر لواقع هش ومتآكل".[48]

يوظِّف الشاعر شخصية "السندباد" للتعبير عن تجربته النضالية التي دُفنت وهي لمَّا تزل في مهدها وألقوها في غياهب النسيان فطويت مع رفات السندباد، فيقول في قصيدته "موت السندباد":[49]

رِحلاتِي فِي بحارِ الْكَلِمَات
رِحلاتُ السِّنْدِبَاد
تَاهَ حيناً في الصَّحارِى ثُمَّ عَاد
بِخُطى تدمِي وَلحنٍ مُسْتَعَاد

---

[45] - يزعم النصارى أن المسيح عيسى بن مريم صُلب عليه بعد أن قتل، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم مكذباً من زعموا أنهم قتلوه وصلبوه، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وقال: وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء، الآيتان: 156، 157.

[46] - أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ريتا عوض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م، ص: 51.

[47] - السندباد بين التراث والشعر العربي، علي عشري زايد، مجلة الثقافة العربية، العدد: 4، فبراير / 1974 م ، ص: 205.

[48] - الرؤيا والتأويل (مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة)، عبد القادر فيدوح، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1994م، ص: 113.

[49] - المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، علي عبد السلام الفزاني، ص: 97.

وَاسْتَحَالَ الشَّوْقُ وَالحرفُ رَمَاد
أَهْرقتْهُ الريحُ مِنِّي وَالْمِدَاد
صَارَ زَيْفاً ... وَأَبَارِيقَ رَمَاد
دَفَنُوهَا فِي الرَّوَابِي مَعَ رُفَاتِ السِّنْدِبَاد

إن استحضار شخصية "السندباد" في المشهد السابق تميَّز بالكثافة الدلالية المنفتحة على قراءات عدة، فالسندباد هو الرحالة المغامر، والمنتصر – دائماً – على الرغم من كثرة الأخطار والمصاعب التي تعترض طريقه وصاحب الأعاجيب [50] ، الأمر الذي يلزم المتلقي أثناء قراءته للنص ومحاولة فك شفراته أن يكون مدركاً للمعنى المقصود، يمتلك مخزوناً ثقافياً يتيح له فهم دلالات الخطاب المشكَّل منها النص، ومن المسلَّم به أن فهم المعنى يختلف من قارئ لآخر، وهذا الاختلاف منشؤه تفاوت علاقة كل قارئ مع النص، فكلٌّ ينفعل انفعالاً خاصاً به على الرغم من أن كلاً منهما يسير في نفس الطريق التي يفرضها النص على مختلف القراء.[51]

وتوظيف شخصية البطل الأسطوري يخلق قوة دلالية في لبنية السردية تحقق "الاغتناء الأخصب للمتلقي وهو يضاعف مجهوده لالتقاط الأبعاد الإنسانية والحضارية والفكرية والواقعية، ويقوى حضورها ويرفع من قدرتها التعبيرية، إذ يوصل اشتراكاته النفسية والوجدانية والفكرية من أجل صنع الرؤية الشعرية".[52]

إن وجود البطل ضروري؛ لكونه حاجة اجتماعية وثقافية، تؤدي وظيفة ملء فراغ لا يمكن لغيره أن يملأه في ثقافة المجتمع ونظرته إلى نفسه، وهو ما دفع الشاعر إلى استحضار شخصية "سيزيف" [53] لما تحمله من دلالات الألم والمعاناة التي قد تتوافق والواقع النفسي الذي يحسه أغلب الشعراء، وذلك يتمثل في سيطرة مشاعر الغبن والمعاناة والشعور بالاضطهاد والظلم ، يقول الشاعر:[54]

عِنْدَمَا كُنَّا جِيَاعَاً بين نجعٍ وَرَصِيف
نَربطُ الْأَحجارَ والأطمارَ بالخصرِ النَّحِيف
وَنُعَانِي مَا نُعانِي مِحْنَةً عبرَ الْخَرِيف
سَغب الصَّحراءِ وَالْمَوْتَى وَآلامَ سِيزِيف

يأتي استحضار شخصية البطل الأسطوري "سيزيف" ليعكس إحساس الشاعر بالفاقة والحرمان، إذ جعل الشاعر البطل "سيزيف" معادلاً وجودياً لتجميع معاني الألم المتكرر، فسيزيف

---

[50] - ينظر: ألف ليلة وليلة، طبع كلكته 1839م. ومطبعة صبيح، القاهرة، 1964م: 3: 81 وما بعدها.
[51] - ينظر: نظرية القراءة والتأويل الأدبي وقضاياه، حسن مصطفى سحلول، منشورات اتحاد كتَّاب العرب، دمشق، سوريا، 2001 م، ص: 48.
[52] - مجلة الفصول الأربعة، العددان: 41، 42، ص: 68.
[53] - سيزيف بن أيولوس، محارب شجاع يتمتع بالدهاء والمكر، عوقب بحمل صخرة إلى أعلى الجبل فتعود الصخرة لتنزلق ثم يحملها مرة أخرى وتنزلق وهكذا، ويعد بطلاً أسطورياً حيث يقوم بمهمة يدرك أنها لن تنتهي فيكافح مراراً لأجل وضع حد لهذه المعاناة. ينظر: أسطورة سيزيف، ألبير كامبو، نقله إلى العربية، أنيس زكي حسن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1983م.
[54] - المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، علي عبد السلام الفزاني، ص: 305.

يدحرج الصخرة إلى قمة الجبل ثم تهوي تلك الصخرة إلى أسفل الوادي فيدحرجها ثانية إلى أعلى، فلا الصخرة تستقر في أعلى الجبل ولا سيزيف يستريح من معاناته معتمداً على صور غاية في الإثارة والاستبطان الارتدادي الماورائي تحمله شخصية البطل "سيزيف" من دلالات مردها الألم والمعاناة ومكابدة الفقر والجوع، فالشاعر يسعى إلى تأسيس علاقة توحُّد بين إحساسه وإحساس المتلقي وسبيله في ذلك هذه الصور التي تستطيع "بما تحمله من معان مستمدة من الواقع أن تكون إحساساً نابعاً من الذات".[55]

- بنية الحوار:

يعد الحوار الدرامي عنصراً محورياً في بناء العمل الشعري ذي النزعة السردية، وهو تقنية فنية متميزة تسهم في جعل المتلقي يصغي إلى أصداء أفكار الشاعر وإيقاع أحاسيسه، والحوار حديث الشخصية الإنسانية المنبعث من أعماقها، والمعبر عنها أدق تعبير؛ لأن الشخصية الصامتة تبدو مثل لوحة ساكنة، ولكنْ ما إن تتحاور حتى تنبض ملامحها، وتتحرك الحياة فيها، حينذاك يتكون الانطباع الأول عنها.

إن الحوار الدرامي يسهم بشكل فعال في " تطوير الحبكة والكشف عن أفكار الشخصيات وعواطفها وطبائعها الأساسية ووصف المناظر".[56]

فالحوار – إذاً – تقنية لتقديم الحدث، وتمثيل الصراع، ورسم صورة واضحة لمعالم الشخصية، وفق قواعد فنية تفرضها الحاجة الإبداعية، فالحوار يعبِّر عن شخصية قائله ويبلورها، كما يعبِّر عن الموقف الشعري، لذا فيجب أن يتسم بالبساطة والسلاسة حتى يفهمه المتلقي ويستوعبه. أضف إلى ذلك أن الحوار لابد أن يتصف بما سيأتي من الأوصاف؛ ليحقق أهميته الفنية، وتلك الأوصاف هي:

- أن يعتمد على اختيار دقيق وواع للألفاظ والصور والأفكار بعبارات موجزة ومحكمة.[57]

- أن يتفاعل الحوار وموضوع النص ، فلا يبدو للمتلقي كأنه دخيل متطفل عليه.[58]

- أن يتوافق مع الشخصية والموقف بأن يكون سلساً رشيقاً طيعاً ، فضلاً عن احتوائه على الطاقات التمثيلية.[59]

ويبدو أن الشاعر قد وجد في أسلوب الحوار بنوعيه: الخارجي والداخلي عوناً له في بناء خطابه الشعري بناء سردياً، وذلك لأن الحوار" يوضح أبعاد القضية المطروحة أو الموضوع المثار على نحو يزيده ثراء وتكثيفاً".[60]

---

[55] - جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر، يحيى زكريا الآغا، الطبعة الأولى، دار الثقافة / الدوحة، دار الحكمة / غزة، 1996م، ص: 124.

[56] - فن المسرحية ، فرد . ب . ميليت ، جيرالديس بنتلي ، ترجمة : صدقي خطاب ، دار الثقافة ، بيروت ، 1966 م . ص : 481 .

[57] - ينظر : القصة القصيرة ، دراسة مختارات ، الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1977 م . ص : 66.

[58] - - ينظر : فن القصة، محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955م ، ص : 119 .

[59] - ينظر : فن القصة ، محمد يوسف نجم ، ص : 119 .

[60] - البنيات التركيبية في الشعر الفلسطيني المعاصر، عبلة ثابت، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس. 2009 م، ص: 171 .

تجلى الحوار الذي اكتسى حضوره في بنية الخطاب الشعري المعاصر نزعة سردية عبر مستويين اثنين: أحدهما: الحوار الخارجي (الديالوج) والآخر الحوار الداخلي (المونولوج).

أ- الحوار الخارجي (الديالوج):

يمثل الحوار الخارجي تقنية أساسية من تقنيات البناء السردي؛ لتعويله على تعدد الأصوات والمشاهد التي تكسب النص قيماً موضوعية، فتعدد الأصوات في فضاء النص الشعري يدخل النص في حوار يدفعه إزاء التصاعد الدرامي، ويحقق القيم الدلالية والجمالية فيه.

وقد وصفه بعض الدارسين بـــ " الحوار التناوبي أي الذي تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر بطريقة مباشرة ، وذلك التناوب هو السمة الإحداثية الظاهرة عليه " [61] . والمتحاورون - في العمل الفني - يرتبطون بوحدة الحدث والموقف ؛ لأن الحوار يلعب دورا مهما يتمثل في دفع العناصر السردية إلى الأمام ، إذ يرتبط وجوده بالبناء الداخلي للعمل الفني ، فيمنحه تماسكا ومرونة واستمرارية.[62]

ومن أمثلة هذا الحوار ما دار بين الشاعر و شرطة المحطة ، إذ يقـــــول:[63]

ربما فاطمة قد حسبتني جئت أبغي لحظة حمراء، فرَّت
حين وافيت المحطة
أوقفتني شرطة الجسر وقالوا أين تمضي، كان
عندي بعض صفحات بطاقة
قرأوها نورس الصحراء هذا ما الذي ألقاك آهٍ
أصدقائي، طال بحثي في عيون الجيل جرياً ، طال بحثي
مدن تلفظ قلبي وشوارع ،
فافهموني إنها فاطمة السمراء ضاعت ، حملوها ، وقعت في الفخ ليلاً
قلت : ماذا ؟ ربما صارت ببيروت عروساً
ربما النخّاس أغراها بقصر، فاشتراها بنقود النفط "وعل"
أصدقائي كنت رقماً في دنا بيروت أمشي
والمخانيث ورائي
شارع الحمراء خلفي ودم "غسان" على أرصفة الأسواق باقٍ

---

[61] - الحوار القصصي ، فاتح عبد السلام ، ص : 21 .
[62] - نفس المرجع والصفحة .
[63] - ديوان الطوفان آت، علي عبد السلام الفزاني، الطبعة الأولى ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس، ليبيا 1980 م، ص : 14 وما بعدها.

من يغني لخيام الفقراء لحناً دموياً

من يغني؟ من يغني؟ كنت أدري أم قنديل كتاب

بحَّ صوتي لم تجب قحطان آه احمليني من مطار لمطار

ألف جيل، قد فقدنا، وشنقنا، في ذرى بغداد قسراً ،

تتكئ بنية الحوار في القصيدة على تقنية التلميح والإيحاء بعيدا عن التقريرية والمباشرة والشروح المسهبة ، كما أنها تعتمد على الرمز في سياق النص الشعري ، فتتخذ منه طاقة تعبيرية تؤدي دورا فاعلا في بنية القصيدة.[64]

فمن خلال الحوار السابق تبرز الألفاظ والمفردات التي تجعل من الحوار ترميزيا : فنورس الصحراء ترميز للشعراء ، وفاطمة السمراء رمز للقضية الفلسطينية ، وشارع الحمراء من أكبر شوارع بيروت ، فيه أكبر الملاهي الليلية ، استخدمه الشاعر رمزا للواقع العربي الغارق - إلا قليلا - في اللهو والفساد ، ودم غسان أي قبيلة غسان العربية المعروفة رمز للحالة المتردية للعرب، فجثث العرب ودماؤهم تغرق الشوارع ، وحاجب الحمراء يرمز به إلى ضياع الأندلس ثم لحقت بها فلسطين.

فالشاعر – إذاً – من خلال هذا الحوار الترميزي قدّم "صوراً ذات دلالات إيحائية تتجاوز الوصف إلى الرمز"،[65] الأمر الذي دفع مسار الفعل الدرامي داخل الهيكل العام للقصيدة ؛ لأن السمة الفنية للحوار مرتبطة بما يبعثه في جسد النص الشعري "من علامات الصحة وطاقات النمو، عبر تحكمها الواعي في بناء الفعل الدرامي".[66]

ب – الحوار الداخلي (المونولوج):

في هذا المستوى من الحوار تنقسم النفس على ذاتها؛ لتدخل معها في حوار يجسد الحدث، وتعبر به الشخصية عن أفكارها المكنونة، دون تقيد بالتنظيم المنطقي، فخواطر الإنسان لا تقل أهمية أو دلالة عن كلامه أو أعماله، وتسجيلها واجب على الفنان، وهو يسهم في نمو الحركة الداخلية للقصيدة، ويعطيها بعداً درامياً مؤثراً.

وهو الحوار الذي يكون بين الشخصية ونفسها ، فهو " الكلام الذي يسمع ولا يقال ، وبه تعبر الشخصية عن أفكارها المكنونة ، دون تقيد بالتنظيم المنطقي ، فخواطر الإنسان لا تقل أهمية أو دلالة عن كلامه أو أعماله وتسجيلها واجب على الفنان محتم".[67]

والحوار الداخلي يتسم بطغيان أفكار الشاعر وأحاسيسه ومشاعره على ما ينتجه من شعر، مما يجعله عنصرا مهما في بناء شخصيته،[68] فهو يخرج من أعماق الشاعر ليعود إليها مباشرة ؛ مما يجعله يأخذ شكلا دائريا تراجعيا ، بمعنى أن الشخصية تسأل ولا تنتظر الجواب وقد يكون

---

[64] - الحوار القصصي ، فاتح عبد السلام ، ص : 63 .
[65] - قضايا التشكيل في الشعر الحر في ليبيا ، (أطروحة دكتوراه) ساسي سعيد رمضان ، ص : 137 .
[66] - البنية السرديـــة في الرواية السبعينية وإشكالية توظيف الحوار الفني ، باقر جواد الزجاجي ، ص : 78 .
[67] - - البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، ص : 210 .
[68] - - ينظر : فن القصة ، ص : 76 .

حوارا مهما أو دون ذلك، وقد يكون مسهبا أو مقتضبا، أو هامشيا لا أهمية له في سياق الحدث، أو ذا فاعلية واضحة وتأثيره كبير.[69]

والمتأمل في نصوص شاعرنا، يتبين له أنه قد استخدم الحوار الداخلي في بنائه السردي؛ لوعيه بحقيقته، ولإدراكه بقوته الدافعة لآلية السرد، ويتبدى ذلك في عدد من القصائد التي بُنيت على تقنية الحوار الداخلي.

لقد اتخذ "علي الفزاني" من المونولوج وسيلة لنقل ما يعيشه الفلسطينيون من ألم وفوضى وتناقضات في نضالهم من أجل قضيتهم ، فنجده يقــول:[70]

خدعتني ، ورميتني في الجحيم

ليتها كانت حكاية

من ليالي ألف ليلة

" يافؤادي ، رحم الله الهوى – كان صرحا من خيالي فهوى [71] "

يا فؤادي كنت أحلم

أنا أراها ...

ألبستني كل أثواب المعارك

ضمدت جرحي ، وسارت إثر خيلي في المسالك

هودج للحب والحرب معا

* * *

دق بابي ذات ليله

زائر كان مقنع

قال : خذها .. مد لي تلك الرسالة

يا حبيبي ، من ليالي الظلمات

أكتب الكلمات خلسه

يا حبيبي ، وغدا صلبي .. فكبر

وعلى خديك قبله

وعلى الدنيا السلام

---

[69] - ينظر : : الحوار القصصي ، فاتح عبد السلام ، ص : 112.

[70] - ديوان الطوفان آت ، علي الفزاني ، ص : 70 ، 71 .

[71] - هذا البيت مقتبس من قصيدة " الأطلال " للشاعر " إبراهيم ناجي " ، ينظر : ديوان إبراهيم ناجي ، دار العـــــــودة ، بيروت ، 1980 م . ص : 132 .

فبنية الحوار في النص ترتكز على صراع بين الشاعر والمحبوبة (القضية) وبين العالم المحيط به، حيث المؤامرات والدسائس للقضاء على الانتفاضة، فالشاعر يستنطق القضية كما لو كان يتحدث إلى امرأة يسألها وتجيبه، ويحاورها وتشاركه الحوار، وفكرة بناء النص تتكئ على استغلال الحدث الدرامي ومنحه الحياة من خلال استعمال الأفعال (خدعتني، رمتني، ألبستني، ضمدت جراحي) فالشاعر يخاطب الطرف الآخر معتمدا على دلالات هذه الأفعال المتمثلة في حركة الجسد؛ ليتمكن القارئ من التفاعل مع العمل الشعري.

كما إن الناظر إلى المقطع السابق يشعر أن ثمة إحساساً حزيناً يطغى على المشهد، ويزيد من توتره وتصاعده؛ ذلك أن الشاعر يعرف أن درب الكفاح طويل مرير، وبرغم ذلك يبقى للشاعر فضاء آخر يتجاوز الواقع بالواقع، تاركاً الحلم نقطة تلتقي فيها: (الذاتية والجمعية) لتُشَكِّلا صورة الواقع الراهن الأليم.

كما تتجلى في بنية الخطاب الشعري تقنية المزج الموفق بين البنية السردية وجماليات الشعرية؛ لتكوين بناء فني متماسك التشكيل، متكامل النسيج، وقد برع الشاعر رغم سهولة التراكيب وسلامة الأداء في إحداث الأثر المعنوي وعياً وتثقيفاً، والأثر الجمالي إقناعاً وطرافة.

- الخلاصـــــة:

وبعد... فإن البنية السردية في شعر " علي الفزاني " مثلت إحدى البنى الأساسية في تشكيل نصوصه الشعرية، وإن خطابه الشعري اتسم بنَفَس سردي تبدت فيه عناصر السرد وتقنياته بشكل واضح وجلي، وأن الشاعر استطاع أن يغني الجانب السردي في مجموعته من خلال الإفادة من العناصر السردية الأساسية: كالحدث والشخصيات والحوار، فضلاً عن إفادته من توظيف التقنيات السردية من: مفارقة، واستهلال وختام سرديين، وتكرار، وتناص، وتنويع في استخدام ضمائر السرد، وتقطيع المشهدي وغيرها، وقد وفق الشاعر في تحقيق عنصر التشابك والتمازج بين الشعري التأملي والسردي، إلى درجة يصعب فيها فصم جزأيهما بعضهما عن الآخر.

وأظهرت الدراسة أيضاً أن البنية السردية في شعره تمثل انعكاساً لرؤية الشاعر، وتفصح عما يختلج فيها من رؤى إنسانية، وتجارب شعورية، وأن قصائده – في الغالب – تنطوي على بنية سردية تدور أحداثها حول سيرة الشاعر الذاتية وسيرة شعبه ووطنه، وأنها نهلت من معين السيرة الذاتية لشاعر مبدع، ومثقف مشهود له بقراءاته الواسعة وتمثله للتراث الإبداعي للإنسان العربي، ونهلت أيضاً من معين سيرة الشعب الليبي الذي عانى من ويلات الاحتلال والحروب التي تركت ورائها خرابا ودمارا ظلَّ محفورا في ذاكرة شاعرنا حتى فارق هذه الحياة.

- قائمة المصـــادر والمـــراجع والدوريات:

- القرآن الكريم
- الأبعاد الأساسية للشخصية، أحمد محمد عبد الخالق، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، 1978م.
- أسطورة سيزيف، ألبير كامبو، نقله إلى العربية، أنيس زكي حسن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1983م.
- أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ريتا عوض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.
- الأعمال الشعرية الكاملة ، المجموعة الأولى ، علي عبد السلام الفزاني، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، مطابع دار الحقيقة ، بنغازي ، 1975م.
- الأعمال الكاملة (حياتي في الشعر) صلاح عبدالصبور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993م.
- ألف ليلة وليلة، طبع كلكته 1839م . ومطبعة صبيح، القاهرة، 1964م .
- آليات السرد في الشعر العربي المعاصر ، عبد الناصر هلال ، مركز الحضارة العربية ، الطبعة الأولى ، 2006م.
- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبد الله إبراهيم ، الطبعة الأولى، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، 1988م.
- البنيات التركيبية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، عبلة ثابت ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس. 2009م.
- البنية السردية في الرواية السبعينية وإشكالية توظيف الحوار الفني ، باقر جواد الزجاجي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، العدد : 9 ، نيسان / 2010 م ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة.
- بنية السرد في القصص الصوفي ، (المكونات والوظائف والتقنيات) دار ناهضة ستار.
- تجربتي الشعرية ، عبد الوهاب البياتي ، دار العودة ، بيروت ، 1971م.
- تجليات الشعرية (قراءة في الشعر المعاصر) فوزي عيسى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1997م.
- جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر، يحيى زكريا الآغا، الطبعة الأولى، دار الثقافة / الدوحة، دار الحكمة / غزة، 1996م.
- الحداثة في شعر البريكان ، فهد محسن فرحان ، مجلة الأقلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العدد : 3 ، 2002م.
- حصاد السندباد ، عبدالقادر القط ، جريدة الحقيقة ، العدد : 1090 ، مارس / 1969م.
- الحوار القصصي ، فاتح عبد السلام ، الطبعة الثالثة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1982م.

- دراسات في الأدب المسرحي، سمير سرحان ، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، د . ت.
- دراسات في المسرح والشعر ، محمد مصطفى بدوي ، مكتبة غريب . د . ت .
- الدراما بين النظرية والتطبيق، حسين رامز محمد رضا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ، بيروت- لبنان ، 1972م.
- دليل الناقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ، د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي ، الناشر ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000م.
- ديوان إبراهيم ناجي ، دار العـــــــودة ، بيروت ، 1980م.
- ديوان طائر الأبعاد الميتة ، علي عبد السلام الفزاني ، الطبعة الأولى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 1995م.
- ديوان الطوفان آت ، علي عبد السلام الفزاني ، الطبعة الأولى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ليبيا ، 1977م.
- ديوان مواسم الفقدان ، على عبدالسلام الفزاني ، الطبعة الأولى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ليبيا ، 1977م.
- الرؤيا والتأويل (مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة) عبد القادر فيدوح، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1994م.
- السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي) عبد الله إبراهيم ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2005م.
- الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا، مجلة عالم الفكر، العدد: 4، المجلد: 10، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1980م .
- السندباد بين التراث والشعر العربي، علي عشري زايد، مجلة الثقافة العربية، العدد: 4، فبراير / 1974م.
- الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل ، الطبعة الثالثة .، دار العودة ، بيروت ، 1981م.
- الشعرية ، تزفيتيان تودوروف ، ترجمة : شكري المبخوت ورجاء سلامة ، الدار البيضاء ، توبقال ، 1986م.
- شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية ، لمحي الدين بن عربي ، تأليف ، سحر سامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2005م.
- فضاء الكون الشعري ، من التشكيل إلى التدليل ، مستويات التجربة الفنية عند محمد مردان ، إعداد وتقديم ومشاركة : محمد صابر عبيد ، دار نينوى للدراسات والنشروالتوزيع ، دمشق ، سوريا.
- فن القصة، محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955م.
- فن كتابة المسرحية ، لاجوس إيجري ، ترجمة: دريني خشبة ، مكتبة الأنجلـــو المصرية ، القاهـــــرة ، 1956م.
- فن المسرحية ، فرد . ب . ميليت ، جيرالديس بنتلي ، ترجمة : صدقي خطاب ، دار الثقافة ، بيروت ، 1966م.

- القصة القصيرة ، دراسة مختارات ، الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1977م.
- القصيدة الأموية رؤية تحليلية ، عبد الله التطاوي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، 1984م.
- قضايا التشكيل في الشعر الحر في ليبيا ، أطروحة دكتوراه ، ساسي سعيد رمضان جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، 1998م.
- مجلة الفصول الأربعة، العددان: 41، 42.
- مجلة فصول ، جابر عصفور ،.القاهرة ، العدد : 15 ، 1996م.
- المدخل إلى الفنون المسرحية ، فرانك . م . هواتينج ، ترجمة : كامل يوسف وآخرون دار المعرفة، القاهرة ، 1970م.
- مراوغة اللغة (قراءة في نماذج من ديوان " لماذا تركت الحصان وحيداً" لمحمود درويش) محمد الخلايلة ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عدن ، العدد : 7 / 2004م.
- مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية ، دراسة ، شارف مزاري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001م.
- معجم الشعراء الليبيين ، عبدالله سالم مليطان ، الطبعة الأولى، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني ، طرابلس ، ليبيا ، 2001م.
- المفكرة النقدية ، بشرى موسى صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، بغداد ، 2008م.
- نظرية الأنواع الأدبية، م. لا. بي. جي. فينسينت، ترجمة: حسن عون، منشأة المعارف الاسكندرية ،1977م.
- نظرية القراءة والتأويل الأدبي وقضاياه، حسن مصطفى سحلول، منشورات اتحاد كتَّاب العرب، دمشق، سوريا، 2001م.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي

د. منصف محمد صالح

(محاضر بقسم الجغرافيا كلية الآداب والعلوم المرج - جامعة بنغازي)

- تمهيد:

ظهرت العديد من التصنيفات الخاصة بالتربة كالتصنيف الروسي والتصنيف الأمريكي والتي اعتمد كل منها على مجموعة من الضوابط ، بحيث تميز كل تصنيف عن الآخر(p.61،1951,Marput) ولقد حاولنا من خلال هذا الفصل تصنيف التربة جغرافياً وذلك بالاعتماد على علم الجغرافيا وعلاقته بالتربة السائدة في منطقة الدراسة ، ووضع تصنيف جغرافي خاص للتربة في سهل بنغازي اعتماداً على التوزيع المكاني للتربة في هذا السهل مع مراعاة مجموعة من الخصائص الفيزيائية والكيميائية للتربة مع كل تصنيف جغرافي تمّ اختياره في منطقة الدراسة.

- منطقة الدراسه:

تقع منطقة الدراسة بين دائرتي عرض08 44 32° و 34 57 30° شمالاً وبين خطي طول 17 55 19° و 00 00 21° شرقاً وتبلغ مساحتها 6521.4102 كيلو متر مربع وتمتد من جهة الغرب والشمال الغربي على ساحل البحر المتوسط بطول يصل إلى 255 كم، كما تحدها الحافة الشمالية للجبل الأخضر من أجزائها الشرقية والجنوبية الشرقية بطول يناهز 220 كم ، ويحدها من ناحية الشمال الشرقي منطقة الجرف الأسود، ومن الجنوب فتقع حدوده عند تداخل تربة برقة شبه الحمراء مع تربة برقة البيضاء (سهل سرت).

والمنطقة تمتد بشكل طولي من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي فيما يشبه المثلث المعقوف، وتقترب الحافة الشمالية للجبل الأخضر من خط الساحل كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي حيث يفصلها عن خط الشاطئ مساحة 2 كم بينما تتسع منطقة الدراسة بالاتجاه نحو الجنوب والجنوب الغربي حيث يبلغ أقصى اتساع لها فيما بين بلدتي الزويتينة على ساحل البحر وانتلات في اتجاه الجنوب بمسافة تصل الى 54 كم. شكل (1).

- الهدف من الدراسه:

تهدف هذه الدراسة إلى إعطاء فكره عن التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي في ليبيا ،ودراسة خصائص التربة الفيزيائية والكيميائية لكل تصنيف من هذه التصانيف المدروسة وإعطاء فكرة ولو مبسطة للباحثين في مجال التربة عن ظروف التربة في منطقة الدراسة .

اعتمدت هذه الدراسة على العمل الميداني حيث تم جمع عينات من التربة السطحية وفقاً لأسلوب العينة العشوائية شكل (2) ومن ثم نقل هذه العينات إلى المعمل وإجراء مجموعة من التحاليل المعملية على هذه العينات والتي عن طريقها أمكن معرفة خصائص كل نوع من أنواع الترب في منطقة الدراسة.

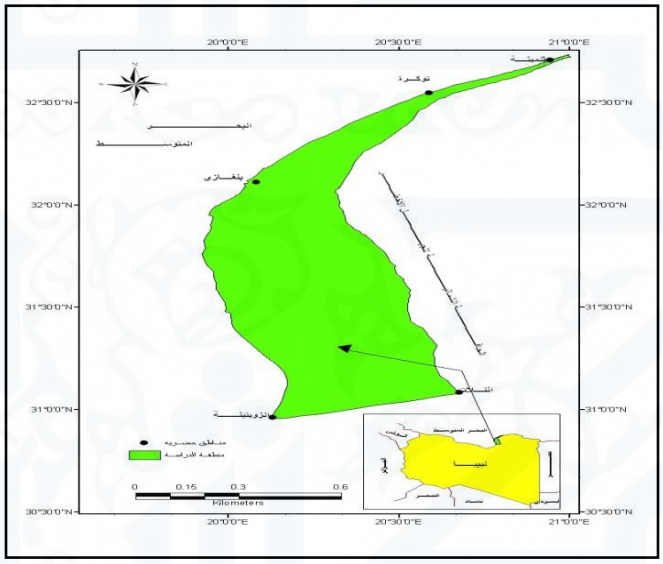

المصدر:عمل الطالب باستخدام GIS and Googel Earth

شكل (1) موقع منطقة الدراسه

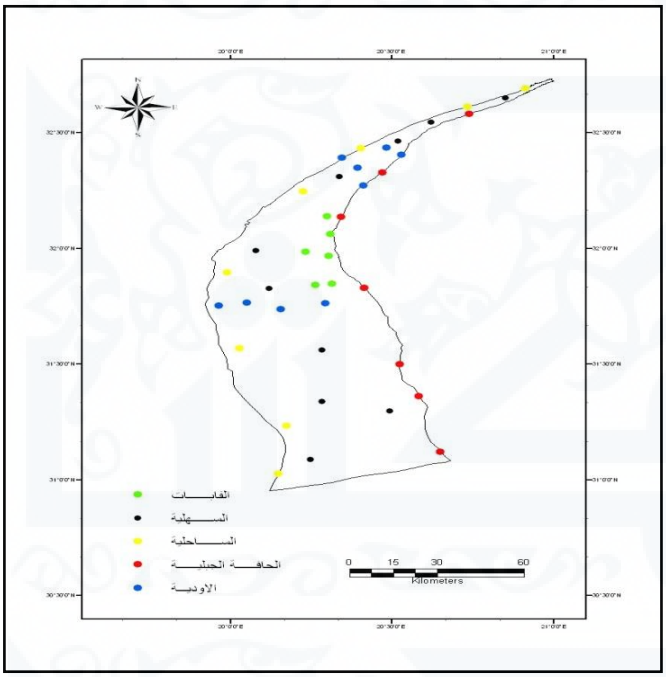

المصدر: عمل الطالب استنادا الى الدراسة الحقلية

شكل (2) عينات التربة السطحية في منطقة الدراسة

- الخصائص الجيولوجية:

تعتبر الخصائص الجيولوجية من أهم العوامل المؤثرة في تشكيل سطح الأرض إذ يعتمد عليها عند دراسة الظواهر الجيومورفولوجية لمنطقة ما، كما أن نوع التربة السائد في هذه المنطقة يحدده نوع الصخر الأم "المادة الأصل" والذي يعتمد بدرجة كبيرة على الصخور السائدة وخصائصها وتطورها على مر الزمن، والتي هي محور الدراسات الجيولوجية المختلفة. ويغلب على تكوينات سهل بنغازي تكوينات الزمنين الثالث والرابع، وتتركز تكوينات الميوسين الأوسط على التراكيب الصخرية السائدة في وادي القطارة والذي يعتبر جزءاً من منطقة الدراسة، كما تظهر رواسب الزمن الرابع على الشريط الساحلي متمثلة في طبقة رقيقة من التربة الحمراء التي تعلو الصخور الجيرية (جودة ، 1973، ص103). ويرجع أقدم التكوينات في المنطقة إلى الزمن الثاني وتحديداً العصر الكريتاسي العلوي "الطباشيري" والذي يظهر في مناطق محدودة شمال السهل أما الجزء الأوسط من السهل فيرجع تكوينه إلى الزمنين الثاني والثالث (لامه، 2003، ص33).

- مظاهر السطح:

تأثرت منطقة الدراسة بحركات تكتونية عدة وفترات من الغمر والانحسار البحري انعكست على مظاهر السطح بها.

ويتميز سهل بنغازي بصفة عامة بالاستواء، وينحصر بين حافة الرجمة وساحل البحر المتوسط ، وانحداراته هينة، إذ تكون الفواصل بين الارتفاعات المستوية منتظمة إلى حد كبير، ويبدأ بالأتساع كلما اتجهنا جنوباً حي يصل إلى أقصى أتساع له عند قاعدة المثلث، والتي تصل مابين حافة الجبل الأخضر والشريط الساحلي.وأن المسافات بين خطوط الكنتور متقاربة إلى حد كبير وهذا يدل على أن الإنحدار يزيد بالقرب من الحافة الجبلية ، كما أن السهل يتسع كلما اتجهنا جنوباً، و يضيق باتجاه الشمال حيث تقترب الحافة الشمالية للجبل الأخضر من البحر، حيث تبين المقاطع التضاريسية اختلاف الانحدار من مكان لأخر داخل منطقة الدراسة، فيكون الانحدار شديد في الجزء الشمالي الشرقي، ثم يتغير الانحدار كلما اتجهنا غرباً حيث يبدأ السهل في الأتساع ليصبح التدرج في الانحدار منتظماً.

- التصنيف الجغرافي للتربة في منطقة الدراسة:

تمّ تقسيم التربة جغرافياً في منطقة الدراسة إلى المجموعات التالية:

1. ترب المناطق السهلية والتي تمّ تصنيفها إلى:
   - أ) ترب الأراضي الزراعية.
   - ب) ترب المراعي.
2. ترب الأودية والتي تمّ تصنيفها إلى:
   - أ) ترب مصاطب الوادي.
   - ب) ترب قاع الوادي.

ج) ترب مصب الوادي.

3. ترب الحافة الجبلية.
4. ترب المناطق الساحلية.
5. ترب الغابات.

وهو ما يمكن توضيحه من خلال الشكل (3) وهي تتباين في مساحتها وتوزيعها الجغرافي كما هو موضح من الجدول (1).

وقد أخذت مجموعة من العينات السطحية للتربة حتى عمق 15 **سم** وإجراء الاختبارات المعملية عليها والتي من شأنها المساعدة في تصنيف التربة جغرافياً في منطقة الدراسة.

التصنيف الجغرافي للتربة	المساحة / كم2	%
ترب الأودية	163.258	2.5
ترب السهول	998.05201	15.3
ترب المراعي	4377.75087	67.14
ترب الغابات	164.487	2.52
ترب الحافات	286.41	4.39
ترب ساحلية	532.622	8.15
المجموع	6522.57988	100

المصدر: حسبت المساحات من الخريطه باستخدام GIS

جدول (1) التصنيف الجغرافي للتربة في منطقة الدراسة

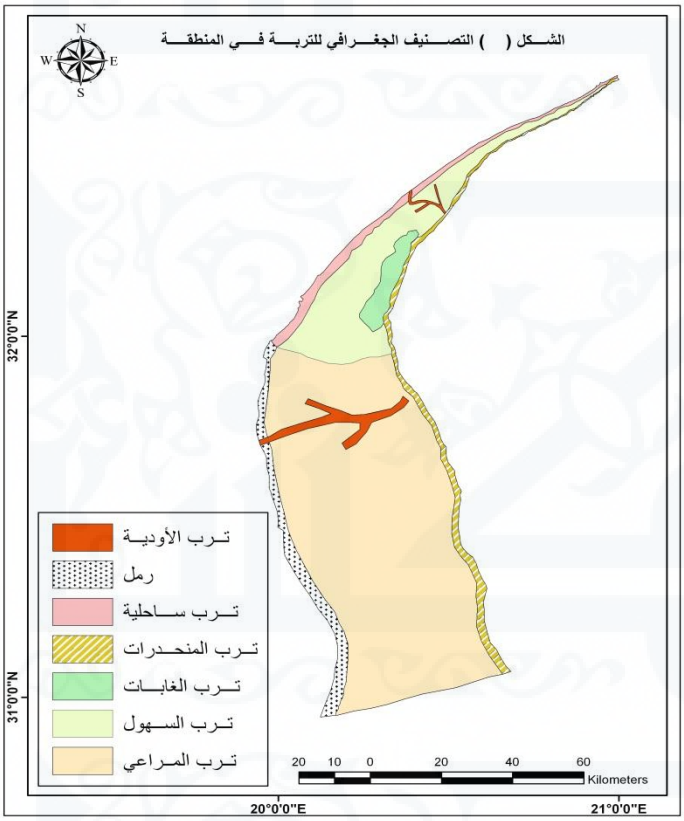

المصدر: عمل الطالب بناءً على بيانات الدراسة الحقلية والمعملية

شكل (3) التصنيف الجغرافي للتربة في منطقة الدراسة

أولاً : ترب المناطق الساحلية:

تتميز هذه الترب بمساحتها الصغيرة نسبياً ويرتبط وجودها بوجود ساحل البحر، فكما ذكر سلفاً فإن الساحل يضيق كلما اتجهنا شرقاً في منطقة الدراسة حتى يختفي عند التقاء قمة الحافة الجبلية به، وهذا بدوره كان له الأثر على توزيع التربة الساحلية، ويمثل هذا النوع ما يعادل 8.15 % من مساحة التربة الكلية في منطقة الدراسة ، فتظهر ترب التيراروزا الحمراء شرق السهل بما يعادل 3.38% ، بينما تميز الجزء الجنوبي الغربي من السهل بارتفاع معدلات الرمل المتراكمة فوق سطح التربة لتغطي ما مساحته 4.77% من حجم التربة الكلي ، وهذا ما يمكن إرجاعه إلى ظروف التجوية وعوامل التعرية والنقل والإرساب في منطقة الدراسة ، فالترب الحمراء في منطقة الدراسة ذات أصل رسوبي ، حيث أن عامل المياه هو العامل المرسب ، فمياه الأمطار عند سقوطها على الحافة تقوم بجرف التربة ونقلها إلى الأسفل عند أقدام الجبل ، وبالتالي

تكون مساحات من هذا النوع من الترب، وكذلك الأودية والتي تعمل على نقل التربة من منشأها إلى مناطق جديدة.

أما الجزء الغربي من السهل فتسوده الرمال التي تغطي الجزء الأكبر من الترب الساحلية في منطقة الدراسة ، حيث يكون للرياح الدور الأساسي في نقل التربة وإرسابها في أماكن أبعد من الساحل، وبالتالي تتباين الترب الساحلية في خصائصها ومساحة انتشارها، فخصائص التربة الحمراء " التيراروزا " التي تميز الجزء الشرقي من السهل تختلف عن خصائص التربة في الجزء الغربي منه ، كما أن المساحة التي تغطيها الترب الساحلية تتباين فيما بينها حيث أن الترب في الجزء الشرقي تغطي مساحات أقل من تلك الموجودة في الجزء الغربي.

كما قد يظهر بعض التراكيب الصخرية والشواطئ الصخرية التي تؤثر المساحات التي تنتشر عليها الترب الحمراء في الجزء الشرقي من السهل وكذلك ظهور السبخات في هذا الجزء من منطقة الدراسة ، والذي يخفض من مساحات الترب الحمراء في هذا الجزء من منطقة الدراسة كما قد يلاحظ وجود ترب تتداخل مع التراكيب الصخرية ، وذلك بسبب عوامل التعرية والانجراف المائي الذي يعمل على نقل التربة وترسيبها بين الفواصل الصخرية وهذا النوع لا ينتشر كثيراً في منطقة الدراسة ، وأن هذا التباين في الترب الساحلية في منطقة الدراسة انعكس على طرق استخدام الأراضي فيها ، فنجد أن النشاط الزراعي هو الاستخدام الأساسي للتربة في شرق السهل حيث التربة الحمراء " التيراروزا " والتي تعد صالحة للاستخدام الزراعي، أما التربة الساحلية في الجزء الغربي من السهل فتتميز بمناخها الصحراوي وارتفاع نسبة ملوحتها لذلك تقل فرص الاستخدام الزراعي فيها، وتظهر فيها بعض النشاطات الرعوية وكذلك النشاطات السياحية كالمصايف كما تقوم عليها بعض الصناعات الاستراتيجية كما هو الحال في مصفاة الزويتينة النفطية.

ويتبين من خلال الدراسة أن القوام السائد في ترب المناطق الساحلية في الجزء الشرقي من منطقة الدراسة هو القوام الطيني، حيث يغلب عليها الطين والسلت اللذان سجلاَ ما يعادل 55.64% و 30.44% على التوالي وهو نسبة مرتفعة بينما معدل الرمل في هذا النوع من الترب لم يتجاوز 13.92%. ونظراً للنشاط الزراعي السائد في هذا الجزء من منطقة الدراسة وزيادة العمليات الزراعية فيها وبالتالي تأثر بناء التربة فأصبح هشاً مما ساهم في زيادة النشاط الزراعي في تلك المنطقة ، جدول (2).

جدول (2) القوام للترب الساحلية في منطقة الدراسه

الخاصية	عينة ترب ساحلية شرق منطقة الدراسة				عينة ترب ساحلية غرب منطقة الدراسة			
	سلت	رمل	طين	القوام	سلت	رمل	طين	القوام
القوام	30.44	13.92	55.64	طيني	54	32	14	طيني لومي

المصدر: الدراسة المعملية

ويبدأ القوام في التغير بالاتجاه غرباً، حيث يتميز القوام في هذا الجزء بالقوام السلتي، وقد ترتفع فيه نسبة الرمل على حساب السلت والطين وهذا مرجعه إلى حركة الرمال الشاطئية في هذا

الجزء من منطقة الدراسة، حيث أن عامل الرياح في تلك المنطقة يكون نشطاً، ذلك بسبب غياب الموانع الطبيعية الأمر الذي من شأنه نقل الرمال من مكان إلى آخر وبالتالي زيادة حصة تلك الأراضي من الرمل على حساب السلت والطين ، وخاصة الجزء السطحي منه.

ولذلك يلاحظ ارتفاع نسبة السلت في ترب تلك المناطق الساحلية ليصل إلى 54% من إجمالي القوام يليه الرمل مسجلاً 32% ثم الطين 14%.

كما يمكن ملاحظة التباين الواضح في خصائص التربة الكيميائية في ترب المناطق الساحلية، فيلاحظ من خلال الجدول (3) التفاوت الواضح في نسبة كلٌ من كربونات الكالسيوم والبيكربونات بين ترب الساحل في الشرق ونظيرتها في غرب منطقة الدراسة وكذلك الأمر مع التوصيل الكهربي E.C ودرجة تفاعل التربة PH والأملاح الكلية الذائبة T.D.S، وهذا مرجعه إلى سبب رئيسي وهو أحد العوامل الرئيسية المكونة للتربة وهو العامل النشط ، فالمناخ هو العامل الرئيسي من عوامل التربة والذي يمكن ملاحظة تأثيره على الترب في المناطق الساحلية في سهل بنغازي، فالجزء الشرقي من السهل يتميز بمناخه الرطب مقارنة مع الجزء الغربي من السهل الذي يغلب عليه المناخ الجاف، ولذلك فإن معدلات الهطول في الجزء الشرقي من السهل تزيد عن تلك الكميات المسجلة في الجزء الغربي منه، الأمر الذي يحدد عمليات الغسيل من عدمها في ترب المناطق الساحلية، فارتفاع نسبة كربونات الكالسيوم والبيكربونات وزيادة الأملاح الذائبة في ترب المناطق الساحلية غرب السهل عن ترب الساحل شرق السهل ، مرجعه الأساسي إلى قلة عمليات الغسيل وانعدامها في ذلك الجزء، وبالتالي تركز هذه المكونات في الجزء السطحي من التربة، وعدم ترشحها إلى داخل قطاع التربة، وهذا بسبب قلة الهطول وغياب العمليات الزراعية في هذا الجزء كعمليات الري، والتي من شأنها غسيل التربة وترشيح مكونات الجزء السطحي منها إلى داخل القطاع، عكس التربة الساحلية في الجزء الشرقي من السهل حيث زيادة معدلات الهطول، ووجود نشاط زراعي يعتمد على عمليات الري السطحي الدائم، كزراعة محاصيل الخضر والفواكه، وبالتالي وجود عمليات غسيل من شأنها التقليل من تركيز هذه العناصر والمكونات في التربة وترشيحها داخل قطاع التربة، وهو ما أظهر الاختلاف الواضح في التركيب الكيميائي للترب الساحلية من جزء لآخر في منطقة الدراسة، وهذا بدوره انعكس على تركيز الأملاح في التربة واختلاف PH و E.C بين عينتي التربة المدروسة، فكان تركيز الأملاح الذائبة غرب السهل أكثر منه في شرق السهل، مع أن زيادة تركيز الأملاح قد يرتبط بالقرب من البحر إلا أن التباين كان مرجعه كما أسلفنا إلى كميات الهطول وعمليات الغسيل، وزيادة تركيز الأملاح في التربة غرب السهل أثر في درجة تفاعل التربة PH حيث أن زيادة تركيز الأملاح يزيد من تركيز PH التربة، وهو ما يمكن ملاحظته في العينات التي تمّ دراستها فقد سجل الـ PH 8.4 في تربة غرب السهل و 7.34 في تربة شرق السهل، أي أن الترب في الجزء الغربي تميل إلى الوسط القاعدي والترب في شرق السهل تميل إلى التعادل في درجة تفاعلها في التربة.

جدول (3) تركيز كربونات الكالسيوم والبيكربونات والأملاح الذائبة
والتوصيل الكهربي و PH في الترب الساحلية

التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي

التربة	%Caco3	%Hco3	E.C جزء من المليون	PH	T.D.S مليمكافي-لتر
شرق السهل	4	1.4	1103	7.57	706
غرب السهل	34	4.6	1850	8.4	1172

المصدر: الدراسة المعملية

أما من ناحية العناصر المغذية في التربة والمادة العضوية وكذلك الكربون العضوي، فتبين من خلال الدراسة المعملية أن هناك تبايناً في تركيز هذه العناصر بين عينتي التربة، حيث أن تركيز النيتروجين قليل جداً في عينتي الدراسة، وهو الصفة الغالبة في التربة في سهل بنغازي حيث أن التربة تعاني من النقص الشديد في تركيز النيتروجين والذي يتم تعويضه من خلال إضافة الأسمدة للتربة في المناطق الزراعية، كما لوحظ من خلال هذه الدراسة أن تركيز البوتاسيوم والفوسفور في الترب الساحلية شرق السهل أكثر من تركيز هذه العناصر في نظيرتها غرب السهل، وهو ما يميز الترب الساحلية في الجزء الشرقي عنه في الجزء الغربي من حيث استخدام الأرض، فنجد أن سكان المناطق الساحلية في الجزء الشرقي من السهل يمارسون النشاط الزراعي وخاصة زراعة الخضراوات والفواكه نظراً لما تحويه هذه التربة من عناصر مغذية من شأنها ملائمة نمو بعض النباتات، بينما الترب الساحلية في الجزء الغربي من السهل تميز بانخفاض خصوبتها وانعدام النشاط الزراعي جدول.

أما المادة العضوية والكربون العضوي يعطيان الدلالة الواضحة عن مدى تباين الخصوبة بين ترب الساحل الشرقي وترب الساحل الغربي في منطقة الدراسة، فتركيز المادة العضوية والكربون العضوي في العينة المأخوذة من شرق السهل أكثر من تلك المأخوذة من الجزء الغربي منه، كما أن زراعة الخضراوات والفواكه في المناطق الساحلية كان من شأنه زيادة تركيز المادة العضوية في هذه الترب، فنجد أن تركيز المادة العضوية والكربون العضوي في العينة المأخوذة من التربة الساحلية شرق السهل يرتفع فيها نسبة المادة العضوية والكربون العضوي عن تلك العينة المأخوذة من التربة الساحلية غرب السهل، حيث وصلت نسبة المادة العضوية إلى حوالي 3.2% والكربون العضوي 1.8% شرق السهل وهي نسبة مرتفعة إذا ما قورنت بعينة التربة الساحلية غرب السهل والتي سجلت حوالي 0.07% مادة عضوية و 0.03% كربون عضوي جدول (4).

جدول (4) تركيز النيتروجين والفوسفور والبوتاسيوم والمادة العضوية والكربون في الترب الساحلية

توع العينة	النيتروجين الكلي N%	الفوسفور Ppm (P)	البوتاسيوم pmm K	المادة لعضوية %	الكربون العضوي %
الأراضي الساحلية	0.073	46.17	1059	7.12	4.14

المصدر: الدراسة المعملية

التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي

وبحساب معامل الاختلاف لعينتي التربة يتبين وجود تباين في معامل الاختلاف في خصائص التربة الساحلية ،جدول (5).

جدول (5) معامل الاختلاف في خصائص التربة الكيميائية للترب الساحلية

الخاصية	شرق السهل	غرب السهل	معامل الاختلاف%
Caco3	4	34	79
Hco3	1.4	4.6	53.3
E.C	1103	1850	25.3
PH	7.57	8.4	5.3
T.D.S	706	1172	24.8
النيتروجين	0.073	0.064	7.3
الفوسفور	46.17	12.8	56.9
البوتاسيوم	1059	464	36.7
المادة العضوية	3.2	1.8	28
الكربون العضوي	0.07	0.03	40

المصدر: حسبت من نتائج التحاليل المعملية

ثانياً : ترب المناطق السهلية:

وهي أكثر أنواع الترب انتشاراً ، وأكثرها مساحة من حيث التوزيع المكاني ، وتعادل مساحتها أكثر من 2/3 منطقة الدراسة حيث يغطي هذا النوع من الترب ما مساحته 82.44% من المساحة الكلية ، وتختلف خصائص التربة فيها من مكان لآخر فالترب السهلية في الجزء الشرقي المحصور فيما بين طلميثة ومدينة بنغازي يتميز عن الجزء الغربي المحصور فيما بين بنغازي والزويتينة ، ولذلك تم تقسيم ترب المناطق السهلية إلى جزأين رئيسيين كالتالي :

1. الترب السهلية الزراعية وتمثل 15.3% من المساحة الكلية.

أ. الترب البعلية. ب.الترب المروية. ج.الأراضي البور.

2. الترب السهلية الرعوية " ترب المراعي " وتمثل 67.14% من إجمالي المساحة.

وكان لكل تقسيم من تقسيمات الترب السهلية خصائصه الفيزيائية والكيميائية التي تميزه عن نظيره ، وهو ما تمّ استنتاجه من خلال العينات السطحية التي تمّ تجميعها من الترب السهلية ، ومن خلال إجراء بعض التجارب عليها ثم التوصل إلى مجموعة من الخصائص الكيميائية والفيزيائية ،

فعلى سبيل المثال ومن خلال إجراء التحليل الميكانيكي لعينتي الدراسة ، تمّ تحديد القوام السائد في الترب السهلية جدول (6).

حيث تبين من خلال الجدول (6) أن هناك اختلافاً في نوع القوام السائد مع أن التربة جغرافياً من ترب المناطق السهلية ، ومرجع هذا الاختلاف يكون المناخ وهو أحد عوامل تكوين التربة ، وهو العامل النشط في منطقة الدراسة كما أسلفنا ، وترب المناطق السهلية في منطقة الدراسة تتوزع جغرافياً على النحو الآتي : -

1. الترب البعلية والترب المروية وتتواجد في الجزء الشرقي من السهل من رأس المثلث وحتى مدينة بنغازي .
2. ترب المراعي، ويسود هذا النوع الجزء الغربي من السهل بداية من حدود بنغازي وحتى الوصول إلى قاعدة المثلث فيما بين الزويتينة وانتلات.

جدول (6) القوام في الأراضي السهلية

العينة	القوام			
	الرمل	السلت	الطين	القوام
الترب البور	18.5	37	44.5	طيني
الترب البعلية	17.92	36.44	45.64	طيني
الترب المروية	19.92	40.44	39.64	طيني لومي
ترب المراعي	29.92	37.44	32.64	سلتي طيني

المصدر: الدراسة المعملية

ويلاحظ من الجدول زيادة الرمل في ترب المراعي مقارنة بالترب البعلية والمروية حيث أن الرمل يصل في الأول إلى حوالي 29.92% بينما في الثانية وصل إلى 17.92% في الترب البعلية و 19.92% في الترب المروية، بينما ينخفض كل من السلت والطين في ترب المراعي مقارنة بالسلت والطين في باقي أنواع الترب السهلية، فيزيد السلت والطين في الترب البعلية مسجلاً 36.44% للسلت و 45.64% للطين في الأراضي البعلية، بينما يزيد السلت ليصل إلى 40.44% في الأراضي المروية ويقل الطين في هذا الجزء من الأراضي ليصل إلى 39.64%، وذلك بسبب عمليات الري السائدة في الأراضي المروية والتي من شأنها ترسيب الطين إلى داخل القطاع وبالتالي يكون عمقه من الطين أكبر من نظيريه السلت والرمل، وبالتالي أثبتت هذه الدراسة الاختلاف الواضح للقوام في ترب المناطق السهلية حيث يسود أحد أنواع القوام على حساب الأخرى وذلك حسب نوع التربة السائد بعلية أو مروية أو مراعي.

كما يمكن من خلال التحاليل المعملية التي تمّ إجراؤها معرفة التباين في خصائص التربة الكيميائية لترب المناطق السهلية ، فعلى سبيل المثال تركيز كربونات الكالسيوم يختلف فيما بين أنواع الترب السهلية المدروسة ، فنجده يزداد تركيزاً في ترب المراعي ليصل إلى 27% ويقل

تركيزه في الأراضي المروية ليصل إلى 11% ثم في الترب البعلية ليسجل 3% أقل أنواع الترب السهلية تركيزاً في كربونات الكالسيوم هي الأراضي البور حيث سجلت 1% من تركيز كربونات الكالسيوم، وهذا مرجعه بالدرجة الأولى إلى عامل المناخ والغسيل ، فترب المراعي مثلاً مناخها جاف وعمليات الغسيل فيها ضعيفة ، الأمر الذي زاد من تركيز كربونات الكالسيوم في السطح، أما الأراضي البعلية والبور فالتركيز قليل وذلك بسبب عمليات الغسيل المتمثلة في مياه الأمطار، والتي من شأنها التخفيف من تركيز كربونات الكالسيوم في التربة ، وتستثنى في ذلك الترب المروية حيث أن عمليات الغمر والري السطحي ونشاط الخاصية الشعرية أدى في النهاية إلى زيادة تركيز كربونات الكالسيوم فيها إلى حد ما جدول (7).

جدول (7) تركيز كربونات الكالسيوم والبيكربونات والأملاح
الكلية الذائبة و PH في ترب المناطق السهلية

التربة	Caco3	Hco3	T.D.S	PH	E.C
الأراضي البور	1	2.0	272	7.52	425
المروية	11	1.5	266	7.5	415
البعلية	3	1.7	350	7.51	547
المراعي	27	2.3	5728	8.15	8950

المصدر: الدراسة المعملية

ومن الجدول السابق يمكن استنتاج أن درجة تفاعل التربة (PH) T.D.S ، و E.C تتباين فيما بينها في ترب المناطق السهلية، فزيادة PH يترتب عليه ارتفاع معدلات وتراكيز الأملاح الذائبة والتوصيل الكهربي في التربة، حيث أن معدلات هذه الخصائص ترتفع في ترب المراعي بشكل كبير جداً وذلك بسبب قلة عمليات الغسيل وسيادة المناخ الجاف في هذه الترب، ويقل تركيز هذه العناصر في باقي أنواع الترب السهلية لزيادة نشاط معدلات الغسيل فيها وذلك لسيادة المناخ شبه الرطب في هذا الجزء من منطقة الدراسة.

ولقد سجل معامل الاختلاف في كربونات الكالسيوم بين الأراضي البور والمراعي معدلاً مرتفعاً وصل إلى حوالي 92.85%.

ويتغير اللون كلما اتجهنا شرقاً بحيث أن التربة تزداد فيها دكانة اللون الأحمر، وهذا ما يرجح زيادة تركيز أكاسيد الحديد على حساب باقي أنواع الأكاسيد كأكسيد السليكا على سبيل المثال.

أما من ناحية الخصوبة كما هو موضح من الجدول (8) فنجد أن الترب السهلية تتميز بانخفاض نسبة النيتروجين بصفة عامة، حيث أن أعلى معدلات تسجيل للنيتروجين الكلي سجلت في الأراضي البور والتي بلغت 0.2% تقريباً، وأدناها المروية والتي سجلت 0.11% من نسبة النيتروجين الكلي، ومرجع هذا النقص إلى زيادة احتياج النبات لمثل هذا العنصر، كما أن هذا النقص هو الصفة السائدة في ترب سهل بنغازي، ولذلك يعوض هذا النقص بإضافة الأسمدة

المحتوية على نسبة عالية من النيتروجين كأسمدة اليوريا، وكذلك الحال بالنسبة للبوتاسيوم والفوسفور حيث يلاحظ من الجدول السابق، التقارب الكبير في تركيز هذين العنصرين، فعلى سبيل المثال ينخفض تركيز الفوسفور في ترب المراعي ليصل إلى 5.9 جزء من المليون، ويرتفع إلى مستويات أعلى في الأراضي البور مسجلاً 25.73 جزء من المليون، وهذا يدل على أن الأراضي البور هي أكثر الأراضي إنتاجاً لعنصر الفوسفور وذلك لعدم استهلاك هذه الأراضي وعدم زراعتها لفترات متواصلة، فالترب تحتاج إلى فترات من الراحة لتجديد نشاطها وحيويتها وبالتالي زيادة خصوبتها (الدورة الزراعية) وكذلك تركيز البوتاسيوم والذي يرتفع إلى حد ما في المناطق السهلية فنجده في أعلى معدلاته في الأراضي البعلية والذي يساوي 1092 جزء من المليون وأدناها تركيزاً في البوتاسيوم الأراضي البور والذي وصل إلى 668 جزء من المليون. وهذا التدني والارتفاع في تركيز هذه المغذيات الكبرى تتحكم في العديد من العوامل على رأسها المناخ ومعدلات الجفاف في منطقة الدراسة، والتي تتحكم بدورها في معدلات التجوية والغسيل وبالتالي تركيز هذه العناصر من عدمه.

أما الجزء الثاني من خصوبة التربة والمتعلق بالمادة العضوية والكربون العضوي، فانخفاضها هو السمة السائدة في ترب المناطق السهلية كما هو موضح من الجدول فأعلى معدلاته سجلت في الأراضي البور والتي وصلت فيها المادة العضوية إلى حوالي 2.23% والكربون العضوي سجل ما يعادل 1.49%، وكان أدنى معدلات المادة العضوية والكربون العضوي في ترب المراعي والتي سجلت 0.47% للمادة العضوية 0.27% للكربون العضوي وذلك بسبب انعدام الحياة النباتية في ذلك الجزء من منطقة الدراسة وكذلك سيادة المناخ الجاف حيث أن ارتفاع معدلات الحرارة من شأنه زيادة تحليل المادة العضوية وبالتالي انخفاض معدلات المادة العضوية والكربون العضوي في التربة (الخطيب، 2006، ص46) بالتالي يكون معامل الاختلاف في تركيز المادة العضوية بين الأراضي البور والمراعي مرتفعاً ويصل إلى حوالي 1%، ويلاحظ كما أسلفنا في الفصل الثاني أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المادة العضوية والكربون العضوي حيث أن زيادة المادة العضوية تعني بالضرورة زيادة الكربون العضوي ونقصها في التربة يعني نقصان تركيز الكربون العضوي فيها.

جدول (8) تركيز النيتروجين والفوسفور والبوتاسيوم والمادة العضوية والكربون في الترب الساحلية

نوع العينة	النيتروجين الكلي N%	الفوسفور (P) Ppm	البوتاسيوم K pmm	المادة لعضوية %	الكربون العضوي %
الاراضي البعلية	0.126	22.9	1092	2.44	1.42
الاراضي المروية	0.20	18.13	749	0.84	1.49
الاراضي البور	0.129	25.73	668	2.23	1.29

المصدر: الدراسة المعملية

التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي

ثالثاً: ترب الغابات:

يرتبط وجود هذه الغابات بترب التيراروزا، فنجد أن هذا النوع من الأشجار الدائمة الخضرة ، يتواجد في الجزء الشرقي من السهل ، وتحديداً في المنطقة المحصورة فيما بين رأس المثلث عند منطقة طلميثة وحتى منطقة سيدي خليفة ، وتمتد هذه الأشجار بمحاذاة الشريط الساحلي ويفصلها عن الساحل حوالي 3 كم ، وهي إما أن تكون في مساحات متناسقة أو تتواجد في صورة متناثرة على طول هذه المنطقة ، وتقدر مساحة ترب الغابات بحوالي 2.52% من مساحة التربة الكلية في سهل بنغازي .

ويلاحظ من خلال الدراسة الحقلية أن عمق قطاع التربة بسيط في ترب الغابات، ولا يتعدى 15 - 20 سم والذي قد يصل إلى الصفر أحياناً، وهي أحد الصفات المميزة لترب الغابات في منطقة الدراسة ، وتتميز ترب الغابات بقوامها اللومي حيث تتقارب فيه معدلات السلت والطين على حساب معدلات الرمل ، فقد سجلت تجارب التحليل الميكانيكي لعينات تربة الغابات ما يعادل 24.44% للسلت و 40.92% للطين،أما نسبة الرمل فلم تتعدى 16.64% وباستخدام مثلث القوام يكون القوام السائد لترب الغابات هو القوام اللومي، جدول (9).

جدول (9) القوام في ترب الغابات

نوع التربة	القوام			
	رمل %	سلت %	طين %	القوام
الغابات	16.64	42.44	40.92	لومي

المصدر: الدراسة المعملية

ويلاحظ من خلال الجدول أن معدلات السلت والطين متقاربة في ترب الغابات ، وتتناقص فيها معدلات الرمل ، وهو ما يمكن ملاحظته على ترب التيراروزا عامة ، حيث تغلب معدلات السلت والطين على معدلات الرمل في التربة ، ولذلك يغلب اللون الأحمر إلى البني على ترب التيراروزا بصفة عامة وترب الغابات بصفة خاصة ، حيث تزيد معدلات أكاسيد الحديد والمغنسيوم في ترب التيراروزا ولذلك تسمى بالترب الحمراء ، كما أنه يمكن ملاحظة تكرار تقارب معدلات السلت والطين في ترب الجزء الشرقي من السهل حيث توجد هذه الغابات كما تمّ ذكره.

أما من ناحية خصائص ترب الغابات الكيميائية فهي لا تختلف عن نظيراتها وخاصة الترب المروية والبعلية مع اختلاف بسيط في معدلات المادة العضوية والكربون العضوي ، فعلى سبيل المثال فإن وقوع هذه الغابات في مناطق ذات معدلات هطول جيدة ، والذي بدوره أنعكس على معدلات غسيل التربة فيها ، فنجد أن تركيز كربونات الكالسيوم قليل حيث وصل إلى 3% وكذلك الأملاح الذائبة في التربة والتي قدرت بحوالي 324 جزء من المليون وهي معدلات جيدة ، وهذا مرجعه الأساسي إلى عمليات الغسيل الجيدة للأملاح في التربة ، كما أن درجة الحموضة "PH "

تميل إلى التعادل أكثر منه إلى القلوية وهي بيئة مناسبة لنمو النباتات الطبيعية فيها، وكذلك بيئة مناسبة لزيادة معدلات التفاعلات الحيوية في التربة، جدول (10).

جدول (10) تركيز كربونات الكالسيوم والبيكربونات والأملاح الذائبة و PH في ترب الغابات

نوع التربة	الخاصية			
	Caco3	Hco3	T.D.S	PH
الغابات	3	1.9	324	7.4

المصدر: الدراسة المعملية

ومن ناحية الخصوبة فإن معدلات المغذيات الكبرى تتباين فيما بينها في ترب الغابات حيث تنخفض معدلات النيتروجين الكلي لتصل إلى 0.092 وهي نسبة قليلة جداً وهذا يدل على أن جميع النيتروجين الموجودة في التربة قد استهلك، ونظراً لقلة سمك قطاع التربة في ترب الغابات الأمر الذي أثر على عمليات تعويض النقص من النيتروجين حيث أن إضافة الأسمدة النيتروجينية قد تغسل بمياه الأمطار ولا تترشح داخل التربة، بسبب انعدام قطاع التربة واقتراب الصخور من السطح حيث قد تسجل أعماقاً تصل إلى الصفر في ترب الغابات .أما من ناحية تركيز الفوسفور فإن ترب الغابات من أكثر أنواع الترب التي تمّ دراستها من ناحية تركيز الفوسفور، مع أن هذه المعدلات قد لا تكفي في تغذية النباتات إلا أن هذه المعدلات جيدة في مثل ظروف هذه الترب، حيث وصلت معدلات الفوسفور في ترب الغابات إلى 24.76 جزءًا من المليون وهي معدلات عالية إذا ما قورنت بباقي أنواع الترب المدروسة، وهذا بدوره ينطبق على البوتاسيوم حيث أن معدلات البوتاسيوم في ترب الغابات جيدة ومرتفعة إلى حد ما مقارنة بأنواع ترب أخرى، فقد سجلت معدلات للفوسفور وصلت إلى 717 جزء من المليون ، جدول (11).

ومن ناحية الجزء الآخر من الخصوبة وهو المادة العضوية والكربون العضوي ، فإن ترب الغابات أكثر أنواع الترب التي تمّ دراستها من ناحية تركيز المادة العضوية والكربون العضوي بعد ترب المناطق الساحلية ، فقد وصلت ترب الغابات إلى 2.93% للمادة العضوية و 1.7% للكربون العضوي وهي نسب وإن كانت قليلة ولا تعطي معدلات خصوبة عالية إلا أنها من أكثر التراكيز التي تمّ دراستها في منطقة الدراسة، وهذا الارتفاع في معدلات المادة العضوية والكربون العضوي يرجع إلى أن النباتات التي تنمو تحت هذه الأشجار وهي عبارة عن نباتات موسمية تذبل وتموت بنهاية موسم نموها، ولأن وجودها في مناطق ظل الأشجار قلّل من نسبة تحللها بأشعة الشمس وبالتالي زيادة تركيزها في التربة ، وبهذا تكون ترب الغابات من أكثر أنواع ترب منطقة الدراسة من ناحية المادة العضوية والكربون العضوي.

جدول (11) تركيز النيتروجين و الفوسفور والبوتاسيوم والمادة العضوية والكربون العضوي في ترب الغابات

نوع العينة	النيتروجين الكلي N%	الفوسفورالميسر (P) Ppm	البوتاسيوم المتيسر K pmm	المادة لعضوية %	الكربون العضوي %
الغابات	0.092	24.76	717	2.93	1.7

المصدر: الدراسة المعملية

رابعاً: ترب الأودية:

وهو رابع تصنيف جغرافي لتربة منطقة الدراسة، وتغطي ما مساحته 2.5%، وهو أقل أنواع التصانيف تمثيلاً في منطقة الدراسة، وهذه الأودية تتوزع جغرافياً إلى أودية شرق السهل وأودية غرب السهل، وكما جاء في الفصل الأول فإن أكبر هذه الأودية هي وادي سيدي موسى في شرق السهل ووادي القطارة في غرب السهل، وتتواجد بعض الأودية الصغيرة شرق السهل وتقع فيما بين منطقتي توكرة ورأس المثلث "عند التقاء الحافة بالساحل" إن هذه الأودية تتشابه في خصائص التربة فيها مع وادي سيدي موسى، حيث يغلب عليها ترب التيراروزا، بينما وادي القطارة يكتسب خصائص ترب غرب السهل، ولدراسة خصائص التربة في هذه الأودية تمّ تقسيم ترب الوادي إلى ثلاثة أقسام على الشكل الآتي:

1. ترب قاع الوادي.
2. ترب المصاطب.
3. ترب مصب الوادي.

وقد تبين من خلال الدراسة المعملية وجود تباين في خصائص التربة الفيزيائية والكيميائية للأودية المدروسة، فالقوام مثلاً لم يحدث فارقاً ملموساً، حيث أنه من خلال تجارب التحليل الميكانيكي لتربة وادي سيدي موسى تبين أن القوام الطيني هو السائد، سواء في المصبات أو المصاطب أو قاع الوادي، حيث كانت نسبة الطين متقاربة وكذلك السلت والرمل، جدول (12).

جدول (12) القوام في تربة وادي سيدي موسى

نوع التربة	القوام			
	طين %	رمل %	سلت %	القوام
ترب القاع	54.64	13.92	33.44	طيني
ترب المصاطب	49.64	20.92	29.44	طيني
ترب المصب	51.64	18.92	29.44	طيني

المصدر: الدراسة المعملية

ويتبين من خلال الجدول السابق أن نسبة الطين في قاع الوادي 52.64% والمصاطب 49.64% ومصب وادي سيدي موسى كانت فيه نسبة الطين 51.64%، أما نسبة الرمل فقد سجل وادي سيدي موسى ما يعادل 13.92% لقاع الوادي 20.92% لمصطبة الوادي ومصب الوادي 18.92%، ونسبة السلت 33.44% لترب القاع و 29.44% لترب المصاطب 29.44 لترب مصب الوادي، ويلاحظ من خلال هذه النسب ارتفاع معدلات الطين على حساب كل من السلت والرمل في تربة وادي سيدي موسى، حيث كان المتوسط العام الطين تربة وادي سيدي موسى 51.3% ومتوسط معدلات السلت في ترب نفس الوادي30.77%، بينما سجلت متوسطات الرمل في ترب وادي سيدي موسى ما يعادل 19.25، وبالتالي تبين أن معدلات الطين تزيد عن الرمل والسلت في تربة وادي سيدي موسى، وهذا بدوره ينطبق على باقي أودية شرق السهل والتي سجلت معدلات متقاربة في نسبة الرمل والرمل والطين وبالتالي سيادة القوام الطيني في هذه الأودية، جدول (13).

جدول (13) القوام في تربة بعض أودية شرق سهل بنغازي

الوادي	القوام			
	طين	رمل	سلت	القوام
العصر	52.54	14.92	34.54	طيني
زيوان	51.54	19.92	30.54	طيني
الملكة	50.64	19.92	29.44	طيني

المصدر: الدراسة المعملية

أما من ناحية غرب السهل فإن وادي القطارة هو الوادي الوحيد الذي يصب في البحر، وهو أكبر أودية السهل وهو من أكبر الأودية في البلاد ، وقوام التربة في هذا الوادي يختلف عن قوام التربة في سابقيه، حيث تختلف نسب الرمل والسلت والطين عن تلك الموجودة في أودية شرق السهل، حيث تبين من خلال التحاليل المعملية ارتفاع نسبة السلت والرمل على حساب الطين في عينات التربة التي تمّ اختيارها في وادي القطارة فقد سجلت معدلات السلت ما يعادل 54% من الحجم الكلي للطين يليها الرمل بنسبة 32% ، ثم الطين والذي سجل أقل المعدلات بنسبة 14% من حجم التربة الكلي، جدول (14).

جدول (14) القوام في تربة بعض أودية غرب سهل بنغازي

نوع التربة	القوام			
	طين	رمل	سلت	القوام
قاع الوادي	14	32	54	سلتي لومي
المصطبة	13.5	31.5	54	سلتي لومي
المصب	14.5	32	53.5	سلتي لومي

المصدر: الدراسة المعملية

التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي

وبالتالي سيادة القوام السلتي في التربة في وادي القطارة، وهو ما يجعل الاختلاف واضحاً في قوام التربة بين أودية شرق السهل وغربه، حيث تتأثر هذه الأودية بالقوام السائدة في التربة في تلك الأنحاء، فالقوام الطيني هو ما يميز ترب شرق السهل "التيراروزا" الحمراء،والقوام السلتي هو ما يميز ترب شرق السهل حيث سيادة التربة السلكاتية الصفراء، أي أن معدلات السلت في التربة تزيد عن باقي مكونات القوام كالرمل والطين في تربة وادي القطارة وأما من ناحية الخصائص الكيميائية لترب الأودية في منطقة الدراسة فقد تبين من خلال تحليل عينات التربة أن هناك تشابهاً واضحاً في خصائص ترب أودية شرق السهل واختلاف في خصائص التربة الكيميائية فيما بينها وبين ترب أودية غرب السهل، حيث تبين من خلال الجدول (15) ارتفاع معدلات الأملاح الكلية الذائبة في تربة وادي القطارة وكذلك ارتفاع الحموضة "PH" والتوصيل الكهربي "E.C" وكذلك ارتفاع معدلات كربونات الكالسيوم، على عكس وادي سيدي موسى والذي انخفضت فيه تراكيز معدلات العناصر السابقة، جدول (16) وهذا الاختلاف الواضح يمكن إرجاعه إلى اختلاف المناخ فيما بين أودية شرق السهل وأودية غرب السهل، حيث سيادة المناخ الشبه رطب في شرق السهل، الذي تظهر ملامحه على ترب أودية ذلك الجزء من منطقة الدراسة، والمناخ الجاف هو السمة الرئيسية لتربة وادي القطارة في غرب السهل، والذي ينعكس بالدرجة الأولى على زيادة معدلات الغسيل من عدمها وبالتالي زيادة تركيز الأملاح وكربونات الكالسيوم والبيكربونات PH و E.C في ترب وادي القطارة عنه في ترب وادي سيدي موسى.

جدول (15) تركيز كربونات الكالسيوم والبيكربونات والأملاح الذائبة PH وادي سدي موسى

الوادي سيدي موسى	الخاصية				
	Caco3	Hco3	E.C	PH	T.D.S
قاع الوادي	9	1.7	794	7.49	508
المصطبة	12	1.4	1094	7.74	700
المصب	2	1.7	1044	7.72	668

المصدر: الدراسة المعملية

وادي القطارة **PH** جدول (16) تركيز كربونات الكالسيوم والبيكربونات والأملاح الذائبة

وادي القطارة	الخاصية				
	Caco3	Hco3	E.C	PH	T.D.S
قاع الوادي	**31**	**3.6**	**987**	**7.8**	**843**
المصطبة	**31**	**4.0**	**1009**	**7.8**	**876**
المصب	**33**	**4.1**	**1225**	**8.0**	**923**

المصدر: الدراسة المعملية

التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي

كما يمكن من خلال الجدولين السابقين ملاحظة ارتفاع معدلات الأملاح وكربونات الكالسيوم في مصاطب الأودية مقارنة بقيعان الأودية ومصباتها، وهذا بدوره يميز التربة في مصبات الأودية بمواصفات خصوبة جيدة، وذلك لارتفاع معدلات الغسيل حيث أن المصب هو نهاية جريان المياه وبالتالي تركيز المياه في هذا الجزء وبالتالي زيادة تركيز عمليات الغسيل وترشيح الأملاح في قاع التربة، كما يلاحظ أن ارتفاع معدلات الأملاح وكربونات الكالسيوم و PH في ترب وادي القطارة عنه في تربة وادي موسى ، وذلك للمناخ السائدة في غرب السهل والذي يقع وادي القطارة ضمن نطاقه الجغرافي، وبالتالي انخفاض معدلات الهطول وقلة غسيل التربة وزيادة تركيز الأملاح، ولذلك يتميز مصب وادي القطارة بارتفاع معدلات خصوبة التربة فيه حيث تساهم هذه الخصوبة في زراعة العديد من المحاصيل وخاصة محاصيل الحبوب، والتي تكون في أعلى مستوياتها في السنوات التي يزيد فيها تركيز الهطول، الأمر الذي ينعكس على المحاصيل التي تزرع في مصب وادي القطارة وعلى أطرافه ولذلك تكون معدلات الإنتاج جيدة إذا ما قورنت بباقي أجزاء التربة في غرب السهل.

وبالنظر إلى متوسطات الأملاح الذائبة وكربونات الكالسيوم و PH و E.C يلاحظ ارتفاع معدلاتها في تربة وادي القطارة عنه في تربة وادي سيدي موسى حيث بلغت معدلات الأملاح الذائبة على سبيل المثال في وادي سيدي موسى 625 جزءًا من المليون وفي وادي القطارة 843 جزءًا من المليون كما بلغ متوسط PH في تربة وادي سيدي موسى 7.3 بينما بلغ متوسط PH في وادي القطارة 7.8 وبلغ متوسط التوصيل الكهربي E.C في وادي سيدي موسى 855 مليسمنز/ سم، ووادي القطارة بلغ E.C ما متوسطه 965 مليسمنز/ سم.

ومن ناحية الخصوبة فهي تتباين بين أودية شرق السهل وغربه، فالأودية في شرق السهل أكثر خصوبة من أودية غرب السهل، ولذلك يغلب النشاط الزراعي في أودية شرق السهل، بينما يكون النشاط الرعوي هو النشاط الاقتصادي السائد في أودية غرب السهل، ومن خلال الجدولين (17) ، (18) تبين انخفاض تركيز النيتروجين في تربة أودية منطقة الدراسة، بينما تزيد معدلات الفوسفور في قيعان أودية شرق السهل ومصباتها وتنخفض معدلات الفوسفور في مصاطب أودية شرق السهل، أما أودية غرب السهل "وادي القطارة" فيلاحظ انخفاض معدلات الفوسفور فيها بصفة عامة حيث يبلغ متوسط الفوسفور في وادي القطارة 8.4 جزء من المليون بينما في وادي سيدي موسى 14.8 جزءًا من المليون، أما معدلات البوتاسيوم في وادي غرب السهل فتزيد بمعدل الضعف عن تركيز البوتاسيوم في أودية شرق السهل، حيث سجل البوتاسيوم في وادي سيدي موسى ما معدله 673 جزءًا من المليون بينما سجل البوتاسيوم في وادي القطارة غرب السهل ما متوسطه 506 جزءًا من المليون وهي معدلات ضعيفة مقارنة بأودية شرق السهل، وهي من أكثر مناطق الدراسة انخفاضاً في معدلات البوتاسيوم .

التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي

جدول (17) تركيز النيتروجين والبوتاسيوم والفوسفور في وادي سيدي موسى

الوادي	الخاصية		
	النيتروجين %	الفوسفور ppm	البوتاسيوم ppm
قاع الوادي	0.1	17.64	505
المصطبة	0.09	7.85	733
المصب	0.18	19.16	782

المصدر: الدراسة المعملية

جدول (18) تركيز النيتروجين والبوتاسيوم والفوسفور في وادي القطارة

وادي القطارة	الخاصية		
	النيتروجين%	الفوسفورppm	البوتاسيومppm
قاع الوادي	0.08	9.3	654
المصطبة	0.06	8.8	543
المصب	0.063	7.1	322

المصدر: الدراسة المعملية

أما الشق الثاني من الخصوبة تركيز المادة العضوية والكربون العضوي فقد تبين من خلال الجدول (19) أن هناك اختلافاً في تركيز المادة العضوية والكربون العضوي فيما بين ترب أودية غرب السهل وتربة أودية شرق السهل، مع أن انخفاض تركيز المادة العضوية والكربون العضوي هو الصفة الغالبة على ترب هذه الأودية، ويرجع الاختلاف في تركيز المادة العضوية والكربون العضوي إلى كثافة الغطاء النباتي والذي يرتبط بدوره ارتباطاً مباشراً مع المناخ السائد، فأودية شرق السهل تتميز بمناخها شبه الرطب الذي انعكس على النبات السائد في هذه الأودية حيث ظهور بعض النباتات الموسمية والأعشاب المرتبطة بهطول الأمطار شتاءً، والتي عند ظهور فصل الصيف وارتفاع درجات الحرارة تموت وتتحلل داخل قطاع التربة وبالتالي تزيد من كميات المادة العضوية والكربون العضوي، مع أن هذه الزيادة بسيطة في أعظمها إلا أنها يمكن أن تكون فارقاً بينها وبين زيادة المادة العضوية والكربون العضوي في ترب أودية غرب السهل، حيث المناخ الجاف وغياب الغطاء النباتي وبالتالي انخفاض تركيز المادة العضوية والكربون العضوي فيها، واللذان كما أسلفنا يرتبطان ببعضهما، فزيادة تركيز المادة العضوية يرتبط ارتباطاً طردياً مع زيادة الكربون العضوي، حيث أنه كلما زادت المادة العضوية في التربة كلما زاد الكربون العضوي وبالعكس.

جدول (19) تركيز المادة العضوية والكربون العضوي في ترب وادي القطارة وسيدي موسى

الوادي	الخاصية	
	المادة العضوية %	الكربون العضوي %
وادي سيدي موسى	2.34	1.36
وادي القطارة	0.09	0.06

المصدر: الدراسة المعملية

خامساً: ترب الحافة الجبلية:

وهو التصنيف الجغرافي الخامس لترب منطقة الدراسة ويمتد هذا التصنيف طولياً بامتداد الحافة الجبلية، ويغطي ما مساحته 4.39 % من المساحة الكلية لمنطقة الدراسة، وتتميز خصائص ترب الحافة الجبلية وفقاً لامتدادها من الشرق إلى الغرب حيث تتباين خصائص ترب الحافة الجبلية كلما اتجهنا ناحية غرب السهئ، وبالتالي يمكن تصنيف خصائص ترب الحافة الجبلية إلى نوعين رئيسيين هما ترب الحافة الشرقية وترب الحافة الغربية، ولكل من هذين النوعين خصائص تربة تميزه عن الآخر وهو ما تمّ التوصل إليه من خلال دراسة العينات السطحية لترب الحافة الجبلية في منطقة الدراسة، حيث تبين أن هناك تبايناً واضحاً في قوام التربة للحافة الجبلية من القوام الطيني في الشرق إلى القوام السلتي ناحية الغرب، ثم القوام الرملي الذي يميز أقصى حدود الحافة الجبلية ناحية الغرب حيث تنتهي الحافة وتلتحم مع تربة خليج سرت والتي يغلب على تربتها القوام الرملي، فقد أثبتت الدراسة المعملية أن معدلات الطين وصلت في الجزء الشرقي من الحافة الجبلية إلى ما نسبته 45.5 % والسلت 36.5 % والرمل ما نسبته 18 % من حجم التربة الكلي، بينما كانت معدلات الطين في الجزء الغربي من الحافة الجبلية 32 % والسلت 41.5 % والرمل 26.5 %، كما سجلت معدلات الرمل ارتفاعاً ملحوظاً كلما اتجهنا ناحية الغرب على امتداد الحافة حيث وصلت معدلات الرمل في نهاية الحافة الجبلية ناحية الغرب وعند حدود السهل وتحديداً منطقة " انتلات " ما نسبته 51 % من نسبة القوام الكلي للتربة في هذا الجزء وهي معدلات مرتفعة حيث يسود الرمل في هذا الجزء على حساب السلت والطين ، جدول (20).

جدول (20) القوام في ترب الحافة الجبلية

عينة الحافة الجبلية	القوام			
	رمل	سلت	طين	القوام
شرق السهل	29.9	14.8	55.3	طيني
غرب السهل	53	31	16	سلتي

المصدر: الدراسة المعملية

التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي

أما من ناحية خصائص التربة الكيميائية لترب الحافة الجبلية، فقد كان هناك اختلاف واضح في هذه الخصائص وذلك حسب نوع التربة الذي تمتد عليه هذه الحافة الجبلية من الشرق إلى الغرب ، حيث تبين من خلال التحاليل المعملية أن تركيز كربونات الكالسيوم في ترب الحافة الجبلية شرق السهل سجل انخفاضاً واضحاً إذا ما قورن بترب الحافة الجبلية غرب السهل، فقد كانت معدلات تركيز كربونات الكالسيوم في ترب الحافة شرق السهل حوالي 11 %، بينما سجلت ترب الحافة الجبلية غرب السهل ما معدله 37 %، وهذا مرجعه إلى تباين المناخ في منطقة الدراسة، حيث يسود المناخ شبه الرطب في الحافة الشرقية والمناخ الجاف في الحافة الغربية ، وبالتالي زيادة معدلات الغسيل في الترب في الجزء الشرقي من الحافة الجبلية وتقل أملاح كربونات الكالسيوم إلى الجزء المنبسط من السهل، بينما المناخ الجاف في الجزء الغربي من الحافة الجبلية قلل من معدلات الغسيل وبالتالي زيادة تركيز كربونات الكالسيوم في ترب هذا الجزء من منطقة الدراسة ، وهو ما ينطبق أيضاً على الأملاح الكلية الذائبة و الـ E.C و الـ PH حيث أنها تزداد تركيزاً في ترب الحافات الجبلية الغربية وتنخفض كلما اتجهنا شرقاً ناحية الحافة الشرقية ، وهي تعكس دور المناخ في منطقة الدراسة وعمليات الغسيل ، فقد سجلت الأملاح الكلية الذائبة تركيزاً بلغ متوسطه حوالي 510 مللي مكافي/لتر وكان الـ E.C 794 مليسمنز/سم والـ PH 7.4 وذلك في ترب الحافة الجبلية الشرقية، بينما كان متوسط هذه التراكيز في ترب الحافة الجبلية الغربية حوالي 7334 مللي مكافي/ لتر وكان قراءة الـ E.C 11460 و PH 7.74 وهي قراءات مرتفعة وتعكس دور المناخ في منطقة الدراسة، جدول (21).

جدول (21) تركيز كربونات الكالسيوم والبيكربونات
والأملاح الكلية الذائبة الـ E.C و الـ PH في ترب الحافة الجبلية

عينة التربة	الخاصية				
	Caco3	Hco3	E.C	PH	T.D.S
الحافة الجبلية الشرقية	**6**	**1.7**	**1009**	**7.3**	**654**
الحافة الجبلية الغربية	**38**	**1.9**	**1122**	**7.8**	**987**

المصدر: الدراسة المعملية

ومن ناحية الخصوبة فإن تركيز النيتروجين منخفض في ترب الحافات الجبلية في جزئيها الشرقي والغربي حيث كان تركيز النيتروجين العكس في ترب شرق الحافة الجبلية 0.12 %، وكان تركيز النيتروجين في ترب الحافة الجبلية الغربية لا يتعدى 0.09 %، وهذه تراكيز منخفضة جداً لذلك انخفاض النيتروجين هو السمة الرئيسية لترب منطقة الدراسة ويعوض عنها بإضافة الأسمدة النيتروجينية خاصة في المناطق التي تحترف النشاط الزراعي، كما أن قراءة الفوسفور هي

الأخرى كانت منخفضة حيث وصل متوسط تركيز الفوسفور في ترب الحافة الشرقية 17.5 جزء من المليون، وانخفض في الجزء الغربي للحافة الجبلية لتصل إلى 11.3 جزء من المليون، ووصل تركيز البوتاسيوم في ترب الحافة الشرقية إلى حوالي 749 جزء من المليون بينما انخفضت كثيراً في ترب الحافة الغربية لتسجل تركيزاً للبوتاسيوم وصل إلى حوالي 430 جزء من المليون، وبالتالي يلاحظ أن معدلات هذه العناصر تنخفض في الجزء الغربي من ترب الحافة الجبلية على غرار تلك التراكيز في الجزء الشرقي للحافة وبالتالي تكون معدلات الخصوبة في الحافة الشرقية أكثر من تلك الموجودة في الجزء الغربي من نفس الحافة الجبلية، جدول (22).

جدول (22) تراكيز النيتروجين والفوسفور والبوتاسيوم لترب الحافة الجبلية

عينة التربة	الخاصية		
	النيتروجين %	الفوسفور جزء من المليون	البوتاسيوم جزء من المليون
الحافة الجبلية الشرقية	0.1	41.7	987
الحافة الجبلية الغربية	0.09	22.3	453

المصدر: الدراسة المعملية

أما الشق الثاني من الخصوبة والمتعلق بتركيز المادة العضوية والكربون العضوي، فقد أظهرت التحاليل المعملية تبايناً في تركيز هذه العناصر في ترب الحافة الجبلية، حيث يختلف الجزء الغربي عن الشرقي للحافة في تركيز المادة العضوية والكربون العضوي، حيث سجلت المادة العضوية في الحافة الشرقية ما معدله 3.21 % وكان الكربون العضوي 1.92 %، بينما انخفض معدلات المادة العضوية والكربون العضوي في الجزء الغربي من الحافة ليسجل 0.65%، 0.38% على التوالي جدول (23) وهذا يثبت أن معدلات الخصوبة في الجزء الغربي من الحافة الجبلية تنخفض عن نظيرتها في الحافة الشرقية وذلك بسبب اختلاف المناخ والذي يعتبر العامل النشط والحيوي الأبرز في عوامل تكوين التربة في منطقة الدراسة، حيث أن المناخ في منطقة الدراسة أنعكس على خصائص التربة في الحافة الجبلية مما ساهم في زيادة كثافة الغطاء النباتي في الجزء الشرقي من الحافة الجبلية على عكس الحافة الغربية ذات الكثافة النباتية المنخفضة والمعدومة في أغلب أجزاء هذه الحافة وذلك بسبب المناخ الجاف السائد في هذا الجزء من الحافة الجبلية، كما يلاحظ ارتباط تركيز الكربون العضوي بالمادة العضوية حيث أن زيادته تتناسب طردياً مع زيادة معدلات المادة العضوية في ترب الحافة الجبلية.

وبحساب معامل الاختلاف في خصائص التربة الكيميائية لترب الحافة الجبلية بشقيها الشرقي والغربي تبين وجود تباين في معامل الاختلاف لعينات التربة المدروسة من ناحية خصائصها الكيميائية، جدول (24).

جدول (23) تركيز المادة العضوية والكربون العضوي في ترب الحافة الجبلية

عينة التربة	الخاصية	
	المادة العضوية %	الكربون العضوي %
الحافة الجبلية الشرقية	2.1	1.6
الحافة الجبلية الغربية	0.08	0.04

المصدر: الدراسة المعملية

جدول (24) معامل الاختلاف في خصائص التربة الكيميائية لترب الحافة الجبلية

الخاصية	شرق السهل	غرب السهل	معامل الاختلاف%
Caco3	6	38	80.9
Hco3	1.7	1.9	5.5
E.C	1009	1222	9.5
PH	7.3	7.8	3.3
T.D.S	654	987	20.2
النيتروجين	0.1	0.09	83.3
الفوسفور	41.7	22.3	30.3
البوتاسيوم	987	453	37
المادة العضوية	2.1	0.08	92.6
الكربون العضوي	1.6	0.04	95.1

المصدر: حسبت من نتائج التحاليل المعملية

وقد أظهر استخدام مجموعة من المناخل متباينة الحجم وجود اختلاف في التوزيع الحجمي لعينات التربة المأخوذة من الحقل والمصنفة جغرافياً،ولقد بينت التجربة الآتي:

1- يغلب على التركيب العام لقوام التربة من العينات المدروسة،التركيب الحجمي الصغير والمحصور بين (0.053- 0.71 مم).
2- ارتفاع نسبة تواجد حجم (1 مم) في كل من الترب الساحلية وترب المراعي ،ولعل السبب مرجعه إلى ارتفاع نسبة الرمل في مثل هذه الترب.
3- انخفاض نسبة حبيبات التربة دقيقة الحجم في عينة الترب الساحلية مقارنة بباقي العينات.
4- ارتفاع نسبة حبيبات التربة دقيقة الحجم في عينات التربة التي يغلب عليها تركيبها القوام الطيني (غابات وسهول وحافة جبلية وأودية).
5- انخفاض نسبة حجم (0.42 مم) في جميع العينات المدروسة أي أن هذا الحجم هو الأقل تواجداً في التربة في منطقة الدراسة. جدول (25).

جدول (25) التوزيع الحجمي لحبيبات التربة فحسب التصنيف الجغرافي في منطقة الدراسة

الحجم	ترب الوادي		المراعي		الغابات		ترب الحافة		الترب الساحلية		ترب الأراضي السهلية	
مم	مم	%	مم	%	مم	%	مم	%	مم	%	مم	%
1	33.6	24	97	46.2	46.8	24.21	57.8	34.1	100.6	84.11	35.1	23.1
0.71	11.2	8	20.5	9.8	23	12	15.2	8.96	8.5	7.1	13.7	9
0.5	9.7	6.8	17.5	8.33	22.4	11.7	15.5	9.14	5.4	4.51	12.8	8.4
0.42	6.8	5	9.1	4.33	13.5	6.8	9.8	5.78	2.1	1.75	8.8	5.8
0.3	16.9	12	17.3	8.23	25.2	13	18.6	10.97	2	1.67	17.8	11.74
0.21	17.7	12.8	15.4	7.33	22	11.5	16.9	9.97	0.7	0.58	18.1	11.93
0.1	28.3	20.3	22.1	10.52	26.7	13.81	22	12.97	0.1	0.083	28.5	18.8
0.05	15.6	11.1	11.1	5.28	13.7	24.21	13.7	34.1	0.2	0.16	16.8	11
المجموع	139.8	100%	210	100%	193.3	100%	169.5	100%	119.6	100%	151.6	100%

المصدر: نتائج الدراسة المعملية

- التحليل العاملي لخصائص التربة الفيزيائية والكيميائية:

ويقصد به تجمع عدد من المتغيرات معاً، بمعنى ارتباط عدد من المتغيرات بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، أساسه عامل مشترك يجمع بينها. وقد استخدم التحليل العاملي بهدف إيضاح المفاهيم والنتائج المتعلقة بتلك المتغيرات، من خلال معرفة: أي المتغيرات التي يتم تشبعها بدرجة عالية على كل عامل، واستخراج قيم التباين في البيانات الأصلية التي يكون كل عامل مسؤولاً عنها أو يفسرها (الجيلاني، 2010، ص119).

ويمكن تحليل بيانات الدراسة بتتبع الخطوات الآتية :

1- بيانات الدراسة:

احتوت بيانات الدراسة على ثلاثة عشر متغيراً، منها عشر خصائص كيميائية، وهي: كربونات الكالسيوم والبيكربونات، والتوصيل الكهربي ودرجة تفاعل التربة، والأملاح الذائبة الكلية والنيتروجين، والفوسفات والبوتاسيوم، والمادة العضوية والكربون العضوي. ومنها ثلاث تتعلق بالخصائص الفيزيائية وهي: القوام السلتي والقوام الرملي، والقوام الطيني. وتبين هذه البيانات خصائص التربة من حيث ارتباطها المكاني بالموقع الجغرافي من ناحية، وما تحتويه التربة من خصائص تميزها عن غيرها من موضع إلى آخر، وترفع من أهميتها الاقتصادية، وما تتضمنه من رفع لقدرتها الإنتاجية من ناحية أخرى. وجُلِبت هذه الخصائص من واقع عينات للتربة، جُمعت من

مناطق متفرقة ذات طبيعة جغرافية غير متشابهة، ثم عولجت تلك العينات في المعمل تحت المجهر لفحصها والتعرف على طبيعتها ومحتوياتها وأنواعها وما إليها من الخصائص الأخرى. ويتكشف توزيع تلك البيانات في جدول الخصائص الفيزيائية والكيميائية للتربة.

2- تحليل البيانات وتفسيرها واستخلاص العوامل:

لما أدخلت البيانات إلي الحاسب الآلي؛ عولجت إحصائياً باستخدام برنامج SPSS وذلك بهدف تطبيق التحليل العاملي عليها، وقد تضمن التحليل مصفوفة مؤلفة من ثلاثة عشر صفاً، تمثلها المتغيرات الفيزيائية والكيميائية للتربة، وأحد عشر عموداً توضح مواقع العينات في منطقة الدراسة التي فحصت في المعمل.

وأظهرت نتائج التحليل العاملي اشتقاق ثلاثة عوامل تجمعت حول كل واحد منها مجموعة من المتغيرات التصقت بها، وهذا يشير إلي مقدار العلاقة التي تربط بين كل مجموعة من المتغيرات، والعامل الذي تشبعت عليه. وللتأكيد على صحة ما تم اشتقاقه من عوامل دُرس منحنى الجذر الكامن، بحيث اختيرت العوامل الظاهرة في الجزء الشديد الانحدار من المنحنى؛ إذ تشير الأجزاء المعتدلة منه إلى تساوي تأثير العوامل وتقاربها (الجيلاني، 2010، ص213). والشكل (4) يوضح منحنى الجذر الكامن الذي أعتمد عليه في التأثير على اشتقاق العوامل.

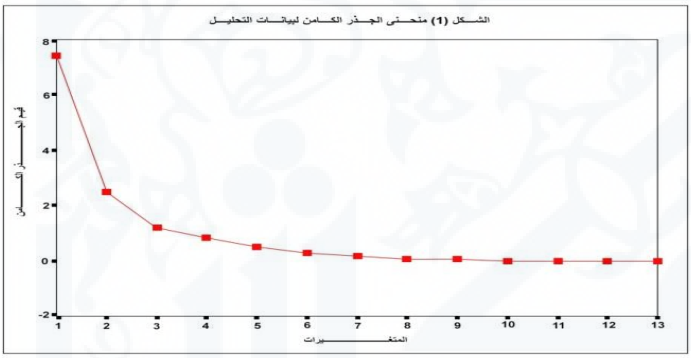

شكل (4) منحنى الجذر الكامن

هذا ويشير الجدول (26) إلي مربعات تشبعات العوامل، ونسب التباين المفسر بكل عامل والنسبة التراكمية للتباين، واتضح من الجدول أن العامل الأول أحتوى على 48.31% من التباين في البيانات الأصلية.

جدول (26) نسبة التباين المفسر في كل عامل من العوامل الثلاثه المشتقه

العوامل	مربعات تشبعات العوامل	نسبة التباين المفسر	النسبة التراكمية
الأول	7.339	48.313	48.313

الثاني	2.486	20.944	69.257
الثالث	1.209	16.084	85.34

المصدر: من بيانات التحليل

بينما اشتمل العامل الثاني على 20.94% من النسبة نفسها، وتضمن العامل الثالث 16.08% من التباين في البيانات الأصلية، وبما أن لكل متغير نسبة يسهم بها في البيانات الملتصقة بالعوامل؛ فقد أوجب التعرف على هذه النسبة من خلال حساب قيم الاشتراكات والتي يبينها الجدول (27) وقد كشف الجدول أن المتغير الأول (القوام السلتي) سجل أعلى قيمة لنسبة التباين من المعلومات الأساسية التي فسرت في العوامل الثلاثة المشتقة بعد تدويرها. وقد اشتمل على نسبة تباين بلغت 0.976 بمعنى أن 97 % من معلومات هذا المتغير فسرت في العوامل المشتقة. كما أوضح الجدول أن هناك متغيرات أخرى بلغت نسبة تباين قدرها 0.963 ، 0.955 ، 0.954، وهي القوام الطيني والأملاح الذائبة الكلية، والتوصيل الكهربي. وقد فسر جزء كبير من معلومات هذه المتغيرات بواسطة العوامل، وصل التفسير إلى 96% في القوام الطيني، 95% لكل متغير من المتغيرين الآخرين.

جدول (27) قيم الاشتراكات قبل التدوير وبعده في المتغيرات وفقاً لمساهمتها في تفسير نسب التباين بالعوامل المشبعه

ت	المتغيرات	الاشتراكات قبل التدوير	الاشتراكات بعد التدوير
1	قوام سلتي	0.977	0.976
2	قوام رملي	0.893	0.878
3	قوام طيني	0.966	0.963
4	كربونات الكالسيوم	0.942	0.949
5	بيكربونات	0.668	0.67
6	التوصيل الكهربي	0.962	0.954
7	درجة تفاعل التربة	0.823	0.824
8	الأملاح الكلية الذائبة	0.955	0.955
9	نيتروجين	0.566	0.563
10	فوسفور	0.79	0.789
11	بوتاسيوم	0.711	0.711
12	المادة العضوية	0.876	0.877
13	الكربون العضوي	0.938	0.942
المجموع	11.067	11.051	

المصدر: من بيانات التحليل

التصنيف الجغرافي للتربة في سهل بنغازي

3- تشبعات متغيرات العوامل وتدويرها:

استخدم أسلوب فاريماكس لتدوير العوامل الجدول (28) بهدف تقدير قيم تشبعات المتغيرات على العوامل المشتقة، ويبين الجدول مدى الارتباط بين المتغيرات والعوامل المشتقة، وذلك بإظهار قيم تشبعات هذه المتغيرات على عواملها.

جدول (28) تشبعات المتغيرات على العوامل المعاد تدويرها بطريقة فاريماكس

ت	المتغيرات	تشبعات العامل الأول	تشبعات العامل الثاني	تشبعات العامل الثالث
1	قوام سلتي	-0.963	-0.000612	0.221
2	قوام رملي	-0.0098	0.008328	-0.937
3	قوام طيني	0.880	0.00502	0.435
4	كربونات الكالسيوم	-0.918	0.252	-0.209
5	بيكربونات	-0.805	0.006705	-0.151
6	التوصيل الكهربي	-0.00925	0.969	-0.124
7	درجة تفاعل التربة	-0.728	0.515	-0.172
8	الأملاح الكلية الذائبة	-0.133	0.960	-0.127
9	نيتروجين	0.579	0.478	0.0065
10	فوسفور	0.439	-0.346	0.691
11	بوتاسيوم	0.780	0.143	0.288
12	المادة العضوية	0.822	-0.271	0.385
13	الكربون العضوي	0.843	-0.278	0.393

المصدر: من بيانات التحليل

ويتبين من الجدول السابق العديد من النقاط كالآتي :

1 – ارتبط بالعامل الأول خمسة متغيرات، تمثلت في القوام الطيني والنيتروجين، والبوتاسيوم والكربون العضوي، والمادة العضوية. وقد تشبعت على هذا العامل بقيم بلغت على التوالي (0.880، 0.579، 0.780، 0.822، 0.843). ورغم أن ما تشبع من متغيرات على العامل الأول جاء أقل عدداً مما تشبع من متغيرات على العامل الثاني، كما أن نسبة التباين المفسر في البيانات الأصلية في العامل الأول تزيد عن ضعف مثيلتها في العامل الثاني؛ فإن ذلك يعزى إلي درجة قوة التصاق وارتباط المتغيرات المتشبعة على العامل الأول بعاملها، فدرجة هذا الارتباط لم تقل عن 0.780. ما عدا في متغير النيتروجين إذ وصلت إلي 0.579، وحتى هذه الدرجة تعد مرتفعة مقارنة بدرجات تشبع بعض متغيرات العامل الثاني.

2- احتوى العامل الثاني على ستة متغيرات هي: القوام الرملي وكربونات الكالسيوم، والبيكربونات والتوصيل الكهربي، ودرجة تفاعل التربة والأملاح الكلية الذائبة، وقد سجل القوام الرملي وكربونات الكالسيوم والبيكربونات درجات تشبع منخفضة على عاملها، وهذا ما جعله أقل أهمية من العامل الأول رغم أنه جاء في المرتبة الأولى من حيث عدد المتغيرات التي تشبعت عليه.

3- لم يحظ العامل الثالث إلا بتشبع متغيرين فقط هما: القوام السلتي والفوسفور، وقد اختلفا في درجة تشبعهما على العامل.

4- تفسير العلاقات ضمن العوامل:

بين التحليل السابق أن هناك ثلاثة عوامل التفت حولها المتغيرات الشكل (66) ووفقاً لتشبع المتغيرات على عواملها، فإن العامل الأول ارتبط بمتغيرات تتمحور حول المواد التي تتألف منها التربة، بينما اهتم العامل الثاني بخصائص التربة وتفاعلها، أما العامل الثالث، فارتبط بالجمع بين مكونات التربة وخصائصها الفيزيائية.

العامل الأول: وسمي "بعامل مواد التربة ومكوناتها":

وهو أهم العوامل جميعاً من حيث ارتفاع درجة تشبع متغيراته عليه ، ومن حيث قيمة نسبة التباين الذي فسر بواسطته ، فقد بلغت نسبة التباين المفسر 48.31% من التباين في البيانات الأصلية ، وهذا يعد دليلاً علي أهمية مكونات التربة ، وكونها الركيزة الأساسية التي تتمحور حولها كافة الخصائص الأخرى .

العامل الثاني: وسمي "بعامل خصائص التربة وتفاعلها":

يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، وقد تشبعت عليه ستة متغيرات، منها ثلاثة متغيرات سجلت درجات تشبع ضعيفة على عاملها. وقد كانت مساهمة هذا العامل في تفسير درجة التباين في البيانات الأصلية 20.94%، والملاحظ أن هناك تكامل اتجاهي موجب بين متغيرات العاملين الأول والثاني، فمتغيرات العامل الثاني مثل القوام الرملي ووجود الكربونات ودرجة التوصيل الكهربي ودرجة تفاعل التربة وما بها من أملاح كل ذلك يخضع لطبيعة ومقدار المواد التي تتكون منها التربة وليس العكس. وهذا يبين مدى تقارب العاملين من بعضهما.

العامل الثالث: وسمي "بعامل الخاصية الكيميائية والفيزيائية " :

تشبع على هذا العامل متغيرين فقط، أحدهما وهو الأكثر التصاقاً بالعامل هو مكون للتربة من أصل كيميائي، والآخر أضعف التصاقاً، ويرتبط بوحدة الحجوم لميكانيكية التربة، ومن هنا جاءت تسميته، وقد فسر هذا العامل 16.08% من التباين في البيانات الأصلية، ورغم ذلك فإن هذا العامل يرفض؛ لأنه تشبع على أقل من ثلاثة متغيرات، مع أن لهذا العامل أهمية في رفع نسبة التفسير إلى 85.34 %.

شكل (66) توزيع تشبعات المتغيرات على العوامل قبل التدوير وبعده

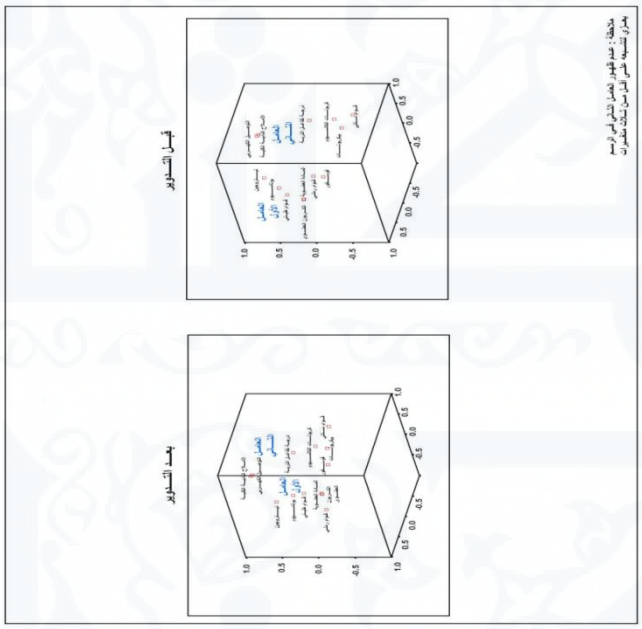

- الخلاصة:

كشفت هذه الدراسة العديد من الخصائص الجغرافية لمنطقة سهل بنغازي، كالتركيب الجيولوجي العام، وأن التكوين الصخري لمنطقة الدراسة عبارة عن صخور جيرية والتي عكست خصائصها على نوع التربة السائدة في منطقة الدراسة،أما مظاهر السطح فتميز فيها السهل باستوائه العام، كما كشفت هذه الدراسة أنه بالإمكان تصنيف التربة جغرافياً وذلك بعد دراسة خصائص التربة الفيزيائية والكيميائية في منطقة الدراسة، ولقد أمكن رسم خريطة تصنيفية موضحاً عليها هذه التصانيف الجغرافية للتربة في منطقة الدراسة. والتي أظهرت اختلافاً في خصائص التربة الفيزيائية والكيميائية المدروسة لكل تصنيف.

- المراجع والمصادر:

1. الزوام،سالم محمد، 1995: الجبل الأخضر دراسة في الجغرافيا الطبيعية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2.

2. الجيلاني، الصيد الصادق، 2010، الهيدروجيومورفولوجي لبعض أودية الجبل الأخضر، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الإسكندرية كلية الآداب، قسم الجغرافيا.

3. الخطيب، السيد أحمد، 2006: أساسيات علم الراضي، الشنهابي للطباعة والنشر، ميدان غبريال، الإسكندرية.

4. جودة، حسنين جودة، 1973: أبحاث في جيمورفولوجية الأراضي الليبية،منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ط1.

5. لامة، محمد عبدالله، 2003: سهل بنغازي دراسة في الجغرافيا الطبيعية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط1.

-Marbut, C, F. (1951) Soils: their Genesis and Calssification, Soil Sci.Soc. Amer. Mdison.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

مدينة المهدية في المغرب الإسلامي - دراسة سياسية حضارية (300 – 336هـ / 912 – 948م)

د. علي حمد عطية

(محاضر بقسم التاريخ كلية الآداب والعلوم المرج - جامعة بنغازي)

المقدمـــــة

كان قيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب الأدنى (إفريقية) فى حد ذاته ثورة وأنقلاباً فى التاريخ الإسلامي، إذ أن نجاح الشيعة الاسماعيلية فى إقامة خلافة لهم فى المغرب جاء بعد محاولات طويلة فاشلة قام بها الشيعة منذ قيام الخلافة الأموية، للظفر بالخلافة، وكان هذا الفشل نتيجة لأنقسامهم على أنفسهم وتفككهم، وكان نجاح الفواطم قد أثار نتائج حاسمة فى تقرير مصير بلاد المغرب لأمد بعيد فإن المغرب الإسلامي رغم أنفصاله عن الدولة العباسية كانت تسود فيه المذاهب السنية، ولكنها كانت متصارعة، مما هيأ للشيعة الفواطم أن ينجحوا فى إقامة دولة لهم بلاد المغرب العربى، وبقيام الدولة الفاطمية أنقطعت علاقة المغرب بالمشرق، وبالخلافة العباسية ببغداد ونجح أبوعبيدالله الشيعى الذراع اليمنى للفواطم فى إقناع بعض قبائل البربر فى إفريقية مثل كتامة وصنهاجة فى الأنضمام اليه ، ومهد له ذلك القضاء على الكيان السنى فى هذه البلاد.

ورغم ثورات السنة على الفواطم إلا أنهم استطاعوا تثبيت أقدامهم فى إفريقية، وكانوا فى حاجة الى عواصم وحواضر يثبتون بها ملكهم مقلدين بذلك كل المسلمين فى الفتوحات فبنى الخليفة الفاطمى المهدى مدينة (المهدية) التى نسبت اليه وحصن أسوارها بعد أن أختار لها موقعاً فريداً، وعُمرها بالمساجد والحمامات والأسواق والموانئ البحرية وظلت المهدية حاضرة له حتى وفاته فنقل الخليفة المنصور مقر الحكم الى مدينة صبرة والتى سماها المنصورية نسبة اليه، وبعد وفاة المهدى فقدت المهدية رونقها وجمالها ومكانتها.

والبحث يدور حول هذه المدينة منذ أختيار موقعها وتأسيسها وأهمية الموقع وأسباب أختيار الموقع، وتسميته المهدية، وتاريخ بناءها، ومساحتها ثم التطور العمرانى لمدينة المهدية حيث سيدور الحديث حول اسوارها وأبوابها، ومساجدها، وقصورها، ومنازلها، والمنشأت الصناعية والتجارية بها مثل دار الصناعة، دار الطراز، ودار الضرب (السكة) وأسواقها ومرافقها مثل المواجل (خزانات المياه) والحمامات ودار المحاسبات، والمرافق والميناء وأرباض المهدية (الأحياء).

وأتبعت المنهج التاريخى السردى الوصفى التحليلى معتمداً على مجموعة من المصادر والمراجع والمثبتة فى البحث.

- تمهيد:

فظن الشيعة إلى أهمية بلاد المغرب، فأرسلوا دعاتهم إليها في نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادى، وكان أنشطهم [الداعية أبو عبدالله الشيعى[1]] إذ تحمل عبء نشر المذهب الشيعى وتمكن من التغلب على دويلات المغرب المستقلة عن الخلافة العباسية وهم بنو مدرار في سجلماسة[2] (140–297هـ/757-909م) والرستميون[3] في تاهرت (161–296هـ/777-908م) والأدارسة[4] في المغرب الأقصى (172–305هـ/788-917م) والأغالبة [5] في تونس (184–296هـ/ 800- 908م).

وعندما تولى الخليفة عبيد الله المهدى[6] مقاليد الأمور، كان في موقف لايحسد عليه حيث تخلت قبيلة كتامة عن تأييدها للفاطميين، وأعلنت العصيان، وبالأضافة إلى تصدى فقهاء السنة المالكية بالقيروان لتلك الدعوة الجديدة وما تضمنه من أفكار تخالف مذهبهم.

وفي مستهل الأمر أقام عبيد الله المهدى بمدينة رقادة،[7] ثم لم يلبث أن شرع في تأسيس مدينة المهدية في سنة 300هـ/912م أولى حواضر الفاطميين ببلاد المغرب لتكون حصنا يأوى هو وبنو جلدته إليه عندما يشعر بالخطر، وهو ما حدث بالفعل أثناء ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد.[8]

واستمرت المهدية تؤدى دورها المنوط بها حتى سنة 336هـ/976م حيث لعبت دوراً هاما في حياة الفاطميين في كافة النواحى السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية، ثم لم تلبث أن فقدت مكانتها، عندما أمتدت إليها يد الأهمال وفقدت أهميتها بانتقال الثقل السياسى والإدارى إلى مدينة صبره والتى عرفت فيما بعد باسم المنصورية التي أسسها الخليفة المنصور بالله في سنة 336هـ/947–948م وسوف يلقى هذا البحث الضوء على دراسة مدينة المهدية في تلك الفترة سياسياً وحضارياً.

(أ) موقع المهدية:[9]

حين أراد عبيد الله المهدى أن يؤسس حاضرة لدولته جريا على عادة الدولة الإسلامية في العصور الوسطى، فخرج سنة 300هـ/912–913م يرتاد موضعا على الشريط الساحلى في منطقة تونس وقرطاجنة[10] فوقع إختياره على منطقة جزيرة الخلفاء،[11] التي يطلق عليها ابن حماد[12] ت 628هـ/1230–1231م جزيرة القار.

وتقع المهدية على ساحل البحر المتوسط،[13] حيث يحيط البحر بها من كافة الجوانب فيما عدا الجانب الغربي،[14] وهي داخلة فيه كهيئة "كف على زند"[15] ويحد المهدية من الشرق سوسة وتبعد عن القيروان ستين ميلا[16] (مسيرة يومين) وعن تونس مائتين كيلومتر.[17] وكان هذا الموقع محط إعجاب جغرافي العرب، لما يتميز به من حصانة.[18]

(ب) أسباب اختيار مدينة المهدية:

من الجدير بالذكر أن عبيد الله المهدى لم يحبذ فكرة الإقامة في رقادة أو القيروان إذا كانتا لا تصلحان في رأيه لتحقيق أغراضه السياسية والحربية والدينية. فالمدينتان كانت تزخران بالسنين من أنصار الأغالبة المعاديين للفاطمين الشيعة.[19]

كما أن موقع رقادة لا يصلح – من من ناحية أخرى – لأتخاذها حاضرة فهى تقع في سهل فسيح جعلها عرضة للغزو من كل جانب،[20] وهذا ما ينطبق على القيروان التي ضاعت واستردت أكثر من مرة.[21]

وينبغى أن نشير إلى حقيقة هامة مؤداها أن اختيار عبيد الله موقع المهدية – لإقامة حاضرته الجديدة – قائم على فهم صادق لأحوال المغرب واتجاهاته، وإحساسه بالتيارات الدفينة؛

فقد كان يعلم أن دولته أقامها البرانس من البربر، وأن البتر أعداءهم التقليد بين لن يخلدوا إلى السكينة بل سيرفعون لواء المعارضة.[22]

وكان هدف عبيد الله من تشييد المهدية تدعيم الوجود الفاطمى بالمغرب لتكون ملاذاً وملجأ له ولأهل بيته يعتصمون فيه من ثائرة البربر.[23]

ويحدثنا البكرى[24] ت487هـ/1094م عن سبب بناء المهدية بقوله "كان سبب بنيان عبيد الله للمهدية قيام أبى عبيد الله وجماعة من كتامة عليه وما حاولوه من خلعه".

وقد صدقت ظنون عبيد الله المهدى، وتحققت مخاوفه، فقد ثار على الدولة الفاطمية ابن كيداد في سنة 335هـ/7946م وهدد كيانهم بحصاره للمهدية، ولم يستطيع أن ينال منها شيئا لمناعتها وتحصينها.[25]

كما كان هدف عبيد الله المهدى من اختياره لموقع المهدية الساحلى، أن تتوجه دولته وجهة بحرية بالانفتاح على العالم الخارجى فيما وراء البحر سواء من حيث العلاقات الاقتصادية والمبادلات التجارية أو من حيث العلاقة الحربية حيث تصبح الدولة الفاطمية دولة جهادية بناء على اعتبار السواحل مناطق ثغور أي جبهات قتال يمكن أن يطرقها العدو البحرى ممثلا في الأسطول البيزنطى.[26]

ومن دواعى بناء المهدية – أيضا – أن تصبح مركز للدعوة الإسماعيلية في مواجهة القيروان التي كانت ولاتزال كعبة السنة وقلعة المالكية.[27]

ويقول الداعى إدريس بن عماد الدين في هذا الصدد أن المهدى انتقل بعد بنائها وجعلها دار هجرة، وقد ظلت المهدية كعبة الإسماعيلية يحجون إليها.[28]

(جـ) تسمية المهدية:

ورد ذكر اسم المهدية في المصادر العربية نسبة إلى عبيد الله المهدى[29] ولكن الدكتور حسن إبراهيم حسن يرفض ذلك ويذكر ان تسمية المهدية لم يقصد بها الانتساب إلى عبيد الله المهدي وحده بل إنها مدينة الأئمة المهتدين من الخلفاء الفاطميين، لأن كلا من هؤلاء الخلفاء إمام مهدى عند الإسماعيلية، وقد رأيناهم يضعون الأحاديث على أن المهدى سليل اثنى عشر إماما مهديا من الأئمة الخلفاء الفاطميين.

وهكذا ظلت المهدية كعبة الإسماعيلية التي يحجون إليها عندما كان بها الإمام الإسماعيلى، فلما هجرها إلى غيرها لم تعد لها تلك المكانة الروحية في نفوس الأتباع وحلت محلها مدينة صبره التي عرفت باسم المنصورية نسبة إلى مؤسسها الخليفة المنصور بالله.[30]

(د) تاريخ بناء المهدية:

اختلف المؤرخون في السنة التي وضع فيها عبيد الله المهدى أساس مدينته فيرى البكرى[31] (ت 487هـ/1094م) أن البناء قد تم في سنة 300هـ/912–913م، ويتفق معه في هذا الرأى كل

من ياقوت الحموى[32] (ت 621هـ/1224م) وابن عذارى[33] المتوفى في نهاية القرن السابع الهجرى.

أما ابن الأثير[34] (ت 630هـ/1232م) فيرى أن البناء بدأ في سنة 303هـ/912م ويؤيده ابن الأبار[35] (ت 658هـ/ 1260م).

وأبو الفداء[36] (ت 732هـ/1331م) والقلقشندى[37] (ت 821هـ/1418م) والمقريزى[38] (ت 845هـ/1441م).

ولكننى أرجح أن رواية البكرى[39] "كان ابتداءه بالنظر فيها سنة ثلاث ماية وكمل سورها سنة خمس، وانتقل إليها سنة ثمان" هي الأقرب إلى الصواب والدقة لكونها أقدمهم ولكنها توضح التسلسل الزمنى الذي استغرقته عملية البناء والتشييد بدءاً من الشروع في البناء، ثم استكمال السور، وهي مدة زمنية كافية لاستكمال مرافق المدينة.

انتقل عبيد الله المهدى للاستقرار في حاضرته الجديدة في سنة 308هـ/921–922م عندما انتهى من بناء القصور وسور المدينة ، وبعض مساكن حاشيته.

ويبدو أن عبيد الله المهدى كان يفضل الرحيل إلى المهدية بعد استكمال مرافقها كافة ولكنه اضطر إلى سرعة الانتقال بسبب الأمطار الغزيرة التي سقطت على مدينة رقادة والقيروان وعلى أثرها تهدمت المبانى، وامتدحه شعراء افريقية في تلك المناسبة[40] تذكر منه:

بهنك أيها الملك السهام *** قدوم فيه للدهر ابتسام

حططت الرحيل في بلد *** رعته بك الملائكة الكرام

وعندما اكتمل بناء المهدية عبر عبيد الله المهدى عن غبطته بقوله "اليوم آمنت على الفاطميات، يعنى بناته".[41]

(هـ) مساحة المهدية:

يبلغ طول شبه الجزيرة الذي تقوم عليه المهدية 1500مترا. وعرضها 500 متر[42] بينما ذكر البعض إن طول شبه الجزيرة حوالى ميل واحد (حوالى 1580مترا) والعرض 400متر.[43]

ولم تشر المصادر التاريخية إلى مساحة المهدية ولا نجد إلا إشارة البكرى[44] التي تذكر أنه "عندما شرع المهدى في وضع حجر الأساس للمهدية كان عرض المدخل من القبلة إلى الجوف مقدار غلوة" تساوى 400 ذراعا أو 184متر[45] وهذه المساحة تمثل منتصف العرض، وعندما نضيف الجزء الآخر يبلغ طول العرض 800 ذراعا 369متر.

ولكن عبيد الله وجد أن هذه المساحة لاتكفى لبناء كافة مرافق المهدية، فردم من البحر مقدار غلوة[46] وبالتالى يصبح عرض المهدية 1200 ذراعا أو 554متر.

- أولا: التطور العمرانى لمدينة المهدية:

2- السور:

أحاط عبيد الله المهدى حاضرته الجديدة بسور متين، مبنى من الحجارة، طوله نحو ميلين،[47] وعرضه يسع فارسين يمشيان عليه،[48] وهو أمر مألوف في أسوار المدن الإسلامية، كما هو الحال في أسوار مدينة بغداد، وأسوار القاهرة التي أسسها جوهر الصقلى، وهو تخطيط إنشائى مرتبط بوسائل الدفاع في العصور الوسطى.[49]

ويذكر ابن خلدون[50] أنه عندما ارتفع السور رمى عبيد الله المهدى من فوقه بسهم إلى الناحية الغربية ونظر إلى منتهاه وقال إلى هذا الموضع يصل أبو يزيد.

وفرغ عبيد الله المهدى من بناء السور سنة 305هـ/917–918م،[51] بينما يرى ابن عذارى[52] أن السور انتهى من بنائه سنة 304هـ/916–917م.

وقد بنى السور بأحجار "التلات" اي الدستور الصغير وهي أحجار تشبه تلك التي بنيت بها بعض العمائر الفاطمية في القاهرة.[53]

وكان السور مزودا بقلاع وفتحات يطلق منها النار لتعزير الجند[54] وستة عشر برجا[55] للمراقبة، ثمانية في السور الأول وثمانية في الزيادة التي أضيفت من البحر، وكانت هذه الأبراج تعرف بمسميات مختلفة كبرج أبى الوزان وبرج عيسى وبرج الدهان.[56]

وفي العصور الوسطى استخدمت الأبراج في عدة أغرض فكانت قعلة صغيرة للدفاع عن البلاد، وكان يوجد مسجداً لإقامة الشعائر الدينية للمقيمين بالبرج، كما كانت تستخدم الأبراج كمنارات لهداية السفن، وربما استخدمت كسجن أو معتقل سياسى.[57]

3- الأبواب:

أراد عبيد الله المهدى أن يحكم متانة حاضرته، فشيد على سورها بابين من الحديد، ووضع على كل بابا مصراعين من الحديد،[58] وبلغت زنة كل مصراع مائة قنطار، وبلغت زنة كل باب ألف قنطار،[59] وطوله ثلاثون شبراً في كل مسمار من مساميرها ستة أرطال.[60]

وكانت الأبواب تزين بصور الحيوان،[61] وهو ما يعنى أن الفن الفاطمى الأول في بلاد المغرب، كان فنا تصويرياً (أيقونيا) يأخذ بصور الأشخاص الحية كما كان الفن الإسلامي الأول على عهد الأمويين بالشام.[62]

وكان بداخل كل باب من أبواب المدينة دهليز يسع خمسمائة فارس[63] ويصف لنا الرحالة ابن حوقل[64] – المتوفى في النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى المعاصر للفاطميين – أبواب المهدية التي شاهدها بقوله "ليس لهما فيما رأيته شبيه ولا نظير غير البابيين اللذين على سور الرافقة وعلى مثالها عملاً ..".

ولم يبق من أبواب المهدية حتى الوقت الحاضر إلا الباب المعروف ببرج السقيفة الكحلاء، وهو مدخل المدينة الرئيسى من جهة الغرب، وهو عبارة عن حصن منيع مدمج في السور، وظل على حالته الأصلية إلى عصر الأتراك في القرن الحادى عشر الهجرى.[65]

4- جامع المهدية الكبير:

درجت العادة في تأسيس المدن الإسلامية على أن يكون المسجد في وسط المدينة، كما هو الحال في الفسطاط والقيروان وبغداد، وبجوار المسجد دار الإمارة بينما نجد الوضع مختلفا في مسجد المهدية، إذا كان يقع في الجزء الشرقى ، بالقرب من دار الصناعة.

ويشغل هذا الجامع مساحة مستطيلة المسقط 60/82 متر ويوجد المدخل الرئيسى للجامع بالواجهة الشمالية، يكتنفه من كلا الجانبين باب آخر، وتم إضافة جزء آخر حديث اشتمل على دورة للمياه ومئذنة حديثة.

أما المدخل الرئيسى فهو من النوع البارز عن سمت الواجهة وهو عبارة عن بروزين، ومسقط كل من البروزين مستطيل 8,5/ 3 متر بارتفاع حوالى 9متر، ويحصر البروزان بينهما عقد المدخل، وهو من النوع الذي يشبه حدوة الفرس اتساعه 4 متر وتؤدى فتحة الباب إلى ممر مقبى ينتهى إلى باب يعلوه عقد عاتق ويؤدى هذا الباب إلى داخل المسجد.[66]

ويكتف المدخل دخلتان، كلاهما عقد من النوع الذي يشبه حدوة الفرس، يعلوها دخلتان أخريان كل منهما عقد نصف دائرى وفي ركنى الواجهة بروزان يبلغ طول كل منهما 7,80متر، وهذان البروزان عبارة عن قاعدتين لمئذنتين أصليتين بركن الجامع، وتؤدى فتحة الباب الثانية التي ينتهى إليها ممر المدخل الرئيسى إلى سقيفة معقودة بقبوات متقاطعة يحملها دعامات في خط موازى للصحن. وبائكة هذه السقفية تتكون من 13 عقدا، ويلاحظ أن الجانب الأيمن من السقيفة أكثر عمقا من الجانب الأيسر.

أما صحن الجامع فمستطيل الشكل 35/50متر ولايحف به أية مبانى من الجانب الشرقى، يطل عليه من الجانب الغربي رواق به سقيفة حديثة تحملها بائكة تتكون من تسعة عقود محمولة على دعائم، وتحمل هذه البائكة سقوف من قبوات متقاطعة.[67]

ويزخرف المحراب الأصلى تسع قنوات مفصصة من 5 ,10 فصوص بالتبادل – ويبلغ اتساع حنية المحراب مترين وعمقها متراً واحداً ويشغل المساحة المحصورة بين نهاية القنوات وبداية طاقية المحراب كتابة كوفية في أربعة سطور يبلغ عرضها من 80 سم إلى متر واحد.[68]

ولقد تغيرت تجاويف المحراب، وأصبحت مؤلفة من طبقات رفيعة نصف اسطوانية تعلوها محاريب زخرفية، وقد أثر هذا الطراز المتبع في محاريب جامع المهدية في تراث المحاريب التونسية فيما بعد.[69]

5- القصور:

كانت قصور المهدية نواة مركزية للمدينة كما هي العادة في بناء المدن العربية الإسلامية وتكونت تلك القصور من قصر الإمام عبيد الله المهدى وله باب غربى،[70] ويطل على البحر[71] وزينه بطيقين الذهب،[72] ثم قصر ابنه القائم بالله ولى عهده في الجهة الشرقية ويقع بين الميدان والجامع وكان يفصل بينهما ميدان للاستعراضات.[73] وأخذ الفاطميون بهذا النظام في تخطيط قصورهم بالقاهرة حيث نجد القصر الشرقى الكبير للمعز، والقصر الغربى الصغير للعزيز وبينهما ميدان بين القصيرين.

ويبدو أن الازدواجية في التخطيط كانت ظاهرة معمارية استمرت في جميع العصور،[74] وكانت قصور المهدية باقية حتى عصور ابن حماد[75] ت 628هـ/1230–1231م.

وحفلت الحياة الاجتماعية في تلك القصور بكثرة الجوارى والخصايا مثل قضيب وسلاف وحمزة ونشوى وهذا يدل على وجود الفنانيين والمغنيين وأرباب الآت الطرب والترنيم إذ إن كثرة ربات الجمال بالقصور، دليل قاطع على الاحتفال بالموسيقى والرقص، وما إلى ذلك في مجالس الأنس.[76]

6- الدور:

بنيت بالمهدية الدور للحاشية وأهل الشيعة ورجال الدولة،[77] ويؤكد جغرافى العرب على نظافة وجمال بيوت المهدية، فيحدثنا عنها ابن حوقل[78] بقوله "نظيفة المنازل والدور".

وأما الادريسى[79] فيقول "ولها حسن مبان لطيفة المنازل" وفيما يختص بالطراز المعمارى لمنازل المهدية فتلتزم المصادر الأثرية بالصمت عن هذا الموضوع، ولكننى يمكن أن أرجح أنها كانت على الطراز المعمارى نفسه السائد في مصر، حيث كانت الدار تشتمل على طابق أرضى للرجال (سلاملك) وطابق علوى للحريم (حرملك) الدار تحتوى على مقعد يفضى إلى الفناء يسمى التختبوش، وعلى قاعات يشتمل كل منها على إيوانيين بينهما دار قاعة أرضيتها منخفضة عن أرضية الإيوانيين، وفي أعلاها المنور.[80]

7- المنشأت الصناعية والتجارية:

(أ) دار الصناعة:

أقام عبيد الله المهدى داراً لصناعة السفن في الجزء الشرقى في المنطقة الجبلية تسع مائتى مركب عليها باب مغلق[81] ويحدثنا ابن عذارى[82] عن إعجابه بدار الصناعة بقوله "وبالمهدية صنعة الإنشاء العجيبة، يخرج السفن معمورا خلف السور فلا يعلم به حتى يفاجأ العدو القاصد فيحيط به فلا يقربها العدو".

وكان الأسطول الفاطمى الذي صنع في المهدية يتكون من عدة قطع هي الشوانى،[83] والحراقة[84] والطريدة[85] والطرادة[86] والشلندى.[87]

(ب) دار الطراز :

أقام عبيد الله المهدى دار للطراز، ومن المرجح أنها تقع نطاق دار الصناعة أو على مقربة منها: ولقد ازدهرت بالمهدية صناعة المنسوجات القطنية التي يصفها القلقشندى[88] بقوله "وما يعمل بها القماش الإفريقى وهو ثياب رقاع من القطن والكتان معا ومن الكتان وحده ومنه جل كساوى أهل المغرب".

كما كان هناك من المنسوجات المعروفة بالمهدوية احتلت مكانة مرموقة في صادراتها الخارجية.[89] وقد أمر الخليفة عبيد الله كاتبه جوذر – في إحدى الرسائل المتبادلة بينها – أن يكتب اسمه (جوذر) على الطراز والبسط. وقال له "اكتب لهم يثبتوا في الطراز والبسط مما عمل على يد جوذر مولى أمير المؤمنين بالمهدية المرضية.[90]

(جـ) دار الضرب (دار السكة):

ويدخل في إطار المنشآت الصناعة بالمهدية دار ضرب النقود التي شيدها عبيد الله المهدى، ولقد وصلت إلينا دنانير مضروبة مؤرخة بسنة 315هـ/928م و 318هـ/930م و 322هـ/933م.

وكانت تلك الدنانير تزين بنقوش مكتوب عليها "الامام المهدي بالله "وعلى الوجه الآخر" عبد الله أمير المؤمنين".[91]

وكانت النقود الفاطمية المضروبة بالمهدية تحمل شعارات المذهب الشيعى ومن المحتمل أن تكون دعاية لنشر المذهب الشيعى ببلاد المغرب.

فيوجد دينار مؤرخ بسنة 333هـ/944–945م نقش عليه "بسم الله ضرب هذا الدينر – الدينار – بالمهدية سنة 333هـ الإمام القائم بالله، محمد رسول الله، أمير المؤمنين، وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم" وعلى الوجه الآخر "محمد أبو القاسم لا إله إلا الله وحده لاشريك له المهدى بالله".[92]

وعلى الرغم من انتقال الفاطميين من المهدية مدينة صبره حاضرة الفاطميين الثانية في عهد المنصور بالله سنة 336هـ/ فلم يهملوا دار الضرب بالمهدية، وحيث وصلنا منها دينار مؤرخ بسنة 340هـ/951–952م نقش عليه "لا إله إلا الله وحد لاشريك له محمد رسول الله، عبد الله إسماعيل المنصور بالله أمير المؤمنين".[93]

(د) أسواق المهدية:

انتعشت حركة التجارة بالمهدية ، فحفلت بالأسواق[94] والدكاكين[95] والخانات[96] وكان لكل طائفة من التجار سوق يمارسون فيها نشاطهم التجارى ولارباب الحرف شوارع معلومة ، يقيم فيها أهل كل حرفة[97] ، وكان التجار يفدون ببضائعهم من سائر البلاد لبيعها بأسواق المهدية يقول الإدريسى[98] "وكانت فيما سلف المسافر إليها كثير والبضائع إليها مجلوبة من سائر البلاد والأقطار والأمتعة والمتاجر نافقة، وفيها بائعة" .

- ثانياً: مرافق المهدية:

(أ) المواجل (خزانات المياه):

حرص عبيد الله المهدى على ضرورة توفير المياه اللازمة بحاضرته الجديدة، فبنى الصهاريج لحفظ المياه، وعرفت بالمواجل، وهي مبان مرتفعة يتوسطها صومعة مثمنة ويتكون الجزء العلوى منها من قبة مفتوحة على أبواب.[99]

وبلغ عدد المواجل بالمهدية حوالى 360 ماجلا، وكانت المياه تأتى لتلك المواجل بواسطة قناة بالقواديس من أحدى القرى المجاورة للمهدية المعروفة باسم قرية ميانش ثم تصب في صهريج المهدية، عند جامعها، ثم ترفع المياه إلى القصر بواسطة الدواليب.[100]

(ب) الحمامات:

بنى عبيد الله المهدى بالمهدية الحمامات[101] ، وهي من الخدمات الهامة في المدن الإسلامية ، نظرا لأهميتها في التطهر والنظافة ، وكان يلاحظ في بنائها أن تصمم بحيث تتيح للمستحم أن ينقل تدريجيا من الجو الحار إلى الجو البارد حتى لا يصاب بأذى ، وكان الحمام يسخن عن طريق إيقاد النار تحت أرضيته ، وكان يشتمل على أنابيب الماء الساخن والبارد داخل الجدران[102] .

(جـ) أهراء الطعام:[103]

ولقد بنى عبيد الله المهدى بالمدينة مخازن القمح (الطعام) في سراديب تحت الأرض،[104] وللأسف لم نجد في المصادر التاريخية والأثرية معلومات كافية لرسوم صورة واضحة المعالم عنها.

وأهراء هي بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان، الذي جرى عليه مصطلح الدول الإسلامية في العصور الوسطى إن الأهراء هي الأماكن التي تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالخليفة أو السلطان احتياطا للطوارى، وكانت لاتفتح إلا عند الضرورة، كما حدث أثناء ثورة أبو يزيد عندما حاصر مدينة المهدية، ولذلك نجد أن هناك فرق بين الأهراء والشون التي كان يخزن بها مايستهلك طول السنة من غلال وأحطاب وأتبان.[105]

(د) دار المحاسبات: تقع في الجزء الذي اضافه عبيد الله المهدى للمدينة فيما ردم من البحر.[106]

(و) المدافن:

كانت مدينة المهدية تخلو من جبانة للعامة، ومن المحتمل أن يكون سبب ذلك، هو ضيق مساحة المهدية إذا ما قورنت بالمدن الإسلامية الأخرى كالقيروان وبغداد والقاهرة، فضلا عن كثرة المنشآت التي أقيمت عليها، مما لايدع مجالاً لإقامة مدافن للعامة تستغرق مساحة كبيرة من المدينة، ولذلك كان أهل المهدية يحملون موتاهم في الزوارق لدفنهم في رباط المستير ثم يعودون إلى المهدية[107] وأغلب الظن أنه كان يوجد بالمهدية جبانة خاصة بالخلفاء لم نعرف مكانها بالضبط، ولكنها من المحتمل أن تكون ملحقاً بأحد القصور. فعندما توفى الخليفة عبيد الله المهدى في شهر ربيع الأول سنة 322هـ/933م أخفى ابنه أبو القاسم موته لمدة سنة[108] فلا يعقل أن يكون في موضع آخر خارج المهدية ويؤكد ابن حماد[109] على أن عبيد الله المهدى دفن بالمهدية بقوله "ولم يركب – أبو القاسم – دابة بالمهدية منذ مات – أبو عبيد الله – إلى أن توفى هو حزنا وبرا وتكرمة لتربة دفن فيها".

(هـ) المرسى (ميناء المهدية):

كان موقع المرسى على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة في نصفه الشرقى[110] وتميز بالمتانة والحصانة، وقد نقره المهدى في الصخرة المطلة على ساحل البحر في مساحة تبلغ 126/ 57 متر، ولايزال هذا الميناء باقيا إلى اليوم.[111]

ويحدثنا البكرى[112] عن مرسى المهدية بقوله "ومرساها منقور – محفور – في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا على طرف المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فإذا أريد إدخال سفينة فيه

أرسل حراس البرجين أحد طرفى السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدها، كما كانت بعد ذلك لئلا يطرقها مراكب الروم".

وفي الوقت الحاضر لم يبق لنا من مخلفات البرجين إلا قاعدتهما ويتخللهما في صلب البناء على اسطونات رخامية مطوحة أفقيا[113] ومن هذا المرفأ تتطلق سفن الأسطول الفاطمى الحربى والتجارى صوب الشرق والغرب.[114]

(ل) أرباض المهدية:

كان للمهدية عدة أرباض من أهمها ربض زويلة،[115] الذي شيده عبيد الله المهدى، ويفصل بينه وبين المهدية ميدان، وأحاط زويلة سور وأبواب، ونقل إلى عامة الناس[116] وأسرهم من أرباب الدكاكين من البرازين والحرفيين.[117]

ويبدو أن عبيد الله المهدى، حذا في ذلك العمل حذو ابى جعفر المنصور (136– 158هـ) حين نقل أسواق بغداد إلى خارج أسوارها جنوبا إلى منطقة الكرخ.[118]

وشيد عبيد الله المهدى زويلة تأمين نفسه من غدر الرعية يقول ياقوت[119] "فقيل المهدى إن رعتيلها في عناء من هذا فقال أنا في راحة لانى بالليل افرق بينهم وبين أموالهم وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليم فآمن عائلتهم فإن ارادونى بكيد وهم بزويلة كانت أموالهم عندى فلا يمكنهم ذلك وإن اردونى بكيد وهم بالمهدية خافوا على حرمهم هناك وبنيت بينى وبينهم سورا وأبوابا فأنا أصرفهم ليلا ونهاراً لأنى فرقت بينهم وبين أموالهم وبينهم وبين حرمهم نهاراً". ومن أرباض المهدية، الأخرى ربض الحمى، وهو بمثابة سكنات عسكرية لجند أفريقية من العرب والبربر وربض قفصة[120].

ونستنتج مما سبق أن عبيد الله المهدى شيد لحاضرته الأسوار الشاهقة الارتفاع، وزودها بابراج قوية للدفاع، ثم وضع نواة المدينة الداخلية وتشمل المسجد والقصور وجعل بين القصور رحبة فسيحة للاستعراضات ثم دور الحاشية وكذلك المنشاة الصناعة والتجارية ومرافق المهدية. وعندما اكتظت المهدية بالسكان أمتد العمران في الجهة الغربية للمدينة فشيد عدة أرباض ونقل إليها الرعية.

الخاتمـــة

وبعد فقد توصلت الدراسة الى عدة نتائج وتوصيات فى خاتمة البحث **ومنها**:

- أوضح البحث أهمية بلاد المغرب العربى الاسلامى بالنسبة للدولة الاسلامية التى تعاقبت عليه وخاصة الدولة الفاطمية التى قامت أساساً فى بلاد المغرب.
- أبرز البحث مدى قوة الفواطم فى بداية عهدهم، وضعف القوى السنية كالأغالبة وبنى مدرار والأدارسة والرستمية وغيرهم الذين دخلوا فى صراع مذهبى شغلهم عن نشاط الفاطميين الشيعة.
- خلص البحث الى أن عبيدالله المهدى كان ثاقب النظر، عندما أسس مدينة المهدية لتصبح حاضرة لهم وهذا يدلل على درايته السياسية.
- أثبت البحث أن مدينة المهدية كانت ذات موقع ممتاز أختاره لها مؤسسها الخليفة المهدى الفاطمى.
- أكد البحث أن بناء المهدية كان إيذاناً بوضع سمات معمارية جديدة ظهر أثرها واضحاً فى العمارة المغربية بعد رحيل الفواطم الى مصر.
- أوضح البحث أهتمام الخليفة المهدى بعاصمته الجديدة فأنشأ حولها الأسواق وبداخلها الأسواق والحمامات ودور الضرب والسكة وغيرها.
- أثبت البحث أن دار الصناعة بالمهدية قامت بدورها خير قيام حيث وضعت بها أنواع السفن الحربية كافة، مما ساعد على ظهور الفاطميين بقوة بحرية قوية على مسرح الأحداث فى الجزء الغربى من العالم الاسلامى.
- أوضحت الدراسة أن النشاط التجارى بالمهدية قد أنتعش مما أدى الى أزدهار الأسواق ، كان لكل طائفة من التجار سوق يمارسون فيه نشاطهم التجارى ولأرباب الحرف شوارع معلومة يقيم فيها أهل كل حرفة.
- أثبتت الدراسة أن المسلمين كانوا لهم خبرة طويلة فى بناء المدن، فكانت المهدية نموذج لذلك.
- أوضحت الدراسة أن المهدية بنيت من أجل شخص وعندما مات استبدل غيره العاصمة الى مدينة المنصورية.
- يوصى البحث بقراءة جيدة لتاريخ المدن الاسلامية من حيث دورها السياسى والحضارى والمعمارى فالبحث فيها يبين مدى ما وصل اليه المسلمين من تقدم فى بناء المدن.

الهوامـــش

1. **أبو عبدالله الحسين بن محمد بن زكريا** المعروف بالمحتسب، التقى مع محمد بن الحبيب في مدينة سلمية فأرسله إلى ابن حوشب باليمن ليأخذ عنه أفكار الدعوة الفاطمية ثم يرحل فيما بعد إلى بلاد المغرب، وينزل على قبيلة كتامة فرحل أبو عبدالله إلى مكة مع حاج اليمن، انظر: ابن خلدون: العبر وديوان المتبدأ والخبر، الجزء الرابع، دار الفكر، بيروت، ص31–32.
والتزم أبو عبدالله بتنفيذ ما أمره به ابن الحبيب حيث رحل الأول إلى مكة لتأدية فريضة الحج، والتقى مع وفد من قبيلة كتامة ثم رحل معهم إلى بلادهم. ابن عذارى: البيان المغرب الجزء الأول، تحقيق كولان وبروفنسال، ليدن 1948م ص124.
2. كانت سجلماسة في مستهل الأمر عندما نزلها سمعون بن واسلول مجمع للخوارج الصفرية فضربوا فيها خيامهم، وأخذ المنزل البدوى تتطور مع الأحداث، فبعد انتخاب عيسى بن يزيد إماماً شرعوا في البناء – لمزيد من التفاصيل انظر: سعد زعلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الجزء الثاني، منشأة المعارف الاسكندرية 1979م، ص411.
3. **مؤسس أسر الرستميين هو عبدالرحمن بن رستم بن بهرام الفارسى** قدم أبوه من العراق إلى مكة، وبصحبته زوجته وابنه عبدالرحمن لأداء فريضة الحج فمات فتزوجت أمرأته برجل من أهل حملها وابنها عبدالرحمن معه عند عودته إلى بلده، ونزل عبد الرحمن بن رستم في القيروان وأخذ العلم عن قضائها ومال تعلم الخوارج.
سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربي ، جـ2 ، ص289 .
4. **تنسب دولة الأدارسة إلى إدريس بن عبدالله** الذي فر إلى المغرب الأقصى عقب موقعة فخ في سنة 169هـ/785-786م، على بعد ثلاثة أميال من مكة، حيث تمكن القائد محمد بن سليمان من قبل الخليفة العباسى الهادى (169–170هـ) من إخماد ثورة العلويين آنذاك. لمزيد من التفاصيل انظر: المسعودى: مروج الذهب الجزء الثالث، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد، دار الفكر بيروت د.ت، ص336.
- **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ، الجزء الخامس، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص70.
- **ابن ابى زرع**: الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط 1977م، ص16.
5. **تنسب دولة الأغالبة إلى إبراهيم بن الأغلب** الذي كان واليا على اقليم الزاب من قبل والى المغرب العباسى محمد بن مقاتل العكى.
ابن خلدون: العبر، جـ4، ص195.
6. **عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر محمد بن على ابن أبى طالب** رضى الله عنهم، ولد بسلمية في سنة 260هـ/873–874م.
ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق عبد الحليم عويس وأخرين دار العلوم، الرياض د.ت، ص35.
وتلقى تعليم الدعوة عن والدة ثم واجه عدة محن شديدة، وعلم بذلك سائر الدعاة في أفريقية واليمن وأرسل إليه أبو عبدالله رجال من كتامة لاستقباله.
ابن الأثير: الكامل، جـ6، ص129. ابن خلدون: العبر، جـ4، ص34.
7. **أسس ابراهيم بن احمد الأغلبى**، مدينة رقادة في سنة 261هـ/874–875م وهي تبعد عن القيروان أربعة أميال، وعمرها بالأسواق والحمامات والفنادق.
- **البكرى**: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد 1857م، ص27.

- **ياقوت**: معجم البلدان، الجزء الثالث، دار صادر، بيروت 1979م، ص55.
- **مجهول** الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، جامعة الاسكندرية رقم 1958م، ص116.

8. **أبو يزيد مخلد بن كيداد النكارى** من قبيلة زناتة القاطنة بمدينة توزر اشتغل والده بالتجارة في بلاد السودان ثم رحل إلى تاهرت وسكن بها، وعمل أبو يزيد كتاب لتعلم الصبيان فالتفت حوله اتباع يعظمونه لدرجة أنه في سنة 306هـ/918م سبب متاعب كثيرة للدولة الفاطمية وفتح عدة مدن في عهد القائم مثل مجانة ونفسه ورقادة والقيروان ولم تخمد جذوة ثورته إلا في عهد المنصور في سنة 336هـ/947م – لمزيد من التفاصيل انظر.

- **ابن الأثير**: الكامل، جـ6، ص302–309.
- **المقريزى**: اتعاظ الحنفا، الجزء الأول، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي القاهرة، 1947م، ص109–124.

9. **عرفت مدينة المهدية بالبيضاء**. أنظر:
النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوى، تونس 1975م، ص327 شيدت المهدية على أنقاض قرية جمة القديمة.
الحميرى: الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت 1984م، ص172.

10. **البكرى**: المغرب، ص30، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ1، ص169.
قرطاجنة من أقدم المدن الأفريقية، تقع على ساحل البحر المتوسط وتبعد عن تونس اثنا عشر ميلا انظر: ياقوت: معجم البلدان، جـ4، ص323.

11. **ياقوت**: معجم البلدان، جـ5، ص23.
حسن إبراهيم حسن وأخرين: عبيد الله المهدى، النهضة المصرية، المصرية، القاهرة 1947م، ص205.
سليمان مصطفي زبيس: آثار المغرب العربي، الطبعة الأولى تونس 1958م، ص40.

12. **أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم** ، ص41.

13. **الأصطخرى**: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحينى، القاهرة 1961م، ص33.
المقدسى: أحسن التقاسيم، نشر دى خوريه، ليدن 1967م، ص226.
الإدريسي: نزهة المشتاق، الجزء الأول، مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة، ص281.
ياقوت: معجم البلدان، جـ5، ص230، الحميرى: الروض المعطار، ص561.
السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، الجزء الأول، القسم الرابع ، تحقيق محمد الحبيب الهيله، تونس 1970م، ص897.

14. **البكرى**: المغرب، ص29.
السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، الجزء الثاني ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1966م ، ص604 .

15. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ5 ، ص230 .
القزوينى : اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ص276 .
أبو الفداء : تقويم البلدان ، باريس 1840م ، ص145 .
الدمشقى : نخبة الدهر ، بطرسبرج 1865م ، ص234 – 235 .
ابن خلدون : العبر وديوان المتبدأ والخبر ، الجزء الرابع ، بيروت 1979م ص524 .
المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ1 ، ص101 .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الرابعة ، النهضة المصرية القاهرة 1981م ، ص524 .
عبدالمنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، الاسكندرية، 1968م، ص96 .

16. عبدالمنعم ماجد : نفس المرجع ، ص95 .
17. **البكرى** : المغرب ، ص29 .
مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار تحقيق سعد زغلول عبدالحميد ، جامعة الاسكندرية 1958م ص117 .
ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ1 ، ص207 . الحميرى : الروض المعطار ، ص561.
صابر محمد دياب : ساسية الدولة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة 1973م ص95 .
عصام الدين عبدالرؤوف الفقى : تاريخ المغرب والأندلس ، مطبعة مهضة الشرق – جامعة القاهرة ، ص179 .
18. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة الحلبى وشركاه ، القاهرة ، 1963م ، ص211 .
19. **الاصطخرى** : المسالك والممالك ، ص33 .
ابن حوقل : صورة الأرض ، بيروت 1979م ، ص71 .
20. **حسن إبراهيم وأخرين** : عبد الله المهدى ، ص204 – 205 .
21. **السيد عبدالعزيز سالم** : المغرب الكبير ، ص604 – 605 .
سنوسى يوسف إبراهيم : زناته والخلافة الفاطمية ، الطبعة الأولى ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة 1986م ، ص173 .
22. عبدالمنعم ماجد : خلافة الفاطميين ، ص97 .
23. **حسن أحمد محمود** : تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الثقافة ، القاهرة .
سقطت القيروان أول مرة منذ تأسيسها سنة 50هـ / 670م عندما هزم الجيش الإسلامي في معركة تهوده سنة 64هـ / 683 – 684م على يد كسيلة زعيم البربر الذي زحف إلى القيروان واستولى عليها . انظر :
ابن الرقيق : تاريخ افريقيا والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، تونس 1967م .ص46 .
ابن الأثير : الكامل ، جـ3 ، ص309 . ابن عذارى : البيان ، جـ1 ص29 – 31 .
أما المرة الثانية كانت في عصر الولاة حيث عانت القيروان من ضربات الثوار المتتالية وفي سنة 183هـ / 799 – 800م زحف تمام بن تمتم التميمى إلى القيروان وحاصر محمد بن مقاتل العكى الوالى العباسى الذ هرب إلى طرابلس .
والتفسير الوحيد لهذه الحادثة هو ضياع هيبة وسطوة الخلافة حتى تمكن ابراهيم ابن الأغلب والى الزاب من التغلب على الثوار وأعاد محمد بن مقاتل إلى القيروان انظر : ابن الرقيق : تاريخ افريقيا والمغرب ، ص203 – 206 ، ابن الأثير : الكامل ، جـ5 ص103 – 104 .
النويرى : نهاية الأرب ، الجزء الرابع والعشرون ، تحقيق حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1983م ، ص96 – 97.
- **ابن خلدون** : العبر ، جـ4 ، ص165.
والمرة الثالثة التي سقطت فيها القيروان عندما فرض أبو عبد الله الشيعى الحصار عليها فهرب زيادة الله أخر أمراء الأغالبة إلى الشرق.
24. **حسن أحمد محمود** : تاريخ المغرب والأندلس ، ص207 .
25. **صابر محمد دياب** : سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، ص98 .
26. - **المغرب** ، ص30.
27. **حسن أحمد محمود** : تاريخ المغرب والأندلس ، ص270 .
أثناء تشييد المهدية رمى عبيد الله سهم من الباب إلى موضع المصلى وقال إلى هاهنا يبلغ صاحب الحمار يعنى أبا يزيد مخلد بن كيداد وذكر ابن النعمان : افتتاح الدعوة ، ص328 أن المهدى قال "هذه كله عدة لساعة واحدة من نهار" أما ابن حماد : أخبار ملوك بنى عبيد ، ص42 – 43 يذكر عبد المهدى بقوله "أنا بنيتها لصيانة الف رياضة

فيها ولوساعة من نهار يعنى ساعة وصول أبى يزيد لخلع بن كيداد إلى المصلى" بينما يذكر الخطيب في كتابه أعمال الأعلام ، القسم الثالث ص47 على لسان المهدى "وإنما بينتها لصيانه ساعة من نهار فكان كذلك!" .

28. **سعد زغلول عبد الحميد** : تاريخ المغرب العربي ، جـ3 ، ص94 .
29. **حسن إبراهيم حسن** : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص326 .
30. **حسن أحمد محمود** : تاريخ المغرب والأندلس ، ص272 .
31. **البكرى** : المغرب ، ص29 . ياقوت : المعجم البلدان ، جـ5 ، ص230 .
ابن عذرى : البيان المغرب ، جـ1 ، ص207 .
القلقشندى : قلائد الجمان ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، الطبعة الأولى دار الكتب الحديثة ، القاهرة 1963م ، ص164 .
الزهرى : الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ص111.
32. **حسن إبراهيم وأخرين** : عبيد الله المهدى ، ص208 .
33. **المغرب** ، ص30 .
34. **معجم البلدان** ، جـ5 ، ص230 .
35. - **البيان المغرب** ، جـ1 ، ص169
عادلة محمد الحمد : قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الكويت 1976م ، ص153 .
36. **الكامل** ، جـ6 ، ص151 .
37. **الحلة السيراء** ، جـ1 ، ص192 .
38. تقويم البلدان ، ص145 .
39. **صبح الأعشى** ، جـ5 ، ص101 .
40. **اتعاظ الحنفا** ، جـ1 ، ص101 .
41. **المغرب** ، ص30 .
42. **ابن عذارى** : البيان ، جـ1 ، ص184 .
43. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ5 ، ص231 .
ابن الأثير : الكامل ، جـ6 ، ص151 . الغزوينى : آثار البلاد ، ص276 .
ابوالفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص68 . ابن خلدون : العبر ، جـ4 ، ص38 .
المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، جـ1 ، ص102 .
Gautier : op cit p . 321 .
44. **حسين مؤنس** : تاريخ المغرب وحضارته ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، الدار السعودية للنشر 1990م ، ص481 .
45. **أمال العمرى** : العمارة في العصر الفاطمى ، محاضرات مقررة على طلاب كلية الاثار جامعة القاهرة ، ص3 .
46. "وعرض المدخل إلى المهدية من القيلة إلى الجوف قدر غلوة وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وأدخله في المهدية واتسع الموضوع البكرى : المغرب ، ص30 .
التجانى : رحلة التجانى ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، ص323 .
حسن حسنى عبد الوهاب : تاريخ تونس ، الطبعة الرابعة ، تونس 1968م ص97 .
رابح نوبار : المغرب العربي ، الطبعة الثانية ، الجزائر 1981م ص186 .
47. **صبحى الصالح** : النظم الإسلامية ، الطبعة الرابعة ، دار العلم . بيروت 1978م ص416 – 417 .
48. **البكرى** : المغرب ، ص30 .
49. **البكرى** : المغرب ، ص29 وقارن الأدريسى : نزهة المشتاق ، جـ1 ، ص282 .
50. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ5 ، ص230 .

51. **أمال العمرى** : العمارة في العصر الفاطمى ، ص3 .
52. **العبر** ، جـ4 ، ص38 .
53. - **البكرى** : المغرب ، ص29
54. **البيان المغرب** ، جـ1 ، ص174 .
55. **أمال العمرى** : العمارة في العصر الفاطمى ، ص4 .
56. تطلق كلمة برج على البناء المنعزل المقام على هيئة تحصينات ، كما تعنى أيضاً الحصن أو القلعة انظر :
بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة وتقديم أحمد دراج مراجعة جمال محرز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1974م ص44 .
57. **البكرى** : المغرب ، ص30 .
58. **محمد محمد أمين وأخرين** : المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، دار النشر بالجامعة بالقاهرة د.ت ، ص12 .
59. **البكرى** : المغرب ، ص29 .
60. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ5 ، ص230 . ابن خلدون : العبر ، جـ4 ص28 .
المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ1 ، ص101 .
وسنوسى إبراهيم يوسف : زناته والخلافة الفاطمية ، ص174 .
61. - **البكرى** : المغرب ، ص29 ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ5 ، ص231 .
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ3 ، ص415 .
حسن إبراهيم وأخرين : عبيد الله المهدى ، ص205 .
62. **مجهول**: الاستبصار، ص117، عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، ص179 .
63. **سعد زغلول عبدالحميد** : تاريخ المغرب العربي ، جـ3 ، ص96 .
64. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ5 ، ص230 .
65. **صورة الأرض** ، ص73 .
66. **سليمان مصطفي زبيس** : الأثار الإسلامية في تونس ، ص61 .
67. **أمال العمرى** : العمارة في العصر الفاطمى ، ص6 .
68. **أمال العمرى** : العمارة في العصر الفاطمى ص 6 – 7 .
69. **أمام العمرى** : العمارة في العصر الفاطمى ، ص7 .
70. **عبدالعزيز حميد وأخرين** : الفنون الزخرفية العربية الإسلامية بغداد 1982م ، ص94.
71. **سعد زغلول عبدالحميد** : تاريخ العربي ، جـ3 ، ص96 .
72. **البكرى** : المغرب ، ص30 .
73. **التجانى** : رحلة التجانى ، ص323 .
74. **البكرى** : المغرب ، ص30 ، أمال العمرى : العمارة في العصر الفاطمى ، ص3 .
سليمان مصطفي زبيس : يبين الأثار الإسلامية في تونس ، ص61 .
75. **أمال العمرى** : العمارة في العصر الفاطمى ، ص3 .
76. **أخبار ملوك** بنى عبيد ، ص42 .
77. **حسن حسنى عبد الوهاب** : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، القسم الثاني، مكتبة المنار تونس 1966م ص205 – 206 .
78. **سليمان مصطفى زبيس** : بين الأثار الإسلامية في تونس ، ص12 .
79. **صورة الأرض** ، ص71 .
80. **نزهة المشتاق** ، جـ1 ، ص281 .
81. **حسن الباشا** : مدخل إلى الأثار الإسلامية ، دار النهضة العربية – جامعة القاهرة 1990م ص172 – 173 .

82. **ابن الأثير** : الكامل ، جـ6 ، ص151 .
المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ1 ، ص102 .
وقارن البكرى : المغرب ، ص30 .
عبدالمعنم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر .
سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربي ، الجزء الثالث ص196 .
83. **البيان المغرب** ، جـ1 ، ص151 .
84. **الشوانى** وهي شينى أو شونة ، وهي وهي من السفن الحربية الكبيرة .
(ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، المجلد الرابع ، تحقيق حسن محمد الشماع ، الطبقة الأولى ، جامعة البصرة 1967م . ص83 حاشية 251) ، المقريزى : الخطط ، الجزء الثاني ، بيروت ص194 – 195 .
عبدالفتاح عبادة: سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها، مطبعة الهلال، القاهرة 1913م، ص4.
وتجدف الشوانى بمائة وأربعين مجدافا وتشحن بالجنود والجدافين .
ابن مماتى : قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، الجمعية الملكية الزراعية القاهرة 1943م ، ص340 .
ومزودة بابراج وقلاع للدفاع والهجوم وتحتوى على اهراء مخزن القمح وصهاريج المياه العذبة .
عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية الانجلو المصرية ، القاهرة 1972م، ص74 .
85. **الحراقة** : الحراقات نوع من السفن الحربية .
الأصفهانى: الفتح القسى في الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمود صبيح ، القاهرة ، 1965م، ص388 .
كانت تستخدم لنقل التجارة وكانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الاغريقية ، وكان لها مراسى نيران يرمى بها العدو .
الفيروزابادى: القاموس المحيط، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية القاهرة 1330هـ، ص220. سعاد ماهر: البحرية الإسلامية، دار الكتب، القاهرة، ص .
عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 1985م ، ص76 .
أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص169 .
86. **الطريدة من السفن** التي تستعمل لحمل الفرسان والخيول وتسع الاربعين فرسا (ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص339) .
87. **الطرادة هي سفينة** حربية صغيرة الحجم سريعة الجرى غير مدرعة يبلغ طولها حوالى سبعة أذرع وعرضها ذراعان ونصف ذراع .
ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص430 .
88. **الشلندى** : مركب حربى كبير مسطح يستعمل في حمل العتد والحند .
ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص341 .
89. **صبح الأعشى** : جـ5 ، ص102 .
حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية . رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب – جامعة القاهرة 1975م ص198.
90. **الإدريسي** : نزهة المشتاق ، جـ1 ، ص281 .
91. **جوذر**: سيرة الاستاذ جوذر، تحقيق محمد حسين كامل، دار الفكر العربي، القاهرة، ص52 .
92. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ص213 .
93. السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ص611 .

94. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ5 ، ص231 .
95. **الادريسى** : نزهة المشتاق . جـ1 ، ص281 .
96. **الخانات** تتكون من صحن مستطيل تحف به أربعة أورقة تشمل على حجرات ، وتأتى أهمية الأروقة في حماية التجار والبضائع حتى لايبقوا في العراء ، ويخصص الطابق الأرضى للمتاجر والاصطبلات والعلوى يشتمل على حجرات للضيوف انظر : ليوبولد وتوروس: الابنية الاسبانية الاسلامية ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مدريد ، ترجمة علية إبراهيم العدد الأول ، السنة الأولى 1953م ص118 .
97. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ3 ، ص416 . **عصام الدين عبد الرؤوف** : تاريخ المغرب والأندلس ، ص179 .
98. **نزهة المشتاق** ، جـ1 ، ص281 – 282 .
99. **مجهول** : الاستبصار ، ص115 .
100. **البكرى** : المغرب ، ص29 . **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ2 ، ص31 .
مجهول : الاستبصار ، ص117 – 118 .
الدواليب لفظ فارسى معرب والأصل فيها الطارة أو الحلقة التي تعرف بالناعورة لسقى بها الماء كجزء من الساقية ثم اصبحت تطلق على الالة التي فيها حركة دائرية سواء في الساقية أو الطاحونة انظر :
محمد محمد أمين واخرين : معجم المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ص51 .
101. **ابن حوقل** : صورة الأرض ، ص71 .
الأدريسي : نزهة المشتاق ، جـ1 ، ص281 .
102. **حسن الباشا** : مدخل إلى الأثار الإسلامية ، ص165 .
103. **ابن خلدون** : العبر ، جـ4 ، ص38 .
المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ1 ، ص102 .
104. **سعد زغلول عبد الحميد** : تاريخ المغرب العربي ، جـ3 ، ص98 .
105. **المقريزى** : اتعاظ الحنفا ، جـ1 ، ص102 حاشية (2) .
106. **البكرى** : المغرب ، ص30 .
107. **الأدريسى** : نزهة المشتاق ، جـ1 ، ص282 .
108. **ابن الأثير** : الكامل ، جـ6 ، ص238 .
المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ1 ، ص105 .
109. **أخبار ملوك** بنى عبيد ، ص50 .
110. **سعد زغلول عبد الحميد** : تاريخ المغرب العربى ، جـ3 ، ص96 .
111. **أمال العمرى** : العمارة في العصر الفاطمى ، ص5 .
112. **المغرب** ، ص30 . ياقوت : معجم البلدان ، جـ5 ، ص231 . **مجهول** : الاستبصار ، ص118 .
التجانى: رحالة التجانى ، ص322 . **حسن إبراهيم حسن** : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص524 .
113. **سليمان مصطفى زبيس** : بين الأثار الإسلامية في تونس ، ص61 .
114. **حسن إبراهيم حسن** : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص525 .
115. **زويلة بلدان** أحدهما زويلة السودان ، تقع بين السودان وافريقية وزويلة طرابلس بين الغرب والقبلة . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ3 ، ص160 .
116. **التجانى** : رحلة التجانى ، ص324 .
117. **ياقوت**: معجم البلدان، جـ5، ص231. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ3، ص416.
118. **حسن إبراهيم حسن** : تاريخ الإسلام ، جـ3 ، ص416 .
119. **معجم البلدان** ، جـ5 ، ص231 .
120. **البكرى** : المغرب ، ص31 .

المصادر والمراجـــــــــع

أولاً: المصـــادر:

1. **ابن الآبار** : (أبى عبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى ت 658هـ/ 1260م)
"الحلة السيراء" الجزء الأول ، تحقيق حسين مؤنس الطبعة الأولى ، القاهرة1962م .

2. **ابن أبى زرع** : (على بن أبى زرع الفاسى)
"الأنيس المطرب بروض القرطاس" الرباط1977م .

3. **ابن الأثير** : (عزالدين أبن الحسن على أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد ، ت 630هـ/ 1232م) .
"الكامل فى التاريخ" الأجزاء الخامس والسادس دار الفكر ، بيروت1978م .

4. **الإدريسي** : (أبوعبدالله محمد بن عبدالعزيز ت564هـ/ 1168م)
"نزهة المشتاق فى احتراق الآفاق" الجزء الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

5. **الأصطخرى** : (أبوالقاسم إبراهيم بن محمد ، توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى)
"المسالك والممالك" تحقيق محمد جابر الحينى القاهرة1966م .

6. **البكرى** : (ابوالبكرى ت487هـ/ 1094م)
"المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب" مكتبة المثنى ، بغداد1857م .

7. **التيجانى** : (ابومحمد عبدالله بن محمد بن ابراهيم)
"رحلة التيجانى" تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب ، توفى1958م .

8. **جوذر** : (أبى على منصور العزيزى الجوذرى)
"سيرة الأستاذ جوذر" تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبدالهادى شعيرة دار الفكر العربى ، القاهرة .

9. **ابن حماد** : (أبوعبدالله بن محمد بن على ت628هـ/ 1230م)
"أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم" تحقيق عبدالحليم عويس وأخرين دار العلوم ، الرياض ، 1413هـ .

10. **الحميرى** : (ابوعبدالله بن عبدالمنعم ت900هـ/ 1494م)
"الروض المعطار فى خبر الأقطار" تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية بيروت1948م .

11. **ابن حوقل** : (ابوالقاسم أحمد النصيبى ، توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) .
"صورة الأرض" بيروت1979م .

12. **ابن الخطيب** : (لسان الدين بن الخطيب)
"اعمال الإعلام" القسم الثالث تحقيق أحمد العبادى وأخرين الدار البيضاء964م .

13. **ابن خلدون** : (عبدالرحمن محمد بن جابر ت808هـ/ 1405م)
"العبر وديوان المبتدأ والخبر" الجزء الرابع ، دار الفكر بيروت1979م

14. **الدمشقى** : (شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبى طالب ت272هـ/ 1326م).
"نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر" بطرسبرج 1865م .

15. **ابن الرقيق** : (إبراهيم بن القاسم ، توفى بعد سنة 407هـ/ 1026م)
"تاريخ إفريقيا والمغرب" تحقيق المنجر الكعبى ، تونس 1967م .

16. **الزهرى** : (أبى عبدالله محمد بن أبى بكر ، توفى فى أواسط القرن السادس الهجرى) .
"الجغرافيا" تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة .

17. **السراج** : (محمد بن محمد الندلسى ت1149هـ/ 1436م) .
"الحلل السندسية فى الأخبار التونسية" الجزء الأول ، القسم الرابع ، تحقيق محمد الحبيب الجزء الأول القسم الرابع ، تحقيق محمد الحبيب تونس 1970م .

18. **ابن عذارى** : (ابوعبدالله محمد المراكشى من علماء القرن السابع الهجرى)
"البيان المغرب فى أخبار المغرب" الجزء الأول ، تحقيق ليفى بروفنسال وكولان ليدن 1948م .

19. **العماد الأصفهانى** : (عماد الدين)
"الفتح القسى فى الفتح القدسى" تحقيق محمد محمود جيبح ، القاهرة 1966م

20. **أبو الفداء** : (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت732هـ/ 1331م)
"تقويم البلدان" باريس 1840م

21. **.....** : "المختصر فى أخبار البشر" الجزء الثانى ، القاهرة .

22. **ابن الفرات** : (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم)
"تاريخ ابن الفرات" المجلد الرابع ، تحقيق حسين محمد الشماع ، الطبعة الأولى ، جامعة البصرة 1967م .

23. **الفيروز ابادى** : (محمد بن يعقوب الشيرازى 803هـ/ 1400م)
"القاموس المحيط" الجزء الثالث الطبعة الأولى ، القاهرة 1330هـ .

24. **القزوينى** : (زكريا بن محمد بن محم)
"اثار البلاد وأخبار العباد" دار صادر ، بيروت .

25. **القلقشندى** : (شهاب الدين أبى العباس أحمد بن على ت 821هـ/ 1418م)
"صبح الأعشى فى صناعة الأنشاء" الجزء الخامس ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1919م .

26. **.....** : "قلائد الجمان" تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتب الحديثة القاهرة 1963م .

27. **مجهول** : (ابن محشرة كابت مراكش مجهول من علماء القرن السادس الهجرى)
"كتاب الأستبصار فى عجائب الأمصار" تحقيق سعد زغلول عبدالحميد الإسكندرية 1958م .

28. **المقدسى** : (شمس الدين أبوعبدالله محمد ت 388هـ/ 988م)
"أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم الطبعة الثانية ، نشر دى خوية ليدن 1967م .

29. **المقريزى** : (تقى الدين أحمد بن على ت 845هـ/ 1441م)
"الخطط" جزئين ، بيروت د. ت .

30. **.....** : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفاء الجزء الأول ، تحقيق جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربى ، القاهرة 1947م .

31. **أبن مماتى** : (السعد الخطير شرف الدين أبى المكارم أبى سعيد ت 606هـ/ 1209م
"قوانين الدواوين" تحقيق عزيز سوريال عطية الجمعية الملكية الزراعية ، القاهرة 1943م .

32. **النعمان** : (للقاضى النعمان بن محمد ت 363هـ/ 973م)
"افتتاح الدعوة" تحقيق فرحات الدشروای ، توفى 1975م .

33. **النويرى** : (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت 732هـ/ 1213م)
"نهاية الأرب فى فنون الأدب" الجزء الرابع والعشرين ، تحقيق حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1983م .

34. **ياقوت** : (شهاب الدين أبوعبد البه الروحى ت 626هـ/ 1228م)
"معجم البلدان" الأجزاء الثالث والخامس ، دار صادر ، بيروت 1979م .

ثانياً : المراجـــع العربية الحديثة:

1. **السيد عبدالعزيز سالم** : (دكتور)
المغرب الكبير ، الجزء الثانى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة 1966م .

2. **الدال العمرى** : (دكتورة)
"العمارة فى العصر الفاطمى" محاضرات مقررة على طلاب الفرقة الثانية بكلية الآثار جامعة القاهرة .

3. **بول كازانوفا** : تاريخ ووصف قلعة القاهرة
ترجمة وتقديم أحمد دراج ، مراجعة جمال محرر الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1947م .

4. **حسن الباشا** : (دكتور)
مدخل الى الآثار الإسلامية ن دار النهضة العربية القاهرة 1990م .

5. **حسن إبراهيم حسن** : (دكتور)
"تاريخ الدولة الفاطمية" الطبعة الرابعة النهضة المصرية ، القاهرة 1981م.

6. ..... : تاريخ الإسلام ، الجزء الثالث الطبعة السابعة النهضة المصرية ، القاهرة 1965م .
7. **حسن إبراهيم وأحمد طه شرف** : (دكتوران)
عبيدالله المهدى ، النهضة المصرية القاهرة 1947م .

8. **حسن أحمد محمود** : (دكتور)
تاريخ المغرب والأندلس ، دار الثقافة القاهرة 1990م .

9. **حسن حسنى عبدالوهاب** : (دكتور)
"خلاصة تاريخ تونس" الطبعة الرابعة تونس 1968م .

10. ..... : ورقات عن الحضارة العربية التونسية القسم الثانى، دار المنار تونس 1966م .
11. .....: الأمام الماذرى ، نوابغ المغرب العربى رقم (1) تونس
12. **حسين مؤنس** : (دكتور)
"تاريخ المغرب وحضارته" المجلد الأول الطبعة الأولى ، الدار السعودية 1990م .

13. **رابح نوبار** : المغرب العربى ، الطبعة الثانية الجزائر 1981م .
14. **ابوزيد شلبى** : (دكتور)
"تاريخ الحضارة الإسلامية" ، القاهرة .

15. **سعاد ماهر محمد** : (دكتورة)
"البحرية الإسلامية" دار الكتب المصرية القاهرة .

16. **سعد زغلول عبدالحميد** : (دكتور)
"تاريخ المغرب العربى" الأجزاء 2 ، 3 منشأة المعارف الإسكندرية 1979م

17. **سليمان مصطفى زبيس** : آثار المغربى العربى ، الطبعة الأولى ، تونس 1958م .
18. ..... : بين الآثار الإسلامية فى تونس ، تونس .
19. **سنوسى يوسف إبراهيم** : (دكتور)
"زناتة والخلافة الفاطمية" الطبعة الأولى ، القاهرة 1986م .

20. **صابر محمد دياب** : (دكتور)
"سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط" الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة 1973م.

21. **صبحى الصالح** : (دكتور)
"النظم الإسلامية" الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت 1978م .

22. **عبدالعزيز حميد وأخرون** : الفنون الزخرفية العربية الإسلامية ، بغداد 1982م .
23. **عبدالفتاح عبادة** : سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ، مطبعة الهلال ، القاهرة 1913م .
24. **عصام الدين عبدالرؤوف الفقى** : (دكتور)
"تاريخ المغرب والأندلس" مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة .

25. **عبدالمنعم ماجد** : (دكتور)
"تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى" الطبعة الثانية ، الأنجلو المصرية ، القهرة 1972م .

26. **.....** : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر الإسكندرية 1968م .
27. **عطية القوصى** : (دكتور)
"الحضارة الإسلامية" دار الثقافة ، القاهرة 1985م .

28. **محمد على دبوز** : تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة الحلبى ، القاهرة 1963م.

ثالثاً: الرسائل العلمية الغير منشورة والدوريات:

1. **حورية عبده سلام** : علاقات مصر ببلاد المغرب منذ الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآدب ، جامعة القاهرة 1975م .
2. **عادلة محمد الحمد** : قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآدب ، جامعة الكويت 1976م .
3. **ليو بولد وتورس بلياس** : الأبنية الإسبانية الإسلامية، ترجمة علية إبراهيم، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد العدد الأول السنة الأولى 1953م .

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

الطبقة المثقفة ومدى اعتقادها في السحر: دراسة سوسيولوجية على عينة من بعض المثقفين بمدينة القبة

د. عمر موسى عمر بوحردة

(محاضر بقسم علم الاجتماع كلية الآداب والعلوم - فرع القبة – جامعة عمر المختار)

- المقدمة:

موضوع السحر من المواضيع المرتبطة بالمجتمع وثقافته، وذلك لعلاقته الوطيدة بالدين وتتضح الرؤيا أكثر لأن الدين من الأنظمة المهمة التي تشكل نسيج وثقافة المجتمع.

لذا كثرة النقاشات في الآونة الأخيرة حول السحر؛ بعضهم ربطه بالتخلف واعتبره مرحلة متأخرة والتطور العقلي قد اجتازها، فلا تؤثر في العقل؛ لأن المجتمعات الآن لا تؤمن إلا بالحقائق التي تلاحظها أو تثبتها التجربة، إلا أن هذه النظرة يشوبها الكثير من الخطأ لأن الإنسان يتكون من روح وجسد، والكلام الذي يقال عن الملاحظة والتجربة يرتبط بالجسد فقط، لذا اعتبر مجموعة من العلماء إهمال الدين إهمال للجزء الآخر من الإنسان، وهو الروح، لأن الدين يظهر في الروح على هيئة سلوك.

من هنا لاحظ "فريزر" العلاقة العكسية بين الدين ومستوى الثقافة, فترجيع بعض الأمور للغيبيات يظهر أكثر في الطبقات التي ثقافتها بسيطة، أي أن كلما ارتقى الأفراد في السلم الثقافي قل الاعتقاد بالغيبيات والأمور السحرية، إذ نجده قسم علاقة الإنسان بالكون إلى مرحلة السحر، ثم مرحلة الدين وأخيراً مرحلة العلم.[1]

لذلك رأي الباحث أن يدرس الطبقة المثقفة في جزء من المجتمع الليبي ويتعرف على اعتقادها بالسحر, وهل التعليم الذي تلقته هذه الطبقة أثر على ثقافتهم وغير سلوكهم؟ وهل ما يعتقده بعض علماء المجتمع الغربي من أن الدين مرحلة سابقة اجتازتها المجتمعات أم مجتمعنا بحكم ارتباطه بالدين الإسلامي الصالح لكل زمان ومكان, موقفه من الدين يختلف؟ هذا ما ستجيب عنه هذه الدراسة والتي اختارت أساتذة المدارس الثانوية بمدينة القبة والذين هم في العادة متحصلون على مستويات تعليم عالٍ.

- تحديد مشكلة البحث:

تنبثق هذه الإشكالية من الدراسات التي ركزت على محاولات الإنسان المستمرة في التحكم في الأشياء المشخصة، وغير المشخصة في العالم, وذلك باستخدام ذكائه، لعل ذلك ما جعل "أوجست كونت" يتبنى قانونه الشهير بقانون المراحل الثلاث أو التطور العقلي، إذ جعل المرحلة اللاهوتية وما فيها من ارتباط بالدين والسحر مرحلة متخلفة في التفكير الإنساني.[2]

بل قد ركز "جيمس فريزر" على هذه النقطة بالذات، بقوله أن الاعتقادات في السحر دلائل على ذكاء الإنسان في محاولته المستمرة للتحكم في العالم، إلا أن الناس يدركون بالتدريج أنهم لا يتحكمون حقيقة في هذه الحوادث بالممارسات السحرية.[3]

هنا ينقسم الناس إلى نوعين:

---

[1] - صالح أبوالطويلة, السحر والدين, الموقع: http://m.ahewar.org/s.asp?aid=316153&r ,2012

[2] - أنتوني جيدنز, مقدمة نقدية في علم الاجتماع, ترجمة: أحمد زايد وآخرون, ص 33, الموقع: www.kotobarabia.com

[3] - محمد أحمد البيومي, علم الاجتماع الديني, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, 2010, ص196.

- **الطبقة العامة:** يظل اتجاههم يعبر عن استمرار تصديق السحر، ذلك لأنهم يعتمدون على الجانب الانفعالي، والشعائري، أكثر من الفكر؛ إذ الرجل البدائي يجد نفسه محاطاً بقوى الطبيعة التي تحدث دون أن يستطيع السيطرة عليها؛ فيلجأ إلى الشعائر والطقوس السحرية، والتي يتخيل من خلالها التحكم في الطبيعة، ويزيل قلقه وخوفه.
- أما النوع الآخر وهو **الطبقة المثقفة**: فعندما لا يلبي السحر مطلبها تلجأ إلى ضرورة تضرع الإنسان إلى قوى الإله، ويتجه إلى التوحيد، وهذا ما نسلم به.

لكن فريزر وأغلب علماء الغرب يرون أن بتقدم العلم يضمحل الدين، وينقرض، ذلك لزعمهم أن تطور العقل والناحية الفكرية ستقودهم إلى المرحلة الوضعية، والتي يختفي فيها السحر والدين، لذا سيحاول الباحث أن يتعرف على أفكار الطبقة المثقفة في مجتمعنا، واعتقاداتها اتجاه السحر، ومدى اختلافها عن تفكير الطبقة العامة.

– التساؤلات:

التساؤل المحوري للدراسة: ما مدى اعتقاد الطبقة المثقفة بالسحر؟

انبثقت عن هذا التساؤل التساؤلات الفرعية الآتية:

- هل اعتقاد الناس بالسحر مرتبط بعامة الناس؟
- هل لا يرتاد المثقفون جلسات السحر العلاجية في الحالات التي يعجز فيها الطب عن علاجهم؟
- هل المثقفون يرون في السحر نوع من التخلف والجهل الذي يجب ألّا يتعاملوا به؟
- هل يلجأ الإنسان المتعلم إلى السحر عندما يمر بمشكلة صعبة لا يجد لها حلاً؟

– الأهمية:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى الآتي:

1- معرفة دور العلم والمعرفة في تشكيل عقلية الإنسان المتعلم.
2- معرفة المدى الذي وصل إليه نظامنا التعليمي في تخليص الطبقة المثقفة من عادات السحر والتفكير الخرافي.

– الهدف :

1- دراسة ظاهرة السحر والشعوذة من خلال وصف وتحليل بيئتنا وتأثيرها على مثقفينا.
2- التعرف على مدى انتشار أفكار السحر والشعوذة في مجتمع القبة خاصة لدى مثقفيها.
3- الإجابة على التساؤلات المطروحة.

– المفاهيم المرتبطة بالدراسة:

الثقافة: تعريف "ريد فيليد" هي مجموعة من المفاهيم والمدركات المتفق أو المصطلح عليها في المجتمع لتنعكس على الفن والفكر وأوجه النشاط، وتنتقل عن طريق الوراثة عبر الأجيال لتكسب الجماعات صفاتٍ وخواصاً مميزةً.[4]

– الاعتقاد أو العقيدة:

هي مجموعة الأفكار والمبادئ التي يؤمن الفرد بصحتها ثم تبنى العقيدة عن طريق الإدراك الحسي والاستنتاج والاتصال مع الأفراد.

– السحر:

1- تعريف السحر بوجه عام: هو اتفاق بين ساحر وشيطان على أن يقوم الساحر بفعل المحرمات أو الشركيات في مقابل مساعدة الشيطان له وطاعته فيما يطلب منه ويسمى سحرا لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالأبصار، وهو عزائم ورقي وكلام يتكلم به ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان؛ فيُمرّض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجته، وتأثيره بإذن الله؛ حتى وإن كان عمل شيطاني يتخذ الشرك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب.[5]

2- تعريف السحر في اللغة: أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه، أي إخراج الشيء في أحسن معارضه حتى يفتن.[6]

3- كل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، والساحر يطلق على الذي يقوم بهذه الأعمال، وسحره بالشيء سحرا، أي خدعه واستماله وسلب لبه.[7]

كذلك يقال: سحرته بعينها وسحره بكلامه وسحره الشي أي أفسده.[8]

4- السحر بالمحاكاة والتقليد: أي يقوم الساحر بتقليد حركات السحب مثلا بيديه، تلك السحب التي تجلب المطر وذلك لإمكان إنزال الأمطار.[9]

---

[4] - السيد عبدالعاطي السيد, المجتمع والثقافة الشخصية, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, 2003,ص8.
[5] - وحيد عبدالسلام بالي, الصارم البتار في التصدي للسحر والأشرار,مكتبة التابعين, ط3, 1992, ص8.
[6] - المرجع نفسه, ص 8.
[7] - صالح بن فوزان الضوران, التوحيد, مؤسسة الحرمين الخيرية, ص32, الموقع: www.al-islam.com
[8] - مجمع اللغة العربية, المعجم الوسيط, الجزء الأول, مكتبة الشروق الدولية,القاهرة, 2004, ص421.
[9] - عبد الرحمن العيسوي, سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي, دار النهضة العربية, بيروت, 1984, ص72.

- **الفقيه:**

الفقيه أو الشيخ في هذه الدراسة يطلق على من يقوم ببرنامج الحضرة وكتابة الأحجبة والشعوذة والأعمال السحرية، وليس من يحفظ كتاب الله ويعمل به.

- **العراف:**

لغة هي حرفة، والعراف هو المنجم وطبيب العرب، والعرافة هي فن التنبؤ بواسطة الاتصال بالأرواح الشريرة، إلا أنها ومن خلال الاعتقاد بهم أصبحت تنسب حتى لأصحاب الحكمة والبصيرة.[10]

- **الطبقة:**

تعرف بأنها هي مجموعة من الناس تمثل أحد المكونات الأساسية للبناء الاجتماعي لمجتمع طبقي،[11] كما يعرف "لينين" الطبقة قائلا: الطبقات عبارة عن جماعات من الناس كبيرة العدد تتميز عن بعضها تبعا لموقعها في أحد أنساق الإنتاج الاجتماعي التاريخية، إذا الطبقات عبارة عن جماعات من الناس تستطيع إحداها استغلال عمل أخرى تبعا لتباين موقع كل منها، والتي عادة يحددها وضعها الاقتصادي في المجتمع.

- **التفكير الخرافي:**

التفكير الخرافي في رأي: "جون ديوي" أمر طبيعي وهو مثل التفكير العلمي سواء بسواء، وفي هذا المعنى يقول: بأنه لا يوجد فرق بين قدرة عمود من الزئبق على التنبؤ بالمطر وقدرة أحشاء حيوان أو سرب من الطيور على التنبؤ بنتيجة الحرب.[12]

الربط: هو عمل سحري يعمله الشيخ ويتلو عليه ببعض الطلاسم، يزعم الناس أنه يعوق الرجل عن الإتيان بالأعمال الجنسية، إلى أن يلجأ المربوط إلى الشيخ لحل الربط, فإذا حله عاد إلى حالته الطبيعية الأولى.[13]

---

10 - سامية حسن الساعاتي, السحر والمجتمع, دار النهضة العربية, بيروت, 1983, ص58.
11 - بوتومور, الطبقات في المجتمع الحديث, ترجمة محمد الجوهري وآخرون, ط2, 1979, ص ص 18-19.
12 - سامية حسن الساعاتي, السحر والمجتمع, مرجع سبق ذكره, ص64.
13 - المرجع نفسه, ص 83.

– الإرث التاريخي:

الدراسة الأولى: السحر والمجتمع.[14]

تتناول هذه الدراسة ظاهرة السحر من منظور تاريخي، وذلك بلمحات تاريخية عن السحر عند الفرس والكنعانيين ثم عند قدماء المصريين لإبراز التشابهات وأوجه الصلة بين المعتقدات السحرية في مصر القديمة والمعتقدات السحرية الحالية في مصر، واستخدمت في ذلك المنهج الوصفي، وأخذت عينة من المشتغلين والمترددين على السحرة للتعرف على خصائصهم من الناحية المدنية والتعليمية والمهنية، ونوعهم وديانتهم، وتوصلت إلى النتائج الآتية:

أ- نتائج خاصة بالمشتغلين بالسحر.

- الاشتغال بالسحر عمل يمكن أن يقوم به كلا الجنسين.
- ثلث فقط من المشتغلين بالسحر من الأميين، والباقي من الطبقة المتعلمة.
- أغلب المشتغلين بالسحر يستغلون القرآن الكريم لخداع الناس.
- عدد من المشتغلين بالسحر من رجال الدين وأئمة المساجد والمقرئين والوعاظ والمدرسين في المدارس الابتدائية الأزهرية.
- لدى هؤلاء السحرة قناعة وبنسبة 100% بأن مهنتهم مفيدة للناس.

ب- نتائج خاصة بالمترددين على المشتغلين بالسحر:

- توضح نتائج البحث أن الإناث أكثر تردد من الذكور على المشتغلين بالسحر.
- أكثر أسباب تردد النساء إما بحثاً عن الإنجاب أو علاج العقم أو إنجاب الصبية الذكور.
- ما يقارب الثلثين ممن يتردد على المشتغلين بالسحر من المسلمين، والثلث من المسيحيين.
- يبين البحث أن حوالي الثلث من المترددين على السحرة من الأميين.
- أغلب المترددين على السحرة من المتزوجين.
- جل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية يترددون على المشتغلين بالسحر، ويدافعون عن ذلك بقولهم أن السحر معترف به في الدين.
- فئة من المترددين على السحرة تبرر ذلك باعتراف الدولة بالسحرة وبتداول كتب السحر والطالع والفنجان ويعلنون عن أنفسهم في الإذاعات والصحف اليومية.

الدراسة الثانية: سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي.[15]

تعرضت هذه الدراسة للظواهر الخرافية التي تبدو في الحياة اليومية لدى عدد كبير من أفراد المجتمع المصري واللبناني, وقد وضعت الافتراضات الآتية لتتحقق منها:

- إن الأحجبة يمكن أن تحمي الفرد من بعض الأذى.

---

14 - المرجع نفسه, 88.

15 - عبدالرحمن العيسوي, مرجع سبق ذكره.

الطبقة المثقفة ومدى اعتقادها في السحر: دراسة سوسيولوجية على عينة من بعض المثقفين بمدينة القبة

- إن إطلاق البخور يجلب حسن الحظ.
- لاشك إن كل طويل هبيل وكل قصير مكير.
- قراءة الكف قد تصدق في التنبؤ بمستقبل الفرد.
- قراءة الفنجان يمكن أن تكشف عن المستقبل.
- التشاؤم من نباح الكلب.
- التشاؤم من رؤية الغراب.
- يستطيع بعض الناس استخدام الأرواح لتحقيق أغراضهم.

وصلت العينة التي اعتمد عليها الباحث 2210 من المجتمع المصري: 940 ذكور و1270 إناث بنسبة 42.5، 57.5 على التوالي، والمجتمع اللبناني: 170 ذكور و265 إناث، وتم استخدام الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات، والمنهج الوصفي لوصف هذه العينات.

أما النتائج فكانت كالآتي:

- أوضحت الدراسة أن الخرافات لا تقتصر على المجتمعات المتخلفة إنما مازالت صور منها منتشرة في أرقى المجتمعات.
- تبين أن للخرافة كثيراً من الأضرار النفسية والاجتماعية والاقتصادية فكثير من المترددين يتم استغلالهم ماديا وتعتل صحتهم.
- نسبة كبيرة من أفراد العينة يعتقدون في تأثير الحسد، وتزداد هذه النسبة عند النساء عن الرجال.
- مقارنة ببعض الدراسات السابقة كدراسة "جورج زعرور" يتضح أن المجتمع في الوقت الحالي أقل اعتقادا بالخرافات.

الدراسة الثالثة: الاعتقاد في السيطرة الخرافية على المصير.[16]

دراسة وصفية تحليلية للاعتقاد في السحر عن بعض الفئات الاجتماعية الحاصلة على قدر عالٍ من التعليم بمدينة البيضاء، والإشكالية كانت تدور لإجابة التساؤل الآتي: ما الخصائص التي تميز بنية الاعتقاد في السيطرة الخرافية على المصير لدى بعض الفئات الاجتماعية التي تتميز بمستوى عالٍ من التأهيل والتحصيل العلمي؟

أما محددات البحث فكانت في التركيز على المعتقدات التي تتصل بالحسد والتعلق بالأولياء ومقاماتهم وكراماتهم والاتصال بالجان والسحر.

- توصلت الدراسة إلى أن الاعتقاد في السيطرة الخرافية على المصير تفقد القدرة على تصور التنظيم الاجتماعي الأمثل الذي يقوم بمهام التحديث.

[16] - خالد محمد مصطفى, "الاعتقاد في السيطرة الخرافية على المصير:دراسة اجتماعية على عينة من ذوي التعليم العالي", ليبيا, البيضاء, سنة 2003.

- مجرد الوعي بهذه الخرافات عند الطبقة المثقفة يخلق جدلاً ويشكل بالتالي تعددية فكرية وسياسية يتشكل معها التنظيم الاجتماعي ويسمح بتقدم القوى الإنتاجية التكنولوجية, وتبدأ بإزاحة الأفكار والمعتقدات المرتبطة بالسيطرة الخرافية على المصير.

الدراسة الرابعة: دراسة حالة بالمشاركة على طريقة خط الرمل.[17]

حقيقة لم تكن دراسة بالمعنى المتعارف عليه بل كانت دراسة حالة بالمشاركة على أحد العرافين، تقمص فيها الباحث دور المرافق لأحد المرضى، وحاول أن يقوي علاقته بالعراف أو الفقيه، وأغدق عليه في ما يسمى "البيوض" وهو مبلغ من المال يطلبه الفقيه، والذي بالمقابل طلب قطعة من ملابس المريض وخصلة من شعره، وبالمقابل صنع له حجاباً متضمناً ورقة رسم فيها بعض الخطوط قال أنه يستطيع من خلالها التعرف على حالة المريض.

للموضوعية قال كلام حصل للمريض فعلا في الماضي، ومن خلال تردد الباحث وحضور بعض الجلسات العلاجية باستمرار وبناء الثقة التي بينهم أبرز الفقيه عدداً من الشهادات والتعاريف، تبين أنه متخصص في طريقة "خط الرمل" وكانت هذه الشهادات رسميةً ومعتمدةً من جمهورية مصر العربية، كان مضمونها, تبدأ بالبسملة وتبين أن خط الرمل علم علمه الله سبحانه وتعالى لسيدنا إدريس ومن بعده نوح عليهما السلام، ومذيلة بملاحظة بأنه يجب أن يستخدمه في الخير والمنفعة ولا يستخدمه في ضرر الناس، وبأن هذه الطريقة يستطيع صاحبها أن يكتشف اللصوص والمجرمين والقتلة.

حاول الباحث أن ينسخ هذه الوثائق فرفض الفقيه وشك في الباحث وقال له: أنك لا تستطيع أن تخيفني لأن الجهات الرسمية دائما تتعامل معي وتستعين بي، وهنا استفزه الباحث وقال له أن عملكم هذا نوع من السحر، غضب وأخرج من جيبه مجموعة كبيرة من الصور والأسماء وقال أنا ساهمت في معرفة من قتل هؤلاء، واكتشفت عدد من السرقات.

– النتيجة:

- اتضح أن هذا الشخص عراف وليس فقيه، ويسمى عندنا "تقاز*" ولكن لأغراض مالية ادعى الفقه وفك السحر؛ فهو لا يرُد أي زبون ويمتلكه بكلامٍ معسولٍ ويمنيه بأشياء تبهره.
- أتضح أن من يتردد عليه مجموعات أغلبها من أصحاب الوجاهة والشأن في المدينة.
- الطامة الكبرى أن هذا العراف يرقي الناس بالقراءة في جالونات المياه وينفث فيها وهو مصاب بالالتهاب الكبدي المرض المعدي، فهو لا يعالج الناس بل يصيبهم بأمراض لا شفاء منها.

---

[17] - عمر موسى عمر, دراسة حالة بالمشاركة على أحد العرافين , مدينة البيضاء, 2004.

* - التقاز شخص يدعي علم الغيب من خلال استعماله لبعض الحصى أو الأعواد بعد أن يقرأ عليها بعض الطلاسم.

– تصنيفات السحر:

أولا: عند علماء الانثربولوجيا والاجتماع:

1- السحر الأسود والسحر الأبيض: من أشهر تقسيمات السحر تقسيمه إلى سحر أسود وسحر أبيض، ويعد "فريزر" من أهم العلماء الذين ذهبوا هذا المذهب، إذ أن السحر الأسود سحر ضار يمارس إلحاق الأذى بالآخرين أو على الأقل لإيذاء شخص ما من أجل شخص آخر أو لتحقيق مصلحة شخص ما على حساب آخر وهذا النوع من السحر شائع شيوعاً كبيراً في كل المجتمعات والثقافات في كل العصور.[18]

أما السحر الأبيض فإنه يخدم أهدافا أخرى مختلفة عن ذلك تماما، كما أنه أكثر أهمية من وجهة نظر المجتمع؛ نظرا لأنه يحقق أهدافا عملية تعود بالنفع على المجتمع ككل، ولا يتعارض مع القيم الموجودة بالمجتمع, ويمثل السحر الأبيض في كثير من صوره انتشار التعاويذ والرقى التي يستعين بها المرء لإنجاز أعماله اليومية، وتحقيق الأهداف التي قد يعجز عن تحقيقها بقواه الخاصة.[19]

2- السحر التشاكلي والسحر الاتصالي:

أ- السحر التشاكلي: ويعرف أحيانا بسحر المحاكاة يقوم على استخدام مبدأ التشابه، أي إلحاق الأذى بأعدائهم عن طريق إيذاء صورهم أو تدميرها اعتقادا منهم أن ما يلحق بالصورة من شر وضرر يلحق بصاحبها، وأنه حين يتم تدمير الصورة يموت الأصل بالضرورة.

الهنود الحمر يعتقدون أن رسم صورة شخص في الرمل أو الرماد أو الحصول على أي جزء من جسمه وبخسه بقطعة حادة من الخشب أو إلحاق أي نوع آخر من الأذى به سيتبعه إلحاق آذى مماثل بالشخص ذاته الذي تمثله الصورة.

ب- يقوم على فكرة أن الأشياء المتصلة حتى بعد أن تنفصل تماما عن بعضها تصبح في علاقة تعاطف، بحيث إن ما يطرأ على أحدها يؤثر بالضرورة تأثيرا مباشرا على الآخر.

فحتى الأجزاء التي تنفصل عن الشخص كالشعر أو الأظافر إذا وقعت في يد شخص آخر يجعله خاضعا لإرادته مهما بعدت المسافة بينهما.

– تصنيفات السحر عند المسلمين:

1- يحدثنا "أبوبكر الرازي" المفسر المشهور عن تصنيفات السحر وأنواعه، فذكر منه سحر أصحاب الأوهام، والنفوس القوية، وسحر يستعين أصحابه بالأرواح الأرضية ويقصد بها الجن، وسحر التخيلات، والآخذ بالعيون، لأن المشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين

---

[18] - سامية حسن الساعاتي, الناس والسحر: "بحث في علم الاجتماع الغيبي", الدار المصرية السعودية, القاهرة, 2006, ص13.

[19] - سيد حسين العفاني, أعلام وأقزام في ميزان الإسلام, دار ماجد عسيري, 2004, ص237.

به، ويأخذ عيونهم إليه، ويضيف الإمام "الرازي" إلى تصنيفات السحر ما يسميه سحر الأعمال العجيبة، التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية الخاصة.[20]

2- هناك من العلماء كالإمام "الأصفهاني" الذي يصنف السحر إلى ثلاثة أصناف:

أ- استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه.

ب- ما كان بقوة تغير الصور والطبائع ولا حقيقة لذلك عند المحققين.

ت- الخداع والتخيلات.

3- أما المفسر الجليل "ابن كثير" فيجعل أصناف السحر ثمانية وهي:

أ- سحر الكذابين والذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة، ويعتقدون أنها مدبرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر.

ب- سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية لأن الوهم هو الذي يؤثر في الإنسان فيجعله يعتقد أنه يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشي عليه إذا كان محدودا على نهر أو نحوه والنفوس خلقت مطبعة للأوهام.[21]

ت- سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن ومنهم كفار ومؤمنون واتصال النفوس الناطقة بهم أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية؛ لما بينهما من المسافة والقرب وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير.

ث- سحر الشعوذة والأخذ بالعيون وإذهال الناظرين مع الاعتماد على السرعة الشديدة.

ج- سحر الأعمال العجيبة القائمة على استخدام خواص المواد ومن هذا القبيل ما ذكره المفسرون في قصة سحرة فرعون.

ح- سحر الاستعانة بخواص الأدوية في الأطعمة والدهون الخاصة.

خ- سحر تعليق القلب حيث يدعي الساحر المخادع أن الجن يطيعونه وينقادون له.

د- سحر الإستعداء والنميمة عن طريق التحريش بين الناس ويتوقف هذا النوع على مدى ذكاء القائم به.

– رأي الإسلام في السحر:

اعتبره الإسلام داء خطير تفشى بين الناس، عامة وخاصة، إلا من رحم ربي، فهو خطر على البشر وعلى العقيدة وعلى الأمة بأسرها.

فالسحر قرين الكفر، ولسوء آثاره أتهم به الأنبياء ومن هذه التهم، قال الله تعالى: "كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ"،[22] وللأسف أصبحت تجري طقوسه في أكثر شعوب العالم تقدما، وتقام له جمعيات ومعاهد وتنظم له المؤتمرات والندوات.

أما حكم السحر في الدين فمحرم في جميع شرائع الرسل عليهم السلام، وهو أحد نواقص الإسلام، إذ نجد المولى سبحانه وتعالي يقول: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ

---

20 - ابوبكر الرازي, رسائل فلسفية, ص50: الموقع: http://www.fm-lb.org/sites/default/files/gap.pdf

21 - سحر خارق للطبيعة"الموسوعة الحرة": الموقع /ar.wikipedia-org/wiki

22 - سورة الذاريات, الآية 52.

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"،[23] استنادا إلى ذلك يقول ابن تيميه: الساحر كافر يجب قتله وقد ثبت قتل الساحر، وذلك لأنه مفسد في الأرض يفرق بين المرء وزجه، ويؤذي المؤمنين والمؤمنات، ويزرع البغضاء والرعب.

- **دراسة استطلاعية:** عن بعض مظاهر الشعوذة والسحر في القبة:

المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات تداخلت بين ثناياه ثقافات عادة السحر، بل ولقد أختص لنفسه أنواعا معينة تميزه عن غيره، من أمثلة الطرق السحرية المتواجدة في مجتمعنا ما يأتي:

1- طريقة حلب النجوم: هي طريقة من الطرق التي يعتبرها المجتمع خطيرة، ومن يتعامل بها له تأثير كبير، فهي من أنواع السحر الأسود الذي يستخدم في الأمور الشريرة عادة.
- إذ عادة ما نجدها عند بعض النساء اللاتي يستخدمنها سراً لأنها تتطلب ذهابهن إلى المقابر في الليالي غير الملبدة بالغيوم، كأنهن فرسان يجُلْن في المقبرة من شمالها إلى جنوبها عاريات، لكي تستجيب لهن النجوم، كأن هذه النجوم "نوق" فلكي تحلبها النساء لابد أن تستخدم كل ما يغضب الإله بكل أنواع الفواحش.
2- ترتبط بالطريق الأولى طريقة أخرى وهي: طريقة " فتل الكسكسو*" هذه الطريقة تتطلب أن تأتي النساء عادة إلى المقبرة ليلاً عندما يعلمْن أن هناك شخصا دفن حديثا، يكون بموصفات معينة ربما ترتبط بتاريخه، أو يكون قد وضع معه شيء خلسة أثناء تغسيله، تنبش هؤلاء النسوة القبر ويقطعْن يدي المتوفى، ويقومْن بفتل أكلة الكسكسو ثم تجفف، من ثم يقومن ببيعها عن طريق كوب شاي صغير بأثمان مرتفعة، لاستخدامها عادة في سيطرة المرأة على زوجها حسب اعتقادهن، فتتحكم فيه كيفما تشاء، فيصبح يدافع عليها عندما تختلف مع أمه أو أقاربه، ويصل الأمر إلى أن يصبح "ديوث" لا يبالي بمن يأتي إلى بيته من الرجال الأجانب.
3- الخرزة: هي نوع من العقيق كبير الحجم بها ألوان متعددة تستخدمها النساء عادة في التحكم في الأزواج أو في خراب بيوت الغير.
4- الشبّة: وهي حصى تشبه الملح حمضية المذاق، توضع في وعاء على النار بعد قراءات معينة عليها، تتحول إلى سائل ثم تجف فتأخذ رسماً معينا يشبه في تفسير من يقوم به الشخص الذي قام بوضع سحر له، فيُعّرف الفاعل حسب وجهة نظرهم.
5- الحضرة: مجلس يقوم به شخص يدعى "فقيه" يُعقد عادة يومي: الاثنين أو الخميس لاستحضار الجن حسب إدعائه، تأتي الناس أو المريدون بعد زيارة سابقة له من قبل وحدد لها ما تطلبه الأسياد - الأرواح التي يتعامل معها - كخروف بلون معين أو دجاج، وعند اجتماع الناس بعد العشاء يقوم مع فرقته بضرب الطبول " البندير" ويستجدي الأولياء الصالحين الأموات، ويكثر من البخور ويبدأ المديح والأهازيج التي يستلطف فيها الأولياء، في هذه الحالة كل من مسه جان

---

[23] - سورة البقرة, الآية رقم 102.

* - أكلة الكسكسي أكلة شعبية تنتشر في المغرب العربي تصنعها النساء من الدقيق الخشن, وتضيف عليها الخضروات واللحم.

أو استطاع أن يستحوذ عليه بأفكاره الشريرة يأتي إلى وسط الحضرة، وهو يتخبط وتصدر منه حركات لا تصدق أنه يستطيع أن يقوم بها في وضعه العادي، هنا يبدأ الفقيه في هذا الجو المهيب بالاستعراض، فمنهم من يقوم بأكل الزجاج، ومنهم من يقوم بطعن نفسه بالسيف أو لحسه بعد أن يوضع في النار إلى درجة الاحمرار، في هذه اللحظة يأتي الفقيه إلى المرضى ويهدد الجان الذي تلبس بهم بأن يخرج أو سيكويه بالنار ويجلده بالسياط.

حسب وجهة نظر الباحث والذي آتي إلى كثير من هذه الجلسات بغية الاستطلاع وكشف الحقيقة بنفسه، هؤلاء لاعلاقة لهم بالدين الإسلامي، إذ عندما تأتي إليهم لا تجد عندهم حتى مكان تستطيع أن تصلي فيه، ولا يحافظوا على الصلاة، وإذا صلوا تلاحظ أنها تصنّع، والحضرة ما هي إلا حفلة راقصة يختلط فيها الرجال والنساء وهن مبعثرات شعرهن، وقد تعرت أجسادهن من أثر المديح.

6- "دحية الخميس:" أي بيضة يشترط أن تكون قد باضتها الدجاجة يوم الخميس، وهي من أنواع السحر الأبيض، لأنها تستخدم لتسريع الإنجاب للمرأة التي أتى موعد إنجابها وأصبح لديها عصر في الولادة، وهي خرافة واعتقاد خاطئ.

أما عن استعمال الحيوانات كالزواحف والطيور فهي كالآتي:

أ- يستخدم القنفذ عندما يُركّب له سرج في التخلص من الزوجة الثانية، عادة يستخدم من قِبل الزوجة الأولى.

ب- الوطواط أو الخفاش يعرف في ليبيا "أطوير الليل" يستخدم لإزالة شعر المرأة الداخلي، هذا النوع يعتبر من أنواع السحر الأبيض المفيد، ذلك بأن يذبح بطريقة معينة وتدهن الأماكن التي تريد المرأة أن تزيل شعرها بدمه كالإبط والساقين والرحم، فلا ينبت فيها الشعر مرة أخرى.

ت- حيوان الخلد: حيوان قارض يسمى في اللهجة العامية "بوعمايا" يعيش دائما تحت الأرض ويصنع أكوام من التراب يستخرها من باطن الأرض، تستخدمه النساء في المحافظة على زوجها؛ بأن لا يفكر في الزواج عليها، لكنها طريقة غير صحيحة أثبتت فشلها حسب تأكيد عدد من النساء اللاتي قمْن بتجريبها.

ث- ريش الهدهد: بعض كبار السن يحتفظون بريش الهدهد للتبرك، ربما ارتبطت هذه العادة حسب رأي الباحث للمكانة التي نالها الهدهد عند سيدنا سليمان عندما نقل رسائل منه للملكة بلقيس؛ دعيت فيها لعبادة الله.

ج- الحرباء: تستخدم لفك السحر عن البنت البكر، ذلك بوضعها في نار كلما تطايرت الحرباء من حرارة النار انفك السحر، وهي خرافة واعتقاد خاطئ.

ح- النغاقة: هي طائر شكله يشبه طائر اللقلق توضع منه ريشة في البيت؛ لتحفظ الأطفال من مرض "الطيرة" أي النزلة المعوية الحادة، والتي تحدث حسب الخرافة عندما تترك ملابس الأطفال في الخارج ويمر هذا الطائر عليها.

– أخيرا كل هذه مجرد اعتقادات خاطئة يعيش أصحابها في "وهم" فمن خلال تتبعنا لمن جرب هذه الوصفات أتضح أنها لا تأتي بأي فائدة، بل قد تزيد الأمر تعقيدا لأثرها النفسي

هذا من ناحية سلوكية، أما من الناحية الدينية فهي حرام حرام "كذب المنجمون ولو صدقوا"، فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى، والاعتقاد في السحر أو العمل به مرتبط بمشاركة الخالق سبحانه وتعالى بعلم الغيب وهو من الشرك الأكبر.

– الدراسة الميدانية:

- أجريت هذه الدراسة في مدينة القبة التي تحدها من الشمال منطقة رأس الهلال، ومن الشرق منطقة عين مارة، ومن الغرب بلدية الأبرق، ومن الجنوب منطقة المخيلي.
- المجال البشري: يبلغ عدد سكان مدينة القبة 24252 نسمة، عدد الذكور12107 نسمة، عدد الإناث 12145 نسمة، عدد الأسر 4132 أسرة.
- العينة: بما أن المستهدف في الدراسة الطبقة المثقفة بمدينة القبة، استدعى الأمر أن تؤخذ من المدرسين بالمدارس الثانوية، ويستثنى أساتذة الجامعة لأن نسبة كبيرة منهم ليست من مدينة القبة؛ إضافة إلى أن عدداً كبيراً منهم من الأجانب، بالتالي لا يحملون الخصائص الثقافية لأهل المدينة، لذا أخذت منهم نسبة بسيطة جدا فكانت العينة كالآتي:
- تم حصر المدرسين المتواجدين فعليا بالثانويات الثلاث التي بالمدينة، إذ كان عددهم 180مدرس ومدرسة أخذت نسبة 48.5% منهم بعدد 87 مدرساً ومدرسة، وثلاثة من أعضاء هيئة التدريس بفرع الجامعة بالقبة بنسبة 1.5%.

الجدول الآتي (1) يبين توزيع المدرسين على المدارس بالمدينة

المؤسسة	الإجمالي	النسبة
ثانوية الإخلاص	38	%42
ثانوية عمر المختار	33	%37
ثانوية أفريقيا	16	%18
جامعة عمر المختار – القبة	3	%3
الإجمالي	90	%100

أما عن أداة جمع البيانات فكانت الاستبيان وذلك لأن عينة البحث جميعهم من حملة الشهادات الجامعية، والمنهج المستخدم الوصفي، وإلى حد ما تحليلي.

– تحليل البيانات:

الجدول رقم (2) يبين نوع الجنس بالنسبة للمبحوثين

البيان	الإجمالي	النسبة
ذكر	25	%28
أنثى	65	%72
الإجمالي	90	%100

يتضح من الجدول السابق أن أغلبية العينة من النساء بنسبة 72%، يبقى الذكور بنسبة 28%، ويعتقد الباحث سبب ارتفاع نسبة المرأة لكون التدريس أفضل مجال تفضله المرأة للعمل.

الجدول رقم (3) يبين الدخل الشهري للمبحوثين

البيان بالدينار	الإجمالي	النسبة
من 550 حتى 650	38	%42
من 651 حتى 750	45	%50
من 751 حتى 850	4	%4
من 851 فأكثر	3	%3
الإجمالي	90	%100

يتضح من الجدول السابق أن نصف العينة تقريبا تتقاضى ما بين 651 حتى 750 دينار، يليها مباشر وبنسبة 38% يتقاضون 550 حتى 650 دينار، وأقل نسب هم من يتقاضون من 751 حتى 850 دينار، أما أقل نسبة فهي من يتقاضى في أكثر من 851 دينار ويبدو هؤلاء هم أعضاء هيئة التدريس بالجامعة.

الجدول رقم (4) يبين الحالة الاجتماعية للمبحوثين

الحالة الاجتماعية	الإجمالي	النسبة
متزوج	65	%72
أعزب	25	%28
الإجمالي	90	%100

يوضح الجدول أن قرابة ثلاث أرباع العينة متزوجون وأكثر من الربع بقليل من أفراد العينة عزاب، وهذا أمر ليس غريب خاصة بعد ارتفاع المرتبات، فالإنسان بعد حصوله على شهادة وعمل؛ عادة يرتبط بأسرة.

الجدول رقم (5) يبين الاعتقاد في التحكم بمصير شخص آخر بواسطة الأعمال السحرية

البيان	**الإجمالي**	**النسبة**
نعم	47	%52
إلى حد ما	19	%21
لا	24	%27
الإجمالي	90	%100

يبين الجدول السابق أن 52% من الطبقة المثقفة تعتقد في أنه يمكن أن تتم السيطرة على مصير شخص آخر عن طريق السحر، إضافة إلى ما نسبته 21% كانت إجابتهم إلى حد ما والتي تندرج عادة أو تضاف لمن أجاب بنعم وبهذا تصبح النسبة 73% يعتقدون في السيطرة عن طريق السحر، بينما أكثر من ربع العينة بقليل لا يعتقدون في السيطرة السحرية. واضح هنا أن الطابع التعليمي مازال قاصرا في إخراج الطبقة المثقفة من دائرة الخرافات والاعتقادات السحرية، ربما مرد ذلك إلى طبيعة المجتمع الثقافية الريفية، وغياب الصحوة الدينية الحقيقية.

الجدول رقم (6) يبين حضور أفراد العينة لجلسة علاجية "حضرة"

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	30	%33
لا	60	%67
الإجمالي	90	%100

يبين الجدول السابق أن نسبة 33% يؤكدون على أنهم قد حضروا بعض الجلسات العلاجية التي يقوم بها بعض الفقهاء أو الشيوخ، بينما ما نسبتهم 67% لم يحضروا أي جلسة علاجية، وربما مرد ذلك لعدم اعتقادهم في هؤلاء السحرة.

الجدول رقم (7) يبين أسباب الإجابة بنعم لحضور الجلسات العلاجية

السبب	الإجمالي	النسبة
لغرض الاطلاع فقط	10	%33
لأن أحد أقاربي كان مريضا	14	%47
لكي أطمئن وأعالج نفسي	6	%20
الإجمالي	30	%100

يتضح أن النسبة الكبيرة والتي تصل إلى 47% إجابة بأن سبب حضورها للفقيه كان لأن أحد أفراد أسرتها مريض، ونسبة 33% منهم كان سبب ذهابه للفقيه لكي يشاهد ويتفرج أي للاطلاع فقط، وما نسبته 20% كان ليعالج نفسه، ويتضح هنا أن العلاج بالممارسات السحرية ما زال يسيطر على عقول المثقفين، وهذا يتطابق مع كلام "أجبرن" والذي يؤكد على أن الثقافة المادية تنتقل بسرعة أكثر من الثقافة العقلية.

الجدول رقم (8) يبين الأسباب التي جعلت بعض المثقفين لا يحضرون جلسات العلاج

البيان	الإجمالي	النسبة
لأني لا أعتقد فيهم	25	%42
اعتبر أعمالهم من عمل الشيطان	15	%25
ليست لدي مشكلة تستدعي الذهاب إليهم	20	%33
الإجمالي	60	%100

يتضح من الجدول السابق أن ما نسبتهم 42%، وما نسبتهم 25% لا يعتقدون في أعمال السحرة بل ويعتبرونها عمل من أعمال الشيطان، وما نسبتهم 33% يرون بأنه لا توجد لديهم مشكلة تستدعي ذهابهم، وهؤلاء موقفهم ليس واضح من المشعوذين، فهم بذلك أقرب للذهاب إليهم عندما تحدث لهم مشكلة تتطلب الذهاب إليهم.

في حقيقة الأمر يبدو أن هناك بوادر وعي بأن أعمال السحرة أعمال شيطانية فهم لا يعتقدون فيها قد يكون ذلك نتيجة من نتائج العلم والوعي الديني.

الجدول رقم (9) يبين ذهاب أفراد الأسرة للمشايخ أو الفقهاء

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	47	%52
إلى حد ما	20	%22
لا	23	%26
الإجمالي	90	%100

من خلال الجدول يتبين أن ما نسبتهم 52% تذهب بعض أفراد أسرهم للسحرة، وما نسبته 22% غير متأكدين وبهذا تكون نسبة 74% لا تمانع أسرتهم في الذهاب للفقهاء أو السحرة، وما نسبتهم 26% هم من لا تذهب أسرهم مما يعطينا أمل أن هناك نسبة لا تقل عن ربع العينة يلعب التعليم دوره في نشر الوعي بينهم.

الجدول رقم (10) يبين مدى موقفك من ذهاب أفراد أسرتك للشيخ أو الفقيه

البيان	الإجمالي	النسبة
ارفض واتخذ موقف	13	%14
أرفض	27	%30
لا أبالي	50	%56
الإجمالي	90	%100

يبين الجدول السابق أن ما نسبته 56% لا يبالي في ذهاب أحد أفراد أسرته للفقيه، هذا يدلل على الموافقة أو الدور السلبي له، في المقابل ما نسبته 30% يرفض لكنه لم يحسم موقفه ويشدد على عدم ذهابهم، بينما من يرفض ويصر على رفضه ويتخذ موقفاً ممن يذهب نسبتهم بسيطة تصل إلى 14% فقط. هذا يدلل على أن الاعتقاد في السحر حتى لدى الطبقة المثقفة ما يزال قوياً.

الجدول رقم(11) يبين الذهاب إلى الفقيه في حالة حدوث أمور غير طبيعية

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	31	%34
إلى حد ما	14	%16
لا	45	%50
الإجمالي	90	%100

يوضح الجدول السابق القرار الذي يأخذه الشخص عندما تحدث في بيته أشياء غريبة، وفي هذا انقسمت العينة نصفين، نصف أجاب بأنه يذهب إلى الفقيه هذا إذا ما جمعت من أجاب بـ إلى حد ما، والنصف الآخر لا يذهب مهما حصلت من أمور غريبة ببيته.

الجدول رقم (12) يبين مدى إيمان أفراد العينة بوجود السحر

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	90	%100
إلى حد ما	0	%0
لا	0	%0
الإجمالي	90	%100

يبين الجدول السابق إجابة قاطعة بأن جميع أفراد العينة تعتقد في السحر وسنتعرف في الجدول القادم عن الأسباب التي دعت إلى هذا الاعتقاد.

الجدول رقم (13) يبين الأسباب التي دعت إلى الاعتقاد في السحر

الأسباب	الإجمالي	النسبة
لأن السحر مذكور في القرآن	80	%89
لأني أسمع عن أشياء تحدث غير طبيعية	4	%4
لأني أعرف أشخاص تضرروا بالسحر	6	%7
الإجمالي	90	%100

من خلال الجدول يتضح أن الغالبية العظمى من أفراد العينة وبنسبة 89% اعتقدوا في السحر لأنه مذكور في القرآن الكريم، ونسبة 7% من أفراد العينة عرفوا أشخاص تضرروا من السحر، ونسبة بسيطة تصل إلى 4% فقط قد سمعوا عن أشياء غريبة تحدث ليست طبيعية.

الجدول رقم (14) يبين مدى الخوف من الفقهاء

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	22	%24
إلى حد ما	22	%24
لا	46	%51
الإجمالي	90	%99

يبين الجدول من خلال الإطلاع عليه أن ما نسبتهم 51% يخافون من الفقهاء، ويتوقعون أنهم يستطيعون أن يضروهم أو ينفعوهم، بينما نصف العينة الآخر لا يعتقدون فيهم ويعتبرون أن الخوف يجب أن يكون من الله، فهو الذي ينفع ويضر.

الجدول رقم (15) يبين نصيحتك لمن لديه شخص مصاب بالجان

البيان	الإجمالي	النسبة
يذهبون به لأحد الفقهاء الذين يتعاملون مع الجان	%44	%49
يذهبون به إلى طبيب نفسي	%35	%39
يذهبون به إلى المستشفى	11	%12
الإجمالي	90	%100

يبين الجدول السابق الوسيلة التي يجب أن يتبعها من لديه شخص مصاب بالجان، إذ نرى أن ما نسبته 49% يقترحون أن يُذْهب به إلى من يتعامل مع الجان، وفي المقابل نجد نسبة 39% من أفراد العينة لديهم وعي بأن العلم من خلال الطبيب النفسي يمكن أن يعالج مثل هذه الحالات، ونسبة أخرى تصل إلى 12% كانت إجابتهم تتفق مع من سبقهم وهو الذهاب للمستشفى فهو الذي يستطيع أن يُشخّص مرضه ويعالجه.

الجدول رقم (16) يبين النصيحة التي تقدم لشخص فشل في إتيان أهله يوم زفافه

البيان	الإجمالي	النسبة
مسحور ويجب أن يذهب للفقيه	30	%34
مرض نفسي يحتاج لطبيب نفسي	39	43
يجب أن يثق بنفسه ويقرأ القرآن	21	%23
الإجمالي	90	%100

يبين الجدول السابق أن النصيحة التي يجب أن تقدم لشخص "مربوط" لا يستطيع أن يأتي أهله يوم زفافه حسب 34% من العينة هي الذهاب إلى الفقيه لكي يفك عنه هذا العمل، وما نسبته

43% يعتقدون أن الأفضل هو الذهاب إلى طبيب نفسي لأن هذه المشكلة تحصل نتيجة عامل الخوف والرهبة وقلة التجربة، أما 23% من أفراد العينة فيرجعون هذه المشكلة لعدم الثقة بالنفس ويرون أن علاج ذلك في التقرب إلى الله وقراءة القرآن.

الجدول رقم (17) يبين مدى التحكم في الجان بالطريقة الشيطانية

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	80	%88
إلى حد ما	5	%6
لا	5	%6
الإجمالي	90	%100

يتفق أغلب أفراد العينة وبنسبة 88% بأن هناك من يتحكم في الجان بالطريقة الشيطانية، ونسبة بسيطة لا تزيد عن 6% لا تعتقد في أن هناك طرق شيطانية يمكن أن يتم التحكم عن طريقها في الجان، ويوضح الجدول الآتي: أحد هذه الأعمال الشيطانية.

الجدول رقم (18) يبين أثر السحر في الكراهية والطلاق بين الزوجين

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	78	%87
إلى حد ما	9	%10
لا	3	%3
الإجمالي	90	%100

يتفق هذا الجدول مع الجدول الذي قبله إذ نجد ما نسبته 87% يرون أن السحر يستعمل في الكراهية والطلاق بين الزوجين وهذا ما يقر به القرآن الكريم، وفي المقابل نسبة بسيطة جدا تقدر بـ 3% لا ترى في أن السحر مضر بالإنسان ويمكن أن يسبب الكراهية والطلاق.

الجدول رقم (19) يبين إمكانية استخدام السحر في إيذاء الأشخاص

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	80	%89
إلى حد ما	3	%3
لا	7	%8
الإجمالي	90	%100

ربما هذه نتيجة التعلم وهي أن هناك وعي يصل إلى 89% من أفراد العينة بأن السحر يمكن أن يضر الأشخاص، ولهذا ربما نجد نسبة من أفراد العينة تخاف السحرة لأنهم لا يتوانون في تسخير شياطينهم للبشر، ونسبة بسيطة جدا تقدر بـ 8% فقط هم من لا يعتقدون أن الساحر يمكن أن يؤذي البشر.

الجدول رقم (20) يبين قدرة بعض الأشخاص على تحضير الأرواح

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	69	%77
إلى حد ما	10	%11
لا	11	%12
الإجمالي	90	%100

أغلب أفراد العينة وبنسبة 77% ترى قدرة المشعوذين على تحضير الأرواح الشريرة، بينما نسبة 12% لا ترى ذلك، وهنا يمكن لنا أن نتساءل إذا كان لهم هذه القدرات الخارقة فهم حتما سيسيطرون على عقول البشر.

الجدول رقم (21) يبين مدى قدرة المرأة على سحر زوجها

البيان	الإجمالي	النسبة
نعم	76	%84
إلى حد ما	11	%13
لا	3	%3
الإجمالي	90	%100

يبين الجدول السابق إمكانية سحر المرأة لزوجها، إذ نرى ما نسبتهم 84% من أفراد العينة ترى أن ذلك يمكن أن يحدث, بينما نسبة بسيطة جدا تقدر بـ 3% لا ترى إمكانية أن تستطيع أن تسحر المرأة زوجها، وهذا كما يقال "شهد شاهد من أهلها" ذلك أن أغلب أفراد العينة من النساء وهن يقرْن ذلك، مما يدلل أن السحر مستشري في بيوتنا، ربما غذت ذلك عقلية الرجل الشرقي الريفي، الذي يفكر دائما في التعدد, ولكي تحافظ المرأة على زوجها بحيث يكون لها وحدها؛ تذهب إلى الساحر، الذي يبتزها ويطلب منها أشياء لا تستطيع بالمقابل أن ترفض طلبه خوفا من الفضيحة.

– النتائج:

- رغم أن جميع أفراد العينة من الطبقة المتعلمة إلا أن ذلك لم يخرجهم من دائرة الخرافات والاعتقادات السحرية، وهذا يتنافى مع نظرية "فريزر" التي ترى أن التعليم عامل مهم يحول دون الاعتقاد في السحر.
- اعتقاد أغلب المبحوثين بالسحر مرده إلى أن السحر معترف به في شريعتنا الإسلامية، وأن النظريات الغربية الحديثة أصبحت تصلح من خطئها وتعتقد في السحر والدين؛ لأن الإنسان ليس مادي فقط كما نظر له "اوجست كونت" بل مكون من روح وجسد.
- يتضح من الدراسة أن أغلب أفراد الدراسة يعتقد في أن السحر حقيقة واقعية تؤثر في سلوك المجتمع.
- أغلب المبحوثين إما زار ساحرا أو اعتقد فيه أو يخاف من شروره أو تعالج هو أو أحد أفراد أسرته عنده.
- هناك نسبة لا يستهان بها من العينة لا تعتقد في الساحر وتعتبر عمله من أعمال الشيطان.
- أكثر من نصف العينة تلتجئ إلى الساحر عندما تحدث لهم أمور غريبة وغير طبيعية.
- أصبح هناك بوادر وعي لدى عدد لا بأس به من العينة بأن الطبيب النفسي هو الشخص الذي يجب أن نذهب إليه عندما يتلبس شخص بجان.
- ما زال الاعتقاد في الذهاب إلى الساحر قويا حتى عند الطبقة المثقفة في فك السحر عن الشخص الذي يفشل في إتيان أهله يوم زفافه.
- نسبة كبيرة تفوق 87% ترى أن السحر يمكن أن يوظف لحدوث الكراهية والطلاق بين الزوجين.
- كما أنه هناك نسبة 84% ترى أن المرأة يمكن أن تسحر زوجها لكي لا يفكر في الزواج عليها.

– خلاصة القول أن أغلب الطبقة المثقفة في المجتمع الليبي في القبة يعتقدون في السحر وفي أضراره بالمجتمع، وبأنه يمكن أن يستغل في أشياء كثيرة كإلحاق الإيذاء بالآخرين، وبالتفريق بين الزوجين، كذلك "ربط" الرجل حتى لا يستطيع أن يأتي زوجه.

– كذلك في نفس الوقت أصبحت هناك صحوة ووعي لدى عدد غير قليل من أفراد العينة، بأن هناك استهجانا ورفضا للتعامل مع السحرة، وفي حالة الضرورة عند وجود مريض يمكنهم الذهاب للطبيب النفس أو المعالج بالقرآن الكريم.

– التوصيات:

1- التركيز على زيادة الوعي بخطورة القنوات الإعلامية التي انتشرت في الآونة الأخيرة التي تستقبل العرافين والدجالين وقنوات الأبراج.
2- نشر الوعي الديني بخطورة ظاهرة الدجالين والسحرة بواسطة مادة تسمى الوعي الديني تدمج مع مادة التربية الإسلامية في جميع المراحل الدراسية.

3- توضيح الخلط الذي يحدث بين الفقيه الذي يعالج بالقرآن الكريم ومن يعالج بالسحر والشعوذة.
4- نشر برامج عبر الإعلام بجميع أنواعه على خطورة هذه الظاهرة.
5- ملء الفراغ لدى المواطن بإيجاد بديل متمثل في أطباء نفسيين مهرة ومعالجين بالقرآن الكريم.
6- تشديد الرقابة من قبل الأجهزة الأمنية على السحرة والدجالين وفرض عقوبات صارمة.

– المراجع:

1- ابوبكر الرازي، رسائل فلسفية، ص50: الموقع: http://www.fm-lb.org/sites/default/files/gap.pdf
2- أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زايد وآخرون، الموقع: www.kotobarabia.com
3- بوتومور، الطبقات في المجتمع الحديث، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط2، 1979.
4- خالد محمد مصطفى، "الاعتقاد في السيطرة الخرافية على المصير: دراسة اجتماعية على عينة من ذوي التعليم العالي"، ليبيا، البيضاء، سنة 2003.
5- صالح أبوالطويلة، السحر والدين، الموقع: 2012، http://m.ahewar.org/s.asp?aid=316153&r
6- صالح بن فوزان الضوران، التوحيد، مؤسسة الحرمين الخيرية، الموقع: www.al-islam.com
7- سامية حسن الساعاتي، السحر والمجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.
8- سامية حسن الساعاتي، الناس والسحر: "بحث في علم الاجتماع الغيبي"، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2006.
9- سحر خارق للطبيعة "الموسوعة الحرة": الموقع ar.wikipedia-org/wiki/
10- سيد حسين العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري، 2004.
11- السيد عبدالعاطي السيد، المجتمع والثقافة الشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.
12- عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.
13- عمر موسى عمر، دراسة حالة بالمشاركة على أحد العرافين، مدينة البيضاء، 2004.
14- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الجزء الأول، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2004.
15- محمد أحمد البيومي، علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010.
16- وحيد عبدالسلام بالي، الصارم البتار في التصدي للسحر والأشرار، مكتبة التابعين، 1992.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

ظهور الدعوة الموحدية على مسرح الأحداث الدينية والسياسية في بلاد المغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي

د. محمد سعيد بوحليقة

(محاضر بجامعة بنغازي قسم التاريخ / كلية الآداب والعلوم – اجدابيا)

ظهور الدعوة الموحدية على مسرح الأحداث الدينية و السياسية في بلاد المغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي

ملخص

يحفل تاريخ بلاد المغرب الإسلامي بالعديد من الحوادث الهامة الدينية والسياسية كان لها دور حاسم في تغيير تاريخ هذه البلاد ومن بين الدول التي كان لها التأثير على التاريخ في هذه البلاد الدولة الموحدية التي ظهرت كدعوة دينية إصلاحية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعصمة الإمام فلما كثر أتباعها وأنصارها أخذ إلى التطلع إلى السيطرة السياسية وتكوين دولة على المبادي التي وضعها صاحب هذه الدعوة.

وقد كان لمؤسسها دور كبير في جذب الأنصار والمؤيدين فكون جيشا للقضاء على دولة المرابطين جعل على مقدمته تلميذه عبد المؤمن الذي تمكن بعد جهود مضنية من إقامة الدولة وتوسيع رقعتها لتشمل المغرب بأجزائه الثلاث.

كلمات مفتاحية: الموحدين، المهدي محمد بن تومرت، المغرب الاسلامي، المرابطين.

المقدمـــــة

يحفل تاريخ بلاد المغرب الإسلامي بالعديد من الحوادث الهامة الدينية والسياسية كان لها دور حاسم في تغيير تاريخ هذه البلاد،وقد كان الدين في كثير من الأحيان المطية السياسية لمن يتطلعون إلى الحكم فيبدأ بالإصلاح الديني ثم ما يلبث أن ينتهي به هذا الإصلاح إلى تقلد الأمور السياسية في نهاية المطاف.

لذا نري أن الدولة الموحدية بدأت كدعوة دينية إصلاحية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعصمة الإمام فلما كثر أتباعها وأنصارها أخذ إلى التطلع إلى السيطرة السياسية وتكوين دولة على المبادي التي وضعها صاحب هذه الدعوة.

ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع ظهور الدعوة الموحدية على مسرح الأحداث الدينية والسياسية في بلاد المغرب الإسلامي لدراسة بداية ظهور هذه الدعوة في بلاد المغرب الإسلامي وكيف انتشرت ومدت نفوذها.

وهنا يجب التنويه على أن هذه الدولة بدأت في بدايتها كحركة دينية هدفها الإصلاح الديني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن الحقيقة هي أن الهدف من هذا الإصلاح تكوين دولة على هذه المبادي فالغرض من الإصلاح كسب الأنصار والمؤيدين في المدن المغربية المختلفة، ومما يدل هذا التستر بالدين ما حدث بين ابن تومرت والغزالي عندما طلب أن يدعوا الله أن تكون نهاية المرابطين على يديه.لذا فقد حاولنا أن نظهر كيف بدأت هذه الحركة كحركة دينية للإصلاح ،ثم تحولت إلى القتال وتكوين هيئة سياسية تكون نواة دولة قوية في المغرب الإسلامي.

أما منهجنا في هذه الدراسة فقد استخدمنا منهج سرد الإحداث التاريخية مع التحليل الإحداث ومقارنتها. وقد قسمنا البحث إلى عنصرين تحدثنا في الأول عن الدعوة في عهد مؤسسها محمد بن تومرت. وفي الثاني تكلمنا عن جهود الأمير عبد المؤمن في إقامتها بالمغرب الأقصى.

- ظهور محمد بن تومرت (المهدي) ونشر دعوته في بلاد المغرب

تنسب الدولة الموحدية إلى محمد بن تومرت يكنى بأبي عبد الله ويلقب بالمهدي عرف عند البعض باسم الفقيه السوسى ولد في (سنة 473هـ/1081م) بقرية إيجلى[1] من بلاد السوس وينتمي إلى قبيلة مصمودة[2] اختلف المؤرخون في نسبه فمنهم من جعله عربيا ومنهم من جعله بربريا ومنهم من مزج بين النسبين.[3]

1- يري بعض المؤرخين أن هذه المدينة هي جيليز الحالية: راجع: صالح صادق السباني، ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2006 ، ص82 ؛ الفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1990 ، ط3 ، ص251.

2- محمد كمال شبانه ، الدويلات الإسلامية في المغرب دراسة تاريخية حضارية ، القاهرة ، دار العالم العربي ، ب.ت ، ص57-58.

3- أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، بنغازي ، جامعة قاريونس ، 1988 ، ص160-163 ؛ أمراجع عقيلة الغنى ، سقوط دولة الموحدين ، بنغازي ، جامعة قاريونس ، 1988 ، ص35-36.

عاش في أسرة غير بارزة من أواسط القوم تميزت بمكانة وبيئة علمية حيث تلقى ابن تومرت تعليمه في الكتاتيب بقريته حيث حفظ القرآن وتعلم شيئا من العلوم الشرعية وأظهر خلال هذه المرحلة اهتماما وشغفا بطلب العلم.[4]

ويرى البعض أن تاريخ الدعوة الموحدية يبدأ بالرحلة التي قام بها ابن تومرت إلى المشرق الإسلامي طلبا للعلم والتي دامت خمسة عشر عاماً كان لها الأثر في تشكيل شخصيته والتأثير في آرائه وأفكاره. فقد تتلمذ ابن تومرت على يد علماء كثر في المهدية ومصر والحجاز والعراق ومنهم المازري والطرطوسي والغزالي والشاشي وغيرهم.[5] وقد ذكر ابن خلدون أن ابن تومرت لما دخل العراق وجد بها الكثير من العلماء "وفحول النظار وأفاد علماً واسعاً وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده لما كان الكهان والحزاء يتحينون ظهور دولة يومئذ بالمغرب".[6]

أخذت هذه الرحلة طابعها الثوري بعد ذلك عندما كان في طريق عودته إلى بلاده.[7] فعاد وهو يظن نفسه مبعوثاً لإصلاح أحوال الأمة فكان خلال رحلته إلى وطنه يجلس لوعظ الناس وإرشادهم إلى الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكانت مدينة الإسكندرية أول مدينة يحط الرحال بها عند عودته من الحجاز لكنه طرد منها بسبب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.[8]

اتخذ ابن تومرت مما اعتبره مفاسد الطبقة العليا مادة لوعظه وهدفا لدعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما أدى إلى كثرة أتباعه.[9] والحقيقة هي أن هذه الرحلة في الذهاب والإياب قد فتحت عينيه على أحوال المسلمين السياسية ومدى انقسامهم وضعف الخلافة العباسية مما جعله عازما على إنشاء دولة إسلامية تحقق الوحدة الإسلامية تحت خلافة موحدة فبدأ لتحقيق هذا الغرض دوره كمصلح ديني في طريق عودته إلى المغرب من رحلته من أجل تغيير المفاسد

4- عبد المجيد النجار ، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري ، فرجينيا ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995، ط2، ص57-58. للمزيد عن مؤسس هذه الدولة راجع البيذق: أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط ، دار المنصور ، 1971 ، ص11وما بعدها ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فأس ، الرباط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، 1972 ، ص172-173 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف أندلسي من القرن الثامن الهجري ، تحقيق د. سهيل زكار وعبد القادر زمامه، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، 2001 ، ص103؛ الزركشي:أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور، تونس ، المكتبة العتيقة ، 1966 ، ط2 ، ص3 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص45-55 ؛ المراكشي: محيى الدين عبد الواحد بن علي التميمي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزت ، طرابلس ، دار الفرجاني ، 1994 ، ص178-179 ؛ عبد المجيد النجار ، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 524هـ 1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب،بيروت،دار الغرب الإسلامي، 1983،ص23-61؛ليفي بروفنسال،الإسلام في المغرب والأندلس،ترجمة د. السيد محمود عبد العزيز السالم ود.محمد صلاح حلمي،الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة،1990، ص265.

5- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي دولة الموحدين ، القاهرة ، دار ابن الجوزي ، 2007 ، ص11 .

6- ابن خلدون:عبد الرحمن محمد ، تاريخ ابن خلدون المسمي بكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق د.خليل شحادة مراجعة د. سهيل زكار ، ج6 ، بيروت، دار الفكر ، 2000 ، ص301-302 .

7- ابتسام مرعي خلف الله ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي (524-936هـ/1130-1529م) ، القاهرة ، دار المعارف ، 1985 ، ص47-48 .

8- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص20.

9- عز الدين عمر موسي ، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم ، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، 1991 ، ص36-38 .

التي رآها بنفسه مما عرضه لسخط الحكام الذين رأوا في حركته خطراً يهدد مصالحهم ومناصبهم.[10]

كانت مدينة طرابلس أول المدن التي استقر بها في بلاد المغرب بعد عودته من المشرق حيث ركب البحر من الإسكندرية وحطت به الرحلة في طرابلس حيث بدأ في إلقاء دروسه بها وبدأ في تطبيق المبدأ الذي جعله شعاراً دينياً لحركته الإصلاحية.[11] ويذكر ابن خلدون أن ابن تومرت قد درس في طرابلس محاولاً نشر مبادي دعوته "حتى لقي بسبب ذلك أذيات في نفسه، احتسبها من صالح عمله".[12] ويذكر التليسي أن ابن تومرت عند مروره بالمدينة نزل بأحد مساجدها ويسمي مسجد العشرة يقع بين الباب الأخضر وباب البحر" وقد اشتهر بنزول أبن تومرت به عند مروره باطرابلس".[13] ولا ندري على أي المصادر اعتمد المؤلف في كلامه هذا.

ومن هذا المدينة انطلق ابن تومرت إلى المهدية ثم تونس والمنستير حيث أخذ ينشر دعوته الدينية في هذه المناطق وكان دائما يقع في خلافات مع علماء هذه المدن مما ينتهي به المطاف إلى الطرد.[14]

ومن أهم المبادى الإصلاحية التي كان ابن تومرت ينادي بها في دعوته ما يلي:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عمل ابن تومرت في كل مكان حل به بهذه الدعوة مما أكسبه حب العامة وقد حقق من خلالها لفت أنظار الناس إليه في المدن التي ينزل بها مما جعل الكثير يعده من المصلحين. وتمكن من خلالها من تكوين قاعدة كبيرة من الأتباع والمعجبين بشخصه فقد ذكر أن أتباع ابن تومرت في مصر أكثر من خمسين رجلاً كلهم سامعاً مطيعاً "كانا له مثل أعضائه وجسده سامعين لقوله مجيبين لأمره مؤمنين به".[15]

ويبدو أن جرأة ابن تومرت في الكلام وتظاهره بهذا المبدأ ومخاطبته لعامة الناس كانت من العوامل المهمة في نجاح دعوته وتجمع الناس من حوله نظراً لتوجهه الإصلاحي ومخاطبته للعامة وإنكاره على الحكام الذين يمر بهم مما أكسبه الجرأة والمكانة عند الناس.[16]

10- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1980 ، ص35 .

11- سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي الموحدون مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500-558هـ/1100-1163م) ،ج5 ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2000 ، ص 136 .

12- ابن خلدون ، ج6 ، ص 302 .

13- خليفة محمد التليسي ، حكاية مدينة طرابلس لدي الرحالة العرب والأجانب ، ليبيا- تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1997 ، ط3 ، ص35- 36 .

14- ابن الأثير : عز الدين على بن أبى الكرم ، الكامل في التاريخ ، تحقيق خيري سعيد، ج9 ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، ب.ت ، ص 202-203 ؛ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق حسين نصار مراجعة عبد العزيز الأهوانى ، ج24 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1983 ، ص277-279 ؛ البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص40 ؛ ابن خلدون ، ج6 ، ص 302 ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس(عصر المرابطين وبداية الموحدين)، ج4 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2001 ، ص 164-165.

15- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص24 .

16- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص24-25 .

ولعل ابن تومرت قد لجأ الى هذا المبدأ راجياً أن تتحقق دعوة الإمام الغزالي على المرابطين بعد أن احرقوا كتابه بزوال دولتهم وأن يكون الزوال على يدية.[17] مما جعل رحلته عند عودته تتسم بطابع المصلح الذي يغير ما أمكنه تغييره بالقول والفعل.

عصمة الإمام: حيث ادعى ابن تومرت أنه المهدي الذي بشر به الرسول (ﷺ) وهو من سيظهر العدل في الأرض بعد أن يعمها الجور وقد حاول التدرج في بداية الأمر ليظهر لأصحابه أنه المعصوم، حيث بدأ بالتلميح ثم صرح لهم أنه المهدي المعصوم وروي لهم أحاديث كثيرة كذب فيها ليثبت أنها تتمثل فيه.[18] وقد ذكر هو في كتابه أن الإمام لابد أن يكون معصوماً حتى يتمكن من إصلاح المفاسد وينشر العدل.[19]

فقد أورد ابن القطان خطبته التي أعلن فيها لأصحابه عصمته فيقول: "الحمد لله الفعل لما يريد، القاضي بما يشاء لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور مكانه بالمغرب الأقصى، وزمنه آخر الزمان، واسمه اسم للنبي عليه الصلاة والسلام، ونسبه نسب النبي صلي الله تعالي وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم. وقد ظهر جور الأمراء، وامتلأت الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمان، والاسم الاسم، والنسب النسب، والفعل الفعل".[20] فلما انتهي من خطبته قام إلية العشرة المقربون منه وقالوا له أن الصفة لا توجد إلا عنده وبايعوه على هذا الأمر.[21] لذلك نري انه ادعي عروبة النسب حتى يتمكن من إقناع الناس بأنه المعصوم وفي هذا يذكر ابن العماد: " ... جرّه إقدامه وجرأته على حب الرياسة والظهور وارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور من أنه حسني وهو هرغي بربري وانه معصوم وهو بالإجماع مخضوم".[22]

بدأ ابن تومرت في التخطيط السياسي لإنجاح عمله في المرحلة الأولى حيث بدأ في تكوين الخلية الأولى لهذه الحركة وكان عبد المؤمن بن على أساسها وكان قد التقى به بالقرب من مدينة ملالة[23] عند بجاية حيث رافقه إلى المغرب الأقصى مع بعض الأشخاص وذلك لما أقنعه بالتوجه معه بدلا من الذهاب إلى المشرق لطلب العلم بعد أن وجد فيه علامات الذكاء وصفات النبوغ وملامح الفطنة.[24]

كان ابن تومرت كلما مر على قرية أو مدينة يدعو أهلها إلى الابتعاد عن المنكر وإلى إقامة الصلاة ويزور المساجد حيث يلقى بها الدروس للطلاب ويطلب منهم الأمر بالمعروف والنهي عن

17- ابن القطان: أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود مكي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990 ، ص72-73 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ،ص 104-105.
18- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص 29.
19- المهدي: محمد بن تومرت ، أعز ما يطلب ، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، الرباط ، مؤسسة الغني، 1997 ، ص 297- 298.
20- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص124-125.
21- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 125.
22- ابن العماد الحنبلي : الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بم محمد العكري الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط ، ج6 ، بيروت ، دار ابن كثير ، 1990 ، ص117.
23- **ملالة**: قرية قرب بجاية على ساحل بحر المغرب: ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ، معجم البلدان، ج5 ، بيروت، دار صادر ، د.ت ، ص 189.
24- أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص177 ؛ علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص20 .

المنكر فتمكن بهذه الدروس من أن يجمع حوله طلاب كثيرون وشاع خبره فذاع صيته بين العامة.[25] خاصة عندما نزل في مدينة مراكش فقد كان في هذه المدينة أكثر عنفا حيث أخذ يعمل بمبادئ حركته بين الناس وفى الأسواق فكان يريق الخمر ويكسر آلات الطرب من غير إذن أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين (سنة 500-537هـ/1107-1143).[26]

زاد الأمر على حده عندما قام ابن تومرت بتوبيخ أخت الأمير التي رآها في موكبها مع بعض جواريها سافرات فعاب على المرابطين سفور نساءهم ولبس رجالهم اللثام وأمرهن بستر وجوهن مما أدى إلى وقوع الهرج والاضطراب بين الناس فلما علم الأمير بهذه الحادثة.[27] طلب من فقهاء المرابطين القيام بمناظرته في مدينة مراكش فتمكن من التغلب عليهم جميعا فلما لم يتمكنوا من مجاراته أخذوا يكيدون له عند الأمير فطلب منه الخروج من المدينة.[28]

وفى (سنة 514هـ/1120م) وصل ابن تومرت وأتباعه إلى مدينة تنملل بإشارة من الشيخ عبد الحق بن إبراهيم الذي التقاه في مدينة اغمات[29] واقترح عليه الذهاب إلى هذه المدينة لحصانتها وفيها يجد من يسانده ضد المرابطين. ومن أجل القيام بحركته قام هو وأصحابه بخلع بيعة أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين وأخذ في نشر دعوته في هذه المنطقة حيث كسب الكثير من الأنصار وانضمت إليه قبيلته هرغة وبذلك أصبحت "قبائل مصامدة الجبل بدون استثناء العمود الفقري لدعوة ابن تومرت الدينية والسياسية بصفة خاصة وللدولة الموحدية بصفة عامة".[30]

بدأ ابن تومرت في تنظيم حركته حتى يتمكن بها من القيام على الدولة المرابطية فقسم إتباعه إلى عدة طبقات وجعل لكل طبقة وظيفة خاصة بها أهمها طبقة العشرة وهم أول من بايعه وآمن بآرائه واتخذ منهم وزراء لاستشارتهم في مهام الأمور وتنفيذ أوامره ويسمون أهل الجماعة. ثم تأتى بعد هذه الطبقة طبقة الخمسين وهم الذين اعتنقوا مبادئ ابن تومرت بعد العشرة ومكونة من خمسين رجلا تأتى أهميتها بعد طبقة العشرة. ثم طبقة السبعين وتجمع أبرز رجال القبائل وهذه الطبقات الثلاث موكل إليها أمر الدعوة والقيادة وتنفيذ الأحكام وغيرها من أمور الحكم.[31]

وقد شبه أحد المؤرخين المحدثين هذه الطبقات الثلاث بقوله: "فجماعة العشرة تشبه في عصرنا الحاضر هيئة مجلس الوزراء، وجماعة الخمسين تشبه أعضاء مجلس الشيوخ وجماعة السبعين تشبه مجلس النواب في الحكومات البرلمانية، وكان هذا النظام هو الأساس الذي قامت عليه

25- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 86 .

26- محمد الأمين محمد و محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب،الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ب.ت ، ص134.

27- محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص 169 .

28- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص174-175 .

29- **أغمات**: مدينة تقع بالمغرب الأقصى وهي مدينتان تسمي احدها أغمات إيلان والأخرى أغمات وريكة وبينهما ثمانية أميال. البكري:أبي عبد الله عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، ب.ت ، ص152-153 .

30- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 87 .

31- عبد الله علي عيلام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، الجزائر ، وزارة الثقافة ،2007، ص67-68 ؛ أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص 228-233 .

الدولة الموحدية".[32] ثم تأتى بعد هذه الطبقات الثلاث طبقة الطلبة والحفاظ وغيرها من الطبقات الأخرى.[33]

وفى (سنة 515هـ/1121م) تمت بيعه ابن تومرت من قبل أتباعه وأول المبايعين له كان عبد المؤمن بن على وتلقب بلقب المهدي وجعل أساس حركته التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفى (سنة 517هـ/ 1123م) بويع المهدي مرة أخرى وقد أطاعه أتباعه إلى درجة كبيرة[34] قال عنها المراكشي أنه: "لو أمر أحدهم بقتل أبيه وأخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء".[35] أطلق المهدي على أتباعه الذين بايعوه اسم الموحدين لأنهم أول من تحدث في التوحيد وعلم الكلام بالمغرب كما سماهم المؤمنين لأنه يرى أنه ليس على وجه الأرض من يؤمن مثل إيمانهم كما أنه أطلق على المرابطين اسم المارقين المبذلين[36] وذلك لما قال لأصحابه:"اقصدوا هؤلاء المارقين المبذلين الذين يسمو بالمرابطين".[37]

وفى (سنة 516هـ/1122م) بدأت المواجهات العسكرية مع المرابطين وكان أغلب جيش المهدي مكون من المصامدة وسكان تينملل[38] حيث بدأت المرحلة الأولى من القتال بين الطرفين بقيام المرابطين بإرسال الحملات الواحدة تلو الأخرى إلى الموحدين في جبالهم تمكن الموحدون من تحقيق انتصارات حاسمة في أغلب الأحيان لتوفر الحماس عندهم وكثرة الأنصار إضافة إلى قصر خطوط الإمدادات والتموين "وذلك على عكس الحال عند المرابطين الذين كانوا يحاربون في ظروف صعبة للغاية".[39]

تمكن الموحدون من هزيمة المرابطين بقيادة والي السوس أبى بكر محمد اللمتونى فبعد أن لجأ إلى جبل إيجليز تبعه المرابطون إليه ودارت فيه معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة الجيش المرابطى الذي هرب أغلب أفراده إلى مراكش فكان لهذا النصر أثر بالغ في ذيوع صيته وازدياد شعبيته وتقوية الروح المعنوية لجنده .كما أنها أدت إلى تحرك المرابطين ضد الموحدين للقضاء عليهم ولاستعادة هيبة جيشهم المهزوم.[40] فجهز الأمير علي بن يوسف جيشاً كبيراً جعل على قيادته أخيه إبراهيم فتمكن الموحدون من هزيمته ، ثم تمكنوا من هزيمة جيشا آخر للمرابطين وقتلوا الكثير من أفراده.[41]

نتيجة لكثرة الجيوش التي كان المرابطون يرسلونها إلى الموحدين والتي دائما ما تمني بالفشل مل جند الدولة المرابطية من هذه الحروب ودخلهم الذعر والرعب من الموحدين وصمودهم

32- عبد الله علي عيلام ، الدولة الموحدية بالمغرب ، ص 68 .
33- للمزيد عن الطبقات راجع: ابن القطان ، نظم الجمان ، ص82-87 ؛ أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص 233-236 .
34- أحمد عودات وآخرون ، تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري ، اربد ، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1989 ، ص 104-105.
35- المراكشي ، المعجب ، ص 164 .
36- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ب.ت ، ص692-693 .
37- المراكشي ، المعجب ، ص 165 .
38- **تينملل**: مدينة تقع بالمغرب الأقصى على بعد كيلو من مدينة مراكش وبها يوجد قبر المهدي وخليفته عبد المؤمن. مجهول ، الحلل الموشية ، ص112 .
39- أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص 246 .
40- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 88-89 .
41- مجهول ، الحلل الموشية ، ص110-111 .

في وقت شعر فيه جند الموحدين بارتفاع الروح المعنوية لهذه الانتصارات.[42] ويقول أحد المؤرخين أن هذه المعارك الدامية كانت مقدمة للمعركة الفاصلة بين الطرفين "فالوصول إلى أسوار مراكش لم يتم بسهولة بل كلف الموحدين اختراق كل الخطوط الدفاعية التي أقامها المرابطون وحصنوها بالقلاع .. صمم ابن تومرت على القضاء على المرابطين بإسقاط عاصمتهم مراكش فأخذ يستدعى القبائل إلى تينملل ليحشدهم ويوجههم إلى ذلك الهدف المنشود".[43]

وفى (سنة 518هـ/1124م) قام المهدي بنقل مقر حركته من إيجليز إلى تنملل والسبب في نقله لمقر حركته هو حصانة مدينة تنملل وحسن موضعها فقد عمل على تقسيم أرضها بين أصحابه ليبنوا فيها دورهم وبني حول المدينة سورا كبيرا لحمايتها وشيد على رأس الجبل حصنا حتى يتمكن من خلاله اكتشاف ما وراء الجبل فقد كان الدخول إلى هذه المدينة الحصينة صعبا وعسيرا.[44] وفى (سنة 519هـ/1125م) قام المهدي في هذه المدينة بحركة التمييز وهي الحركة التي أدت إلى استئصال العناصر المشاغبة من قبائل المصامدة من جيشه.[45]

وفى (سنة 524هـ/1129م) جهز المهدي جيشا بلغ تعداده أربعين ألفا تقريبا من أتباعه بقصد الهجوم على عاصمة المرابطين مراكش وطلب من أنصاره أن يذهبوا إلى محاربة المرابطين إن لم يعترفوا بأنه الإمام المعصوم وجعل على رأس هذا الجيش عبد المؤمن بن على وقال لهم: أنتم المؤمنون وهذا أميركم ومنذ ذلك اليوم استحق عبد المؤمن لقب أمير المؤمنين.[46]

خرج جيش الموحدين إلى مراكش وعسكر في مكان يعرف باسم البحيرة خارج مراكش وهناك خرجت جيوش المرابطين بقيادة الزبير بن على بن يوسف فدعاهم عبد المؤمن إلى ما يدعو إليه المهدي بن تومرت[47] عندما قال للجيش المتوجه إلى هذه المعركة: "فادعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف وإزالة البدع والإقرار بالإمام المهدي المعصوم فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم".[48]

يبدو أن المرابطين كانوا مستعدين لهذه المعركة جيدا حيث تمكنت قواتهم من هزيمة الموحدين هزيمة نكراء فقد قتل فيها الكثير من أتباع المهدي خاصة من أهل العشرة ومنهم القائد البشير الونيشريشى.[49] في الوقت الذي كان فيه المهدي يعانى من المرض فلما علم بهذه الهزيمة

42- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، 1990 ، ، ص265.

43- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص 60.

44- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب ، ص265-266.

45- للمزيد عن حركة التمييز راجع : سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ج5 ، ص 241-242.

46- المراكشي ، المعجب ، ص 165.

47- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص693-694.

48- المراكشي ، المعجب ، ص 165.

49- ابن عذارى: محمد بن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين ، تحقيق د.محمد إبراهيم الكتامي ومحمد بن تاويت ومحمد زبير عبد القادر زمامه ، بيروت والدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1985 ، ص76 ؛ البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص39-40 ؛ المراكشي ، المعجب،ص165 للمزيد عن معركة البحيرة راجع:ابن القطان،نظم الجمان، ص160-162 ؛ المراكشي،المعجب،ص165-166 ؛ مجهول،الحلل الموشية، ص81.

سأل عن عبد المؤمن فلما علم أنه حي أكد لأصحابه أن الأمر باق طالما بقى عبد المؤمن وقال لهم: "منذ عاش عبد المؤمن بقى الأمر".[50]

وقد وصف المراكشي هذه الهزيمة بقوله: "فانهزم المصامدة وقتل منهم خلق كثير ونجا عبد المؤمن في نفر من أصحابه فلما جاء الخبر لابن تومرت قال: اليس قد نجا عبد المؤمن، قالوا: نعم، قال: لم يفقد أحد".[51] ويقول البيذق عن نجاة عبد المؤمن: ".. فأسرعت حتى وصلت المعصوم فأعلمته فقال لي: عبد المؤمن في الحياة، قلت نعم! قال لي: الحمد لله رب العالمين، قد بقى أمركم هل جرح؟ قلت شج خده الأيمن فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الأمر باق، ثم قال لي: أرجع إليه وقل له: الأمر باق ولا تجزعوا فرجعت حتى لقيته فأعلمته ففرح وفرحنا".[52] كانت الصدمة قوية على المهدي فزاد عليه مرضه الذي كان يعانى منه فلم يستطيع تحمل هذا النبأ فمات في داره في نفس العام ودفن في داره بتنملل.[53] تاركا حربا مشتعلة بين أنصاره مع أعدائه المرابطين من أجل إظهار المبادئ التي يدعو إليها وآمن بها أصحابه.[54]

وخوفا على هذه الحركة من الفشل بعد وفاة صاحبها قام عبد المؤمن بن على وأبو جعفر عمر الهنتاتى بإخفاء خبر موت سيدهم لمدة ثلاث سنوات فلم يعلنوا هذا الخبر إلا (سنة 527هـ/1133م) بعد أن تمكن عبد المؤمن من أن يكسب ثقة قبيلة المصامدة وتأكد بأن السلطة كلها أصبحت في يده فأظهر نفسه على أنه منفذ لإرادة المهدي الذي أوصى بأن يخلفه عبد المؤمن الذي اتخذ لنفسه لقب خليفة.[55] ولتبدأ بعد ذلك المرحلة الثانية من قيام الدولة الموحدية.

- قيام الدولة الموحدية بقيادة عبد المؤمن بن علي:

ينسب عبد المؤمن بن على إلى أسرة بربرية ترجع إلى قبيلة كومية ولد في قرية تسمى تاجرا بالقرب من تلمسان اختلف المؤرخون في نسبه فمنهم من يرفعه إلى نسب النبي صلي الله عليه وسلم ومنهم من ينسبه إلى البربر ويرى أحد المؤرخين "إن عبد المؤمن بربري الأصل وقد حمله على تمسكه بالمضرية مقتضيات الخلافة الموحدية المهدوية وربما دفعه إلى هذا التمسك ما قال الكثير من مؤرخي البربر من أن البتر جميعا ينتمون إلى قيس عيلان بن مضر".[56]

50- ابن صاحب الصلاة:عبد الملك بن محمد ، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1987 ، ط3 ، ص454 .

51- المراكشي ، المعجب ، ص 165 .

52- البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص40 .

53- البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص43 ؛ ابن القطان ، نظم الجمان ، ص167 ؛ ابن عذارى،البيان المغرب، ص84 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص180.

54- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية ، ص40-41 .

55- عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ ، مج2 ، ج3 ، ص200-201 .

56- عبد الله علي عيلام ، الدولة الموحدية ، ص 82-85 .

بعد وفاة المهدي وإخفاء أمر موته كان لابد من رجل يقوم مقامه خاصة وأن هزيمة البحيرة قد أثرت في أنصاره وكان اختيار المهدي لعبد المؤمن أميرا لقيادة الجيش دوراً كبيراً في تسهيل مبايعه الموحدين له بالخلافة.[57] على حسب قول المراكشي: أن عبد المؤمن قام بالأمر وبايعه المصامدة واتفق على تقديمه من الجماعة ثلاثة أشخاص هم عمر بن عبد الله الصنهاجى وأبى حفص عمر بن ومزال الهنتاتى، وعبد الله بن سليمان فوافقهم على هذه المبايعة سائر أهل الجماعة وأهل الخمسين وباقي الموحدين.[58]

قام الأمير الجديد بعد أن تولى أمر أصحاب أستاذه المهدي بتنظيم شئونهم وأخذ يؤلف قلوبهم ويحشد جموعهم ويستنفرهم للحرب من أجل إكمال الرسالة التي بدأت على يد سيده.[59] وعلى الرغم من ذلك فقد كانت مهمته صعبة جدا إذ كان يلزمه القضاء على دولة المرابطين ثم ضم المغربين الأوسط والأدنى إلى الغرب الأقصى حتى يتمكن من تحقيق وحدة المغرب تحت حكم دولة الموحدين ومما شجعه على المضي قدما في مشروع المهدي انضمام كل القبائل الجبلية إليه فزاد أتباعه وأخذت القبائل التابعة للمرابطين تنفض من حولهم وتجتمع على طاعة عبد المؤمن بن على.[60]

جهز عبد المؤمن جيشا قوامه ثلاثون ألفا (سنة 526هـ/1132م) توجه به إلى قلعة تازاجورات فتمكن من هزيمة الحامية المرابطية الموجودة فيها واستولى عليها وقتل من المرابطين ما يقرب من العشرين ألفا ثم سار إلى درعه وتمكن من الاستيلاء عليها وعلى غيرها من القرى في (سنة 527هـ/1133م) أعلنت البيعة العامة لعبد المؤمن ومنذ هذا العام وحتى (سنة 533هـ/ 1139م) تمكن الموحدون بقيادة عبد المؤمن من الاستيلاء على العديد من المواقع المرابطية وتمكنوا من استمالة الكثير من أنصارهم وهزموا العديد من جيوشهم.[61] لذلك لما تفاقمت هجمات الموحدين وكثرت هزائمهم المرابطين استوجب الأمر تصديهم لهذا الخطر الداهم فأرسل الأمير على بن يوسف ابنه تاشفين على رأس جيش لقتال الموحدين (سنة 533هـ/ 1139م)

اصطدم الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن على بجيش تاشفين في موضع يعرف باسم بلاد حامة تمكن فيها الموحدون من تحقيق النصر على المرابطين.[62] ثم تمكن الموحدون من تحقيق عدة انتصارات عليهم ما بين سنتي (533-535هـ/1139-1191م) وفى (سنة 535هـ/ 1141م) خرج عبد المؤمن على رأس جيش كبير لغزو المغرب الأوسط وفى أثناء هذه الغزوة توفى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (سنة 537هـ/1143م).[63]

57- يوسف اشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة وعلق عليه محمد عبد الله عنان ، ج1، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1996 ، ص204-205 .

58- المراكشي ، المعجب ، ص166-167 .

59- محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص225 .

60- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص 696 .

61- محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص225-230 .

62- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص263-265 ؛ ابن عذارى،البيان المغرب،ص15.

63- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ،ص696 ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ،ص230-241.

خلف تاشفين (سنة 537-539هـ/1143-1145م) والده في حكم دولة المرابطين وكان قبل ذلك متفرغا لقتال الموحدين فلما تولى أمور الدولة انشغل عنهم لبعض الوقت من أجل ترتيب شئون دولته الداخلية والمحافظة على هيبتها الخارجية خاصة وأن النورمان عرفوا ما تعانيه دولته من مشاكل فقاموا بالهجوم على مدينة سبته (سنة 538هـ/1144م) بأسطول مكون من خمسين سفينة حربية تقريبا وعلى الرغم من تمكن المرابطين من التصدي لهم وهزيمتهم إلا أن هذه الأمور قد أدت إلى تخفيف الضغط على الموحدين خاصة لما قامت في الدولة المرابطية خلافات بين قبيلتي لمتونه ومسوفه انتهت بانضمام مسوفه إلى الموحدين.[64]

وفى (سنة 539هـ/1145م) تمكن الموحدون من إخضاع العديد من حلفاء المرابطين ووصلوا إلى تلمسان حيث تمكنوا من هزيمة جيش المرابطين الذي يقوده الربرتير وتمكنوا من دخولها ثم قاموا بحصار مدينة وهران التي كان بها الأمير تاشفين بن على والذي فر منها فتمكن الموحدون من اقتحامها وفى أثناء هروبه وقع الأمير تاشفين عن فرسه فمات فلما وجده الموحدون أرسلوا برأسه إلى تنملل، وقام الموحدون بقتل من وجدوه من المرابطين في تلمسان.[65]

أدى موت الأمير تاشفين إلى انهيار دولة المرابطين المتداعية والتي أصبح الكثير من أراضيها في أيدي الموحدين وفى محاولة منهم للحفاظ على هذه الدولة قاموا بتعيين إبراهيم بن تاشفين مكان والده فنازعه عمه إسحاق بن علي على مكانه فتمكن من تولى أمر الدولة بدلا عنه.[66] "وهكذا عجلت الثورة حول العرش بسقوط دولة المرابطين التي بدأ انهيارها واضحا في الأفق".[67] سار الجيش الموحدى نحو مدينة فاس التي كانت تمثل مع مدينة تلمسان مواقع حصينة للمرابطين ومعقل معهم للانطلاق نحو الهجوم على القوات الموحدية لذلك بعد أن تمكن عبد المؤمن من السيطرة على تلمسان توجه نحو هذه المدينة حتى يتمكن من اتخاذها مع مدينة تلمسان قاعدتين تنطلق منهما الجيوش الموحدية للهجوم على المغرب الأقصى والأندلس.

بث الموحدون عيونهم في المنطقة ليتعرفوا على حجم القوات المرابطية ثم قاموا بحصارها وفى أثناء الحصار أرسل عبد المؤمن فرقة تمكنت من الاستيلاء على مكناسه وبعد حصار دام حوالي تسعة أشهر تمكن الموحدون بقيادة عبد المؤمن من الاستيلاء على المدينة (سنة 540هـ/ 1146م).[68] أدى سقوط مدينة فاس في أيدي الموحدين إلى دخول أغلب المدن الأخرى تحت لواء الموحدين الذين لم يتركوا المرابطين كي يستفيدوا من الوقت فأرسل الخليفة عبد المؤمن جيشا إلى الأندلس من أجل إخضاع المدن هناك لدولته وسار هو نحو العاصمة مراكش حتى ينهي آخر معاقل

64- علي محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي ، ص76-77 .

65- د.سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب ، ج5 ، ص314-319 .

66- حسن علي حسن،الحضارة الإسلامية،ص42.يرى سعد زغلول عبد الحميد أن آخر أمراء دولة المرابطين هو أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين وليس إسحاق بن على وذلك أن إبراهيم بن تاشفين يكنى بأبي إسحاق فأخطأ المؤرخون في الاسم كما يقول:"والخطأ بين الاسم والكنية يعتبر من الأخطاء الشائعة وهكذا يكون آخر أمراء المرابطين الذي قتله الموحدون هو أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين وليس إسحاق بن على كما يرى معظم المتأخرين من الكتاب".راجع:سعد زغلول عبد الحميد،تاريخ المغرب،ج5،ص334-335.

67- يوسف اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ص211 .

68- جمال أحمد طه ، مدينة فأس في عصري المرابطين والموحدين (448-668هـ /1056-1269م)،الإسكندرية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2001،ص97-102.

المرابطين في هذه البلاد وكانت مراكش مدينة حصينة تحميها سلسلة من الحصون القوية فقام الموحدون بضرب الحصار حولها.[69] استمر مدة تسعة أشهر زاد فيه حال المدينة سوءا حتى أن أهلها أكلوا الجيف وانعدم الطعام فأضطر أهلها إلى فتح أبواب المدينة واستسلم المرابطون الذين كانوا بداخلها بمن فيهم الأمير أبى إسحاق إبراهيم الذي أخذ إلى إيجليز حيث قتل فيها وبذلك سقطت مراكش عاصمة المرابطين في أيدي الموحدين (سنة 541هـ/ 1147م).[70] "واستولى عبد المؤمن على جميع المغرب وانقضت منها دولة لمتونه".[71]

بعد تمكن الموحدون من دخول مراكش والقضاء على دولة المرابطين أخذوا يتطلعون إلى المغربين الأوسط والأدنى من أجل تحقيق وحدة البلاد خاصة عندما عرفوا ما تعانيه هذه البلاد من تسلط العرب الهلالية والسليمية وتملك النورمان للمدن في سواحل هذه المنطقة لذلك خرج عبد المؤمن على رأس جيشه من مراكش يريد بجابة عاصمة الحماديين فلما وصل الجزائر خرج إليه الأمير الحسن بن على بن يحيى بن تميم الذي انتقل إليها بعد سقوط المهدية في أيدي النورمان فتلقاه بالترحاب وخرج معه في أجل غزو أفريقية.

ومن الجزائر خرج الخليفة إلى بجابة فتمكن الجيش الموحدى من الاستيلاء عليها وهرب أميرها يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس منها قاصدا صقلية لكي يخرج منها إلى بغداد بعد أن حمل معه ما تمكن من حمله من الأموال. ثم سار الخليفة عبد المؤمن إلى قلعة بني حماد فتمكن من الاستيلاء عليها لذلك قام يحيى بن العزيز الذي عدل عن الهروب إلى بغداد بالنزول في قسنطينة وطلب الأمان من الخليفة عبد المؤمن فأمنه واصطحبه معه إلى مراكش عندما عاد إليها بعد انتهائه من الاستيلاء على قلعة بني حماد (سنة 546هـ/ 1151م).[72]

قام بعض العرب الهلالية والسليمية بإعلان الحرب على الموحدين في هذه البلاد وأعلنوا نيتهم إعادة دولة بني حماد التي قام الموحدون بالقضاء عليها وكان هدفهم من إعلان الحرب خوفهم من الموحدين أن يسلبوا منهم سلطتهم في المشيخات التي تمكنوا من تكوينها في بلاد إفريقية. لذلك اجتمع عدد من شيوخ هذه القبائل مثل محرز بن زياد وجباره بن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسين واتفقوا على أن الموحدين هم عدوهم الذي لابد من مواجهته.[73]

ويقول النويرى: أن هؤلاء العرب لما اجتمعوا على معاداة الموحدين قالوا: "إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من بلاد المغرب وليس الرأي إلا اللقاء معه وأخذه بالجد وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن. وتحالفوا على التعاون والتعاضد وعزموا على لقاءه بالرجال والأهل والمال واتصل الخبر بصاحب صقلية الفرنجى فأرسل إلى أمراء العرب .. يحثهم على ذلك".[74] ومن الكلام السابق نرى

69- يوسف اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ص211-212 .

70- الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص8 ؛ سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب ، ج5 ، ص336-41 .

71- الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص8 .

72- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص706-707 ؛ عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ص 193-198 ؛ رشيد بوروبية ، الدولة الحمادية ، ص102-108 .

73- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 128 .

74- النويري ، نهاية الأرب ، ج24 ، ص 305-306 .

محاولة النورمان استغلال الموقف حتى أنهم عرضوا المساعدة بإرسال قوة مكونة من خمسة آلاف مقاتل لمساعدتهم حتى يشعلوا نار الفتنة لاستغلالها لصالحهم واشترطوا على العرب أن يرسلوا لهم رهائن مقابل المساعدة فرفض شيوخ العرب مساعدتهم وقالوا: "لا حاجة بنا إلى نجدته ولا نستعين على المسلمين بغيرهم".[75]

حشد العرب قواتهم وجهز الموحدون جيشهم المقدر بحوالي ثلاثين ألفا يقودهم عبد الله بن عبد المؤمن ولأن العرب يفوقوهم عددا استدرجهم الموحدون إلى الحرب في مكان وعر يفقدهم تفوقهم العددي فوقفت الحرب بين الطرفين في أسطيف وبعد قتال عنيف تمكن الموحدون من هزيمة العرب في (سنة 548هـ/ 1153م).[76]

عمل الخليفة عبد المؤمن على كسب ود هؤلاء الأعراب إلى جانبه فعمل على الاحتفاظ بأسرهم من النساء والأطفال ووكل بهم من يقوم على خدمتهم خارج مراكز وأرسل إلى شيوخهم يطلب منهم المجيء إليه ليستلموا أولادهم ونساءهم فجاءه شيوخهم فسلمهم أسرهم وتمكن بذلك من استمالتهم فكانوا خير عون له خاصة في مسألة تعيين ابنه محمد وليا للعهد من بعده.[77]وبذلك فرضوا سيطرتهم على المغرب الأوسط وأخذوا يتطلعون إلى فرض سيطرتهم على المغرب الأدنى.

ويذكر الناصري: أن سبب مجيء الخليفة عبد المؤمن إلى إفريقية هو طلب الأمير الحسن بن على آخر أمراء بني زيرى منه تحرير هذه البلاد من الاحتلال النورمندى إضافة إلى وصول وفد من أهل أزويلة إلى الخليفة عبد المؤمن طلبوا منه نجدتهم من الفرنجة الذين خربوا مدينتهم واستباحوها وقال لهم: "أبشروا لأنصرنكم ولو بعد حين".[78] ويضيف أحد المؤرخين إلى هذين العاملين عوامل آخري منها ضم إفريقية جزء من مشروع الموحدين في توحيد الغرب الإسلامي تحت سلطانهم.إضافة إلى أن الموحدين كانوا ينوون القيام بعمل حربي في الأندلس فلهذا العمل في الأندلس يتطلب منهم تأمين ظهرهم من النورمان الموجدون في أفريقية. إضافة إلى أن الاضطرابات التي قامت في هذه البلاد ضد النورمان شجعت الموحدين على القيام بالاستيلاء على إفريقية بعد أن جاء الكثير من أهل هذه البلاد إلى الموحدين مستنجدين بهم لتخليصهم من هذا الاحتلال "فهذه العوامل مجتمعة دفعت عبد المؤمن لأن يفتتح المغرب الأدنى".[79]

بدأت جيوش الموحدين في الزحف من مراكش إلى إفريقية (سنة 553هـ/1158م) فوصلت إلى إفريقية (سنة 554هـ/1159م) في جيش قوامه مائة ألف مقاتل حيث وصل تونس[80] فحاصرها برا وبحرا وأرسل إلى أهلها يطلب منهم الطاعة وإعطاءهم الأمان وبذلك تمكن من

75- النويري ، نهاية الأرب ، ج24 ، ص 306 .

76- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 129 .

77- النويري ، نهاية الأرب ، ج24 ، ص 306-307 .

78- الناصري ، كتاب الاستقصاء ، ج2 ، ص120-121 .

79- أمراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ص 313-315 .

80- تونس : مدينة كبيرة بأفريقية على ساحل بحر الروم عمرت على أنقاض مدينة قديمة بناها القائد حسان بن النعمان وهي قصبة بلاد أفريقية. راجع ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 61-62 .

الاستيلاء عليها.[81] ومن تونس رحل الجيش إلى المهدية التي تحصن بها النورمان فضرب عليها الحصار مدة ستة أشهر تمكن بعدها من الاستيلاء عليها وطرد النورمان منها (سنة 555هـ/ 1160م).[82] عاد بعد ذلك الخليفة عبد المؤمن إلى مراكش "بعد أن أتم إخضاع إفريقية كلها وضمها إلى دولته وأصبحت دولة الموحدين تمتد من طرابلس شرقا إلى السوس الأقصى غربا لأول مرة في تاريخ المغرب منذ أن افتتحها العرب".[83]

وفي الختام يتضح لنا أهمية الدور الديني في قيام هذه الدولة الجديدة التي أرادها المؤسس ابن تومرت أن تعم كامل الغرب الإسلامي فوضع لأصحابه أسس دولة جعل الدين طابعها ولان رغبته قيام دولة بديلة لدولة قائمة لذا نجده لا يتورع عن استخدام الحيل والكذب على الناس من اجل استمالتهم.

ولما قامت الدولة وجدنا أن أول خلفائها ينزع عنها القدسية الدينية فبدلاً من ترك الأمر من بعده شوري نجده يورث الحكم لأبنائه مما يعزز ما ذهبنا إليه أن الدين كان مطية لإقامة دولة جديدة.وما يحسب لهذه الدولة أنها تمكنت من جعل اغلب بلاد المغرب الإسلامي كله تحت سيطرتها وخلصته من الاحتلال النورماندي.

- ثبت المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1 ــ ابن الأثير:عز الدين على بن أبى الكرم ،الكامل في التاريخ ، ج9، تحقيق خيري سعيد ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، ب.ت .

2 ــ ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فأس ، الرباط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، 1972.

3 ــ البكري: أبي عبد الله عبد العزيز،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، ب.ت .

4 ــ ابن خلدون: عبد الرحمن محمد ، تاريخ ابن خلدون المسمي بكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق د.خليل شحادة مراجعة د. سهيل زكار ، ج6 ، بيروت، دار الفكر ، 2000.

5 ــ الزركشي: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور، تونس ، المكتبة العتيقة ، 1966 ، ط2.

81- مقديش: محمود بن سعيد ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1988، المجلد الأول ، ص129- 130 ، ص494-495 ؛ الناصري ، كتاب الاستقصاء،ج2،ص120-121.

82- صالح صادق السباني ، ليبيا أثناء العهد ، ص 134-135 .

83- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص 710 .

6 ــ ابن صاحب الصلاة : عبد الملك بن محمد، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، تحقيق د.عبد الهادي التازي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1987 ، ط3.

7 ــ الصنهاجي : أبو بكر بن علي ،أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط ، دار المنصور ، 1971.

8 ــ ابن عذارى: محمد بن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين ، تحقيق د.محمد إبراهيم الكتامي ومحمد بن تاويت ومحمد زبير عبد القادر زمامه ، بيروت والدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985 .

9 ــ ابن العماد الحنبلي: الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بم محمد العكري الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط ، ج6، بيروت ، دار ابن كثير ، 1990.

10 ــ ابن القطان: أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دراسة وقدم له وحققه محمود علي مكي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990.

11 ــ مقديش: محمود بن سعيد، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ، المجلد الأول، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988.

12 ــ المراكشي: محيى الدين عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزت، طرابلس، دار الفرجاني، 1994.

13 ــ المهدي: محمد بن تومرت، أعز ما يطلب ، تقديم وتحقيق د.عبد الغني أبو العزم، الرباط ، مؤسسة الغني للنشر، 1997.

14 ــ مؤلف: مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف أندلسي من القرن الثامن الهجري، تحقيق د. سهيل زكار وعبد القادر زمامه، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، 2001.

15 ــ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار مراجعة عبد العزيز الأهوانى ، ج24 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1983.

16 ــ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ، معجم البلدان، ج5، بيروت ، دار صادر ، د.ت.

ثانيا: المراجع:

1 ــ اشباخ: يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وعلق عليه محمد عبد الله عنان ، ج1 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1996.

2 ــ بروفنسال : ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود عبد العزيز السالم ومحمد صلاح حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1990.

3 ــ بل: الفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990، ط3.

4 ــ التليسي: خليفة محمد، حكاية مدينة طرابلس لدي الرحالة العرب والأجانب ، ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، 1997، ط3.

5 ــ حسن: علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1980.

6 ــ خلف الله: ابتسام مرعي، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي (524-936هـ/1130-1529م) القاهرة ، دار المعارف، 1985.

7 ــ سالم : السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ، ب.ت.

8 ــ السباني: صالح صادق ، ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2006 .

9 ــ شبانه : محمد كمال، الدويلات الإسلامية في المغرب دراسة تاريخية حضارية ، القاهرة ، دار العالم العربي ، ب.ت .

10 ــ الصلابي : علي محمد ، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي دولة الموحدين ، القاهرة ، دار ابن الجوزي ، 2007.

11 ــ طه: جمال أحمد، مدينة فأس في عصري المرابطين والموحدين (448-668هـ/1056-1269م) الإسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2001.

12 ــ عبد الحميد : سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي الموحدون مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500-558هـ/1100-1163م) ج5 ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2000.

13 ــ عنان : محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين وبداية الموحدين) ج4 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.

14 ــ عودات: أحمد وآخرون، تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري ، اربد، دار الأمل للنشر والتوزيع ، 1989.

15 ــ عيلام : عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، الجزائر، وزارة الثقافة، 2007.

16 ــ الغناي: امراجع عقيلة، قيام دولة الموحدين، بنغازي،جامعة قاريونس، 1988.

17ــ الغناي: امراجع عقيلة، سقوط دولة الموحدين، بنغازي، جامعة قاريونس، 1988.

18 ــ الفقي : عصام الدين عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1990.

19 ــ محمد : محمد الأمين ومحمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، دار الكتاب ، ب.ت.

20 ــ موسي: عز الدين عمر، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم ، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، 1991.

21 ــ النجار : عبد المجيد ، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري ، فرجينيا ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995 ، ط2.

22 ــ النجار: عبد المجيد ، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 524هـ 1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1983.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

كتب التنظيمات المالية عند المسلمين

د. هدى حسن محمد عبدالرحمن

(محاضر بقسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة عمر المختار – البيضاء - ليبيا)

المقدمة

تميزت العقلية العربية المسلمة بالنباهة وإدراك لمجريات الأمور، فالمؤرخ العربي لم يغفل عن أي قضية من شأنها إبعاد الدولة الإسلامية عن الراكب الحضاري، فقد قاموا بالدراسة والبحث في كل نواحي حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

إن النظام المالي هو جزء أساسي من النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي واستقراره يؤثر إيجاباً على باقي الأنظمة، فالنظام المالي أخذ حيز من كتابات المسلمين؛ فلما تراكمت المشاكل الاقتصادية وتشابكت المصالح المادية كان لابد من التوفيق بين أصحاب المصالح المختلفة كمصلحة الدولة ومصلحة الشعب، فكان لزاماً من وضع مصنفات تكون مرجع لحل أهم هذه المشاكل.

استقت هذه الكتب قواعدها من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وجاءت كتب التنظيمات المالية التي وضعت من قبل المسلمون شاهد إثبات على مدى اهتمامهم بأمور دولتهم، وتحولت هذه الكتب إلى مراجع غزيرة بمعلوماتها عن الأنظمة المالية التي سادت الدولة الإسلامية في عصور ازدهارها فالباحث في التاريخ الاسلامي يعتمد عليها اعتماد كبير في تصديه لدراسة أي موضوع يتعلق بالنظم المسيرة للدولة الإسلامية؛ ونظراً؛ لما لهذه الكتب من أهمية كبرى وإنها قدمت الكثير من الحلول الاقتصادية التي ساعدت الخلفاء والأمراء على تسيير دولهم لذلك قامت هذه الدراسة بالبحث في أهم هذه الكتب واستنباط ما جاء بها من معلومات وتفصيلات تتعلق بجميع أمور المسلمين المالية.

لقد كان التركيز على هذه الدراسة من اجل توضيحها للملمين من دور مهم في إثراء الحضارة العربية الاسلامية بمروث ثقافي تمثل في أهم الكتابات التاريخية التي اسهمت في النهوض بإمة العرب والاسلام إلى مراتب متقدمة بالعلماء المسلمين كانوا اصحاب همم علمية كبيرة اخذوا على عاتقهم التصدي لجميع مجالات البحث والدراسة فهم لم يكونوا مجرد نقلة فحسب بل كانوا اصحاب الاسبقية في كل جديد وجاءت كتبهم عن النظم المالية دليلاً قاطعاً يوضح مدى إلمامهم بكل مجالات حياتهم فلم يركزوا فقط على التاريخ العام او اساسية او الاجتماع بل تعدو ذلك بوضعهم مصنفات اوجدت حلولاً لمشاكلهم الاقتصادية ووضعت نظاماً تسير حياتهم وتعاملاتهم مع غيرهم وهدف هذه الدراسة هي ابراز أهم هذه الكتب ومن وضعها وكيف خدمت حضارة الاسلام

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج السردي التحليلي القائم على جمع المعلومات وسردها وتحليل ما فيها، تمّ تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وخاتمة ومباحث تناول كل واحد منها كتاب بعينه، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع الخاصة بالبحث.

النظام المالي يقصد به الموارد الخاصة بالدولة وأوجه النفقات المختلفة والتي تطورت وتنوعت على مر العصور التي مرت بها الدولة الإسلامية.[1] وهذا النظام يعكس لنا المستوى الاقتصادي لأي دولة سواءً كان قوياً أو ضعيفاً.

وضع الرسول – صلى الله عليه وسلم – المبادئ القرآنية التي بنى عليها النظام الإسلامي موضع التنفيذ، وبذلك تقررت قواعد هذا النظام ورسمت معامله وجرى العمل بها في أيامه – عليه الصلاة والسلام – ولابد في جميع الأحوال من تحقيق التوازن الاجتماعي من خلال كل قاعدة كبرى وعلى القواعد تُقاس الفروع.[2]

إن الدولة الإسلامية التي أقامها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المدينة، ثم امتدت أطرافها عندما خرج المسلمون الفاتحون ينشرون الإسلامي في الآفاق، احتاجت بالضرورة إلى نظام اقتصادي يضمن لها التكامل والتطور.[3]

ولما كان الاقتصاد عصب الدولة، كان لابد من تحرير اقتصاد الدولة الإسلامية وامتلاك المسلمين لمصادر ثروتهم، فالمال في المجتمع له قيمة كبيرة ومكانة مرموقة؛ إذ به وعليه تقوم حياة الإنسان والدولة،[4] وقد حضّ الإسلام على ضرورة كسب المال والانتفاع به، فالعرب كانت لهم تجارتهم قبل الإسلام فقد أشار القرآن الكريم إلى رحلتي الشتاء والصيف، وأكد على ضرورة كد الإنسان وسعيه من أجل الحصول على الأموال، ومن هنا عمد رسولنا الكريم – عليه أفضل الصلاة والسلام – إلى تنظيم الاقتصاد من أجل خدمة المسلمين في كافة عصور الدولة الإسلامية،[5] وسانده في هذا الأمر الجليل عدداً من علماء العالم الإسلامي الذين وضعوا بين أيدينا مؤلفات تتعلق بالمال والاقتصاد مستنبطة من كتاب الله وسنّة نبيه، بهدف تعريف الناس بحقوقهم ورفع الظلم عنهم.

إن هذا النوع من التأليف خاص جداً ويعتمد على الجوانب الفقهية الإسلامية، فقد استطاع أصحابها أن يوظفوا الفقه لخدمة التاريخ.[6] وهذا يذهب بنا إلى أن أمة الإسلام أمة علم وحضارة وبناء، فالمسلمون بحضارتهم درسوا وبحثوا ونقحوا أمور عديدة من أجل تقدمهم وازدهار حضارتهم.

إن المؤلفات التي وضعها علماء المسلمين في مجال التنظيمات المالية جاءت لضرورة ملحة تؤكد ظهور مشكلة اقتصادية معينة[7] أرهقت الخليفة الحاكم آنذاك، أو لانتشار العملة المغشوشة،[8] والتي ظهرت بعد أن أصبح للعرب عملتهم الخاصة والتي تمّ سكها في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ/ 684 – 705م) سنة 77هـ/ 696م.

---

(1) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1/ ص461.
(2) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، (طرابلس، 1987)، ص197.
(3) فتحية البزاوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المسيرة، (الأردن، 2012)، ص180.
(4) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، (تونس، د. ت)، ج1/ ص187.
(5) أحمد عبد الرحيم السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، (القاهرة، 2001)، ص106.
(6) فتحية البزاوي، تاريخ النظم، ص174.
(7) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، (بيروت، د.ت) ص155.
(8) ابن سلام، كتاب الأموال، تحقيق أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدى، (القاهرة، 2006)، ص40.

كتب التنظيمات المالية عند المسلمين

كان كتاب **الخراج للقاضي أبي يوسف**[9] 113– 182هـ/ 731- 798م، من أهم وأشهر كتب التنظمات المالية التي عرفت في زمان الحضارة الإسلامية، فقد قام أبو يوسف بوضعه بناءً على طلب الخليفة العباسي[10] هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) ، وسبب تسمية هذا الكتاب بالخراج كانت مقصودة من المؤلف، لأن الخراج والذي يعني ضريبة مالية تؤخذ من الأراضي التي صولح عليها عند الفتح،[11] كان من أهم مصادر بيت المال المركز الرئيسي للنظام المالي في الدولة الإسلامية.

وتتجلى في هذا الكتاب الصورة الواضحة في العلاقة بين الحاكم المسلم إمام المسلمين وبين أهل الرأي والمشورة، لكي يعمل بنصائحهم وفق الشريعة الإسلامية التي تحقق العدالة بين جميع أفراد الرعية، ففي هذا المجال يقول أبو يوسف: "إن أمير المؤمنين (هارون الرشيد) أيّده الله سألني أن أضع كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات ... وغير ذلك مما يجب النظر فيه والعمل به، وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لأمرهم".[12]

قدم أبو يوسف علمه لطالبه دونما تزييف ولا خوف من بطش السلطان وبين خفايا الأمور في التشريعات المالية، مستنداً في ذلك على علمه ولكونه كان قاضياً وقريباً من العامة سمع منهم وعرف مشاكلهم.[13]

كان من بين ما قدمه كتاب الخوارج أفكاراً استثمارية توافق أفكار عصرنا هذا، وهو إقامة السدود وتعبيد الطرق وحفر الترع، فقد قال "رأيت أن تأمر عمّال الخراج إذا أتاهم من أهل خراجهم، فذكروا أن بلادهم أنهاراً عادية وأراضي مغمورة، وأنهم إن استخرجوا لهم تلك الأنهار واحتفروها أجرى الماء فيها عمرت وزاد خراجهم"،[14] وهذا الكلام دليل على قيمة وأهمية استصلاح الأراضي الزراعية والاستفادة من مواردها المالية.

كما ركّز أبو يوسف على التنمية الاقتصادية، وهذا ما نلمسه من خلال مخاطبته للخليفة قائلاً له: "ولا أرى أن يترك الإمام أرضاً لا ملك لأحد فيها حتى يقطعها، فإن ذلك أعمر للبلاد وأكثر للخراج".[15] يعني هذا الأمر زيادة لواردات الدولة المالية.

---

[9] هو الإمام يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المشهور بـ أبو يوسف وهو من تلاميذ الإمام أبو حنيفة، ولد في الكوفة وكان مولعاً بالعلم والتعليم، تولى القضاء سنة 166هـ/782م زمن المهدي العباسي، ثم تولى منصب قاضي القضاة زمن هارون الرشيد، وله عدة مؤلفات منها الخراج والرد على سير الأوزاعي واختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8/ص 535، ابن كثير، البداية والنهاية، ج10/ص330، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6/ص220.

[10] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج5/ ص180.

[11] الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص29.

[12] أبو يوسف، كتاب الخراج، ص3.

[13] أبو يوسف، المصدر نفسه، ص6.

[14] أبو يوسف، نفس المصدر، ص50.

[15] أبو يوسف، المصدر السابق، ص60.

عرض أبو يوسف أيضاً مبدأ اقتصادي آخر هو الاقتصاد الخاص، أي استثمار الأفراد للأراضي الزراعية عن طريق ما عرف وقتها بالمزارعة والإجازة، وهي أن يقوم أحد المزارعين بمنح مزرعته دون مقابل، والطرف الآخر يأتي ببذوره ومعداته ومواشيه ويقوم بالزراعة وتحصيل الأجر ودفع الخراج،[16] وهذا الأمر أدى إلى فتح باب تشغيل الموارد البشرية والاستفادة منها.

كما كانت لأبي يوسف نظرة شاملة انتهجها في كتابه وترمي إلى تخفيف العبء على كاهل الرعية وعدم إرهاقهم بالضرائب، وأن تتحمل الدولة كافة نفقات مشاريعها التي تقوم بها.

كل هذه الأمور كان من شأنها أن تشجع الاقتصاد وتدعمه وتقوي الموارد المالية للدولة، وأي دولة من الدول تصل إلى مبتغاها عند تكون أمورها الاقتصادية منظمة تسير وفق قواعد وقوانين مقننة ومستنبطة من كتاب الله العزيز وسنّة نبيه.

وجد مصنف آخر له من الأهمية ما لكتاب أبي يوسف وهو أيضا يحمل اسم الخراج ومؤلفه هو **يحي بن آدم القرشي**[17] 140- 203هـ/757-818م، والذي سار على نهج أبي يوسف، على الرغم من اختصاره لكتابه، إلا أنه تطرق لأهم القضايا التي تختص بالأموال والأرض وعلاقة الحاكم برعيته، وكل الأحكام التي استنبطها القرشي مستمدة من أعمال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأقواله، فعند حديثه مثلاً عن الغنيمة نجده يضع لها تعريفاً مستمداً من السلف الصالح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم -، كذلك الأمر عن الحديث عن الخراج.[18]

توالت مؤلفات علماء الإسلام في مجال النظم المالية، فجاء كتاب **عبيد الله بن سلام**[19] الموسوم بـ "الأموال" مقدماً إضافات علمية خاصة بالتنظمات المالية، فكتابه كان من أجود ما صنف في الفقه وخاصة فقه الأموال.[20]

ناقش ابن سلام في كتابه حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام، وتحدث عن أقسام الأموال وفصلها، وتحدث كذلك عن الفيء وتقسيمات الغنائم.[21]

ومن الجدير ذكره أن ابن سلام من رجال القرن الثاني الهجري، إلا أن كتابه ظلّ معروفاً حتى القرن السادس الهجري، فقد قرئ على الشيخة شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الأبري الدنيورية، فخر النساء 480–564هـ/1087-1168م، لتكتبه وذلك لجمال خطها،[22] وهذا يؤكد بالدليل الواضح على مدى علم ابن سلام وشيوع كتابه عبر قرون الحضارة الإسلامية.

---

[16] أبو يوسف، المصدر نفسه، ص88-91. وسيد أمير علي، روح الإسلام، (بيروت، د.ت)، ص55.

[17] هو يحي بن آدم بن سليمان القرشي الأموي أبو زكريا الأحول، ولد سنة 140هـ، ودرس الفقه وأخذه عنه سفيان الثوري، له عدة تصانيف منها: "الفرائض"، و "الزوال" والخراج. انظر الطبري، تاريخ الطبري، ج5/ص218، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2/، ابن سعد، الطبقات، ج6/ص15.

[18] يحي بن آدم القرشي، كتاب الخراج، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، (القاهرة، 1987)، ص58-60.

[19] عبيد الله بن سلام بن عبد الله الهروي، ولد سنة 157هـ/774م، تولى قضاء طرسوس ثماني عشرة سنة، له عدة مؤلفات منها: كتاب الغريب وكتاب الطهور وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب المواعظ وغيرها من الكتب، والتي يأتي في مقدمتها كتاب الأموال، توفي سنة 224هـ/838م في مكة المكرمة. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص542.

[20] البغدادي، تاريخ بغداد، ص549.

[21] عبيد الله ابن سلام، كتاب الأموال، ج1/ص46-53.

[22] السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، مكتبة القرآن، (القاهرة، د.ت)، ص54.

وفي هذا المجال أيضاً يذكر السمعاني في كتابه أدب الإملاء قائلاً: "عن أحمد بن مهدي قال: أردت أن أكتب كتاب الأموال لأبي عبيد الله، فخرجت لأشتري ماء الذهب فلقيت أبا عبيد، فقلت يا أبا عبيد رحمك الله أريد أن أكتب الأموال بماء الذهب، قال: أكتبه بالحبر فإنه أبقى".[23]

لم يترك ابن عبيد الله إرثاً فكرياً فقط، بل ترك تلاميذ نجباء ساروا على ذات النهج، فكان ابن زنجوية[24] أحدهم، فقد اعتمد اعتماداً واضحاً على كتاب أستاذه واقتبس نفس العنوان وسمي كتابه "الأموال"، وتناول فيه تفصيلات عدة منها: الفيء ووجوهه وسبيله وتقسيمات الجزية والخراج والأراضي العنوة وأحكام تتعلق بأهل الذمة وغيرها من الأمور التي تنظم حياة الناس مع بعضهم البعض.[25]

لم يتوقف المد العلمي للمسلمين عند هذا الحد فقط من الكتب وإنما استمر العطاء العلمي المتواصل، فنجد علماء من القرن الخامس الهجري وعلى رأسهم أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (374-450هـ/984-1058م) الذي وضع كتاباً بعنوان **"الأحكام السلطانية"**، وتناول فيه أموراً تتعلق بالنظم المالية وعلى رأسها الزكاة وأنواعها والغنيمة وتقسيماتها والخراج والجزية وأحكامها.[26]

كما وضع **أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي**، توفي في القرن الخامس الهجري كتاباً حمل اسم **"الأموال"** أيضاً، حيث شرح فيه باستفاضة الأموال التي شكلت مورداً من موارد بيت مال المسلمين، فكانت الأقسام أموال الحرب ويندرج تحتها الفيء والجزية والخراج، والأموال المكتسبة يندرج تحتها أحكام الملكية والإقطاع وإحياء الأراضي والآبار، ثم تحدث عن أموال الحكام والأموال العامة، ولم يكن أبو جعفر ناقلاً وجامعاً فحسب؛ وإنما كان له حضور قوي وأثر جلي، فلذلك تراه يناقش المذاهب والأئمة من المالكية وغيرهم.[27]

ومن الجدير ذكره أيضاً أن باقي علماء المسلمون لم يغفلوا عن الحديث عن النظم التي سيرت حياتهم حتى وإن لم يخصصوا لها كتب بعينها، نجدهم تحدثوا عن مثل هذه الأمور في كتب التاريخ العام، فهذا ابن خلدون في مقدمته مثلاً يتحدث عن المعاش ووجوبه والصنائع والصناعات وأثرها في حياة المسلمين وسانده ابن الأثير والطبري في مؤلفاتهم، والتي شملت التاريخ العام للمسلمين، فهم لم يتوانوا عن إسداء خدماتهم العلمية الجليلة التي كان من شأنها رفعة الإسلام وتقدم المسلمين إلى مراتب متقدمة جعلت من حضارتهم أم الحضارات الراقية التي عرفها العالم.

---

[23] السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1981م)، ص148.

[24] حميد بن مخلد بن قتيبة الأزدي النسائي أبو أحمد والمعروف ابن زنجوية، ولد سنة 180هـ/796م، انتهج الرحلة العلمية، وكان من أشهر تلاميذ عبيد الله ابن سلام، له عدة مؤلفات منها: "الأموال" و" الترغيب والترهيب" و" فضائل الأعمال". انظر البغدادي، تاريخ بغداد، ج8/ص160، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8/ص3، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج4/ص84، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج1/ص304.

[25] ابن زنجوية، كتاب الأموال، تحقيق شاكر فياض، (السعودية، 1986م)، ص115-156.

[26] الماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، (القاهرة، 2006م)، ص181-227.

[27] القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2008م)، ج3/ص402.

- الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع كتب التنظمات المالية عند المسلمين تبين لنا الآتي:

لقد وضع المفكرون المسلمون الأوائل قواعد فكر اقتصادي استمدوا أصوله من الكتاب العزيز والسنّة الشريفة، ففي القرآن الكريم جاءت التفصيلات الخاصة بالتفهم الاقتصادي المتعلقة بالزكاة والصدقات والغنائم والجزية والتجارة والمعاملات الإنسانية، وهذا دليل واضح على حرص الإسلام على إقامة اقتصاد ذا دعائم قوية وصحيحة.

كانت العقلية المسلمة خلاّقة وقادرة على الإبداع والعطاء، فالكتاب التي وضعت لم تكن عبثاً، وإنما جاءت لحل مشاكل اقتصادية واجهت الساسة في تلك الأزمنة، وساعدت على حلها والوصول بالدولة الإسلامية إلى مراتب عليا.

نظمت هذه الكتب والتي استمدت أصولها من القرآن الكريم، وسنّة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – العلاقات والمعاملات بين المسلمين، الأمر الذي كان من شأنه أن انعكس على غيرهم من غير المسلمين، ودفعهم إلى اعتناق الدين الإسلامي المبني على مثل هذه العلاقات والمعاملات الحسنة.

أثرت مثل هذه الكتب المكتبة العربية الإسلامية، فأي باحث في التاريخ الإسلامي لابد له من الاطلاع على مثل هذه الكتب، لتوثيق معلوماته عن الحياة الاقتصادية والتي هي أساس باقي النظم الأخرى سياسية كانت أو اجتماعية.

ساهمت الأفكار المطروحة في هذه الكتب على زيادة واردات الدولة المالية، وخاصةّ الخراج العمود الفقري لبيت مال المسلمين، والذي عمل بدوره على إقامة العديد من الإصلاحات وبناء العديد من المدن، كل هذه الأمور دعمت وقوّت مكانة الحضارة العربية الإسلامية وجعلت لها حظوة بين باقي حضارات العالم القديم.

- مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر:

- ابن زنجوية، حميد بن مخلد الأزدي، كتاب الأموال (1986م) تحقيق شاكر فياض، (السعودية).
- ابن سلام، عبيد الله بن عبد الهروي، كتاب الأموال (2006م) تحقيق أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدى (القاهرة).
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (1979م)، كتاب الخراج، دار المعرفة (بيروت).
- البغدادي، الحافظ أبوبكر أحمد بن علي (د.ت) تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي (القاهرة).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (1964م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة).
- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (1895م) مفاتيح العلوم، تحقيق محمد كمال الدين الأدهمي، مطبعة بريل (ليدن).
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (د.ت) سير أعلام النبلاء، دار الكتاب اللبناني (بيروت).
- ابن سعد، محمد بن سعد (د.ت) الطبقات الكبرى، تقديم إحسان عباس، دار صادر، (بيروت).
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (1981م) أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية (بيروت).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (د.ت) نزهة الجلساء في أشعار النساء، تحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن (القاهرة).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (د.ت) تاريخ الأمم والملوك، دار القاموس الحديث، (بيروت).
- ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف بن عبد الله (د.ت) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي البجاوي (القاهرة).
- القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي (2009م) ترتيب المدارك وتقريب لمسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة).
- القرشي، يحي بن آدم، كتاب الخراج (1987م) تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، (القاهرة).

كتب التنظيمات المالية عند المسلمين

- ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (1983م) البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت).
- الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب، الأحكام السلطانية (2006م) تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، (القاهرة).

ثانياً: المراجع:

- أحمد عبد الرحيم السايح (2001م) أضواء على الحضارة الإسلامية (القاهرة).
- آدم متز (د.ت) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (تونس).
- حسن إبراهيم حسن (1991م) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي والديني، دار الجيل (بيروت).
- سيد أمير علي(د.ت) روح الإسلام (بيروت).
- شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية (1987م) منشورات كلية الدعوة الإسلامية، (طرابلس).
- صبحي الصالح (د.ت) النظم الإسلامية (بيروت).
- عمر رضا كحالة (د.ت) معجم المؤلفين، مكتبة المثنى (بغداد).
- فتحية النبراوي (2012م) تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المسيرة (عمان).
- فؤاد سنركين (1971م) تاريخ التراث العربي، ترجمة فهمي أبو الفضل (القاهرة).

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية

د. صلاح الأمين عبدالله محمد

(محاضر بقسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم المرج – جامعة بنغازي - ليبيا)

اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية

الملخص

دراسة موضوع اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية، تهدف إلى تسليط الضوء على هذا الأثر، وكيف لعبت المذاهب والمجامع الدينية المسيحية دورا كبيرا في قيام وسقوط الإمبراطورية. حيث سنتحدث عن اعتراف الإمبراطور قسطنطين عام 313م بالديانة المسيحية، وكذلك سنتكلم على الصراع الديني الذي حدث داخل الإمبراطورية البيزنطية بسبب ظهور المذاهب الدينية المسيحية. كذلك أيضا سنستعرض المجامع الدينية العالمية (المسكونية) والمجامع المحلية أو المكانية، والدور الذي لعبته في تمزيق الوحدة الدينية داخل الإمبراطورية البيزنطية عام 1054م. وكذلك سنتطرق إثناء ذلك إلى أحوال الإمبراطورية البيزنطية سواء في شرقها أو في غربها. وسنذكر اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية. ومن أهداف هذه الورقة أيضا الوصول إلى أهم نتائج إثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية. أما المنهج الذي اخترناه للدراسة، هو المنهج السردي التاريخي، حيث نقوم بجمع المادة العلمية من المصادر القديمة والمراجع الحديثة، وبعد ذلك نقوم بالنقد والتحليل والمقارنة بين جميع المعلومات الواردة في المصادر والمراجع، للوقوف على سماتها وخصائصها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة، بغية الوصول واستخلاص اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية على الإمبراطورية البيزنطية.

الكلمات الرئيسية: الإمبراطورية البيزنطية ، المسيحية ، المذاهب ، المجامع الدينية العالمية.

عناصر البحث

- المقدمة.

1. اعتراف الإمبراطورية البيزنطية بالديانة المسيحية.
2. ظهور المذاهب الدينية المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية.
3. المجامع الدينية.

- الخاتمة.
- قائمة المصادر والمراجع.

المقـــــــدمة

كان انتصار المسيحية هو في الحقيقة تاريخ ظهور الإمبراطورية البيزنطية في عصر قسطنطين الكبير (323-337م). ففي سنة 305م مرض دقلديانوس (284-305م) وتقدم به السن فتنازل هو وماكسيميان عن لقبهما الإمبراطوري واعتزلا العمل السياسي. وأصبح جاليريوس حاكماً للقسم الشرقي للإمبراطورية خلفاً لدقلديانوس. في حين أصبح قسطنطيوس (والد قسطنطين) حاكماً للقسم الغربي خلفاً لماكسيميان. وكان قسطنطيوس قد عرف بمواقفه السلمية تجاه المسيحيين، غير أنه توفي فجأة في السنة التالية 306م في بريطانيا مركز حكمه وخلفه ابنه قسطنطين.[1] وفي سنة 311م مرض جاليريوس مرضاً عضالاً أعتقد إن سببه هو انتقام آله المسيحيين له، لهذا أصدر فجأة مرسوما يمنع اضطهاد المسيحيين وعفا عنهم، وأعلن حقهم في الوجود. ويبدو أن هذا المرسوم لم ينفذ بصورة فعلية. ففي تلك السنة كان دقلديانوس لا يزال على قيد الحياة (مات سنة 312م) نشبت حرب أهلية، وأعلن الثائرون خلع جاليريوس من منصبه وتعيين Maxentius ماكسنتيوس ابن ماكسيميان. واغتنم قسطنطين موت ماكسيميان وجاليريوس واتحد مع الاغسطس الجديد ليسينيوس Licinius وتمكنا سنة 312م من هزيمة ماكسنتيوس في معركة فاصلة تسمى جسر ملفيان Milvian Bridge على نهر التيبر قرب روما. وغرق ماكسنتيوس في نهر التيبر إثناء محاولته الهرب من المعركة.

خلال القرن الرابع الذي أعقب موت الإمبراطور قسطنطين كان أباطرة الإمبراطورية البيزنطية، ما عدا جوليان، يعتنقون المسيحية. غير إن انتشار المسيحية ونمو الكنيسة أديا إلى ظهور كنائس كبرى في الشرق بجانب كنيسة القسطنطينية وهي كنائس بيت المقدس وإنطاكية والإسكندرية. وكان لكل كنيسة من هذه الكنائس ادعاءات خاصة من حيث السيادة وغيرها، لذلك كان من الصعوبة تحقيق الوفاق أو المساواة أو الاتحاد بينها من الناحية النظرية، لان بعض هذه الكنائس كان أكثر أهمية من بعض. وفي القرن الخامس زاد التنافس بين هذه الكنائس، إذ إن أساقفة الإسكندرية وروما استنكروا ارتفاع شان أساقفة القسطنطينية، وحاولوا - عبثاً - أساقفة إنطاكية القضاء على ادعاءات أسقفية بيت المقدس. يضاف إلى ذلك النزاع والتنافس بين كنيستي القسطنطينية وروما، فإذا تمتع أساقفة روما القديمة بمركز ديني كبير باعتبار إن روما كانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية، ادعى نفس المركز أسقف روما الجديدة إي أسقف القسطنطينية. وللوقوف في وجه ادعاءات كنيسة القسطنطينية شرح البابا داماسوس Damasus في أواخر القرن الرابع سمو كنيسة بطرس في روما.

[1] كان قسطنطين ابن غير شرعي للإمبراطور قسطنطيوس كلروس Constantius Chlorus من عشيقته هيلانه الذي أقام معها عدة سنوات في مدينة بيثينيا Bithynia ثم هجرها سنة 289م ليتزوج من ثيودورا Theodora ابنة زوجة الإمبراطور ماكسيميان. وتربى قسطنطين في القصر الإمبراطوري في نيقوميديا حيث تطلع منذ صغره على إسرار الحكم والسياسة، أنظر:
سيد احمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية (القاهرة، 1975) ص357.

ومما زاد من الخلافات الدينية المذهبية إن المجتمع البيزنطي نشأ مجتمعاً دينياً، وكان اللاهوت هو الموضوع المفضل للمناقشة حتى بين عامة سكان القسطنطينية. وأشار جريجوري (340-400م) أسقف مدينة نيس أنه عندما ذهب إلى العاصمة القسطنطينية وجد سكانها يتحدثون في اللاهوت بنجابة "فإذا سألت أحد عن ثمن سلعة من السلع أجاب سائلاً عن المولود وغير المولود، وإذا سألت احد عن ثمن الخبز أخبرك صاحب المخبز بان الأب أعظم من الابن وان الابن يجب إن يكون دون الأب، وإذا طلبت من الحمامي إن يعد لك الحمام أجاب بان الابن وجد من لا شي". وبالتالي تكمن أهمية هذا الدراسة من كونها تناقش موضوعاً مهماً وهو **(اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية)** حيث انه يشغل حيزاً من تفكير الكثير من المفكرين والمؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

وتهدف الدراسة إلى تحديد معالم الأثر الذي لعبته المسيحية بمذاهبها ومجامعها الدينية على الإمبراطورية البيزنطية. ومن الأهداف المتوخاه من هذه الدراسة أيضا، الوصول إلى بعض الحقائق التي قد تقودنا إلى فهم بعض الغوامض التاريخية في فترة الدراسة، وكذلك دراسة جديدة لبعض الأحداث التي أصبحت في طيّ النسيان، ورأيت من واجبي أن أمد يدي لالتقاط غموض هذه الأحداث، حتى تظهر للملأ، وتطفو على السطح.

أما المنهج الذي اخترناه لدراسة موضوع اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية هو المنهج السردي التاريخي، حيث نقوم بجمع المادة العلمية من المصادر القديمة والمراجع الحديثة والمجلات والندوات والمؤتمرات العلمية التي درست تاريخ الإمبراطورية البيزنطية بصفة خاصة، للوقوف على سماتها وخصائصها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة، بغية الوصول واستخلاص اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية على الإمبراطورية البيزنطية.

1. اعتراف الإمبراطورية البيزنطية بالديانة المسيحية:

وعندما اعتلى قسطنطين العرش البيزنطي (323-337م) كانت الديانة المسيحية قد تغلغلت في كيان الإمبراطورية منذ حوالي ثلاثة قرون، وقد حاول بعض الأباطرة القضاء على هذه الديانة بالعنف والدم مثل دقلديانوس وجاليريوس فقد كان Galerius رجلاً دموياً شديداً البأس على المسيحيين ولم تجد قسوته نفعاً بل انتشرت المسيحية أكثر من ذي قبل. وقد وجد Galerius نفسه بعد سنوات من الاضطهاد إن سياسة العنف هذه سياسة فاشلة، واقتنع آخر الأمر بان العنف والاستبداد لا يقضيان على شعب بأسرة وعلى معتقداته الدينية. ولعل ذلك ناتج عن اعتلال صحته لفترة ليست بقصيرة، فأصدر على طيب خاطر - لا صلاح ما أفسدته يداه - مرسوماً عاماً يحمل أسمه وأسم ليسينيوس Licinius . ومن نص هذا المرسوم "... لقد اتجهت إرادتنا إلى بسط مزايا رأفتنا المألوفة على هولاء الإفراد المسيحيين التعساء، ولذلك نرخص لهم في إعلان آرائهم الخاصة في حرية تامة، وفي عقد اجتماعاتهم السرية دون خوف أو إزعاج شريطة إن يظهروا دوما الاحترام اللائق للقوانين والحكومة القائمة، وأننا نأمل إن يكون تسامحنا دافعاً إلى الصلاة والتضرع إلى الإله الذي يعبدوه من اجل سلامتنا وسلامتهم ورخائهم وسلامة الإمبراطورية ورخائها".[2]

وعلى ما يبدو إن أعوان Galerius لم ينشروا هذا المرسوم كما هو، وإنما نشروا تعليمات إلى حكام الولايات تحدثوا فيها عن رفق الأباطرة بالمسيحيين وأشاروا فيه على رجالهم بوقف محاكمة المسيحيين وغض الطرف عن الاجتماعات السرية. وأعقب ذلك إطلاق سراح المعتقلين منهم، ولكن ذلك لم يدم طويلاً بسبب حكم Galerius القصير (305-306م) وما تبع ذلك من اضطرابات داخل الإمبراطورية. واجتمع بعد ذلك قسطنطين وليسينيوس عند مدينة ميلان في مارس 313م وأعلنا التسامح الديني للمسيحيين وأصدرا وثيقة سميت خطأ باسم مرسوم ميلان، ذلك لان النص الأصلي للوثيقة لم يعثر عليه. ولم تكن هذه الوثيقة مرسوماً ولكنها رسالة موجهة إلى أحد حكام الولايات في أسيا الصغرى (حاكم نيقوميديا) تحتوي على توجيه بحسن معاملة المسيحيين وتوضح سياسة التسامح التي اتبعتها اتجاههم.[3] وقد استقبل هذا المرسوم على انه قانون أساسي من قوانين العالم الروماني، ومن هذا المرسوم: « عندما تقابلنا نحن قسطنطين أوغسطس وليسينيوس أوغسطس في ميلان مكللين بالرعاية والعناية، أخذنا نبحث فيه جميع الوسائل الخاصة بالصالح العام لرعايانا. ومن هذه المسائل التي تهم الكثيرين وتعود بالنفع عليهم مسألة حرية العقيدة. لذلك قررنا إصدار مرسوم يضمن للمسيحيين وكافة الطوائف الأخرى حرية اختيار وممارسة العقيدة التي يرتضونها، وبذلك نضمن رضاء جميع الإلهة والقوى السماوية علينا، كما نضمن رضاء جميع رعايانا ممن يعيشون في كنف سلطاننا. وهكذا قررنا عن ثبات وتعقل ألا يحرم إي فرد كائناً من كان من اختيار المسيحية ديانة له. ولكل فرد الحرية في اختيار الدين الذي يناسبه. وبذلك نضمن استمرار تأييد الرب لنا بنفس

[2] Davis, R.H. 1968. History of Medieval Europe from Constantine to Saint Louis. London, p 15.
[3] Vasiliev, A. 1961. A History of the Byzantine Empire 324-1453AD. 2 voles. 3rd edition. Madison and Milwauk, I, pp 50-51.

الكرم والقوة اللذين تعودناهما منه .. وهذا المرسوم الذي صدر من فيض كرمنا يجب إن يذاع على الجميع ويجب إن يحاط به الجميع علماً وينشر في كل مكان حتى لا يفوت احد الأخذ به .. ».[4]

والنص الخاص بالفقرة الأخيرة كما هو منشور باللغة الانجليزية كالأتي:

"So that the form of this ordinance and of our benevolence may come to the attention of all men. It will be convenient for you to promulgate these letters everywhere and bring them to the knowledge of all, so that ordinance of our benevolence may not be hidden."

وعلى ذلك فنحن أمام الحقائق التالية:

1. إن المسيحية ظلت حركة سرية منذ بدايتها حتى إعلان مرسوم ميلان عام 313م.
2. اضطهد بعض الأباطرة المسيحيين، وغالى بعضهم في ذلك.
3. لم يكن المرسوم أول مرسوم بالتسامح مع المسيحيين بل سبقه المرسوم الذي حمل اسم جاليريوس وليسينيوس.
4. إن مرسوم جاليريوس لم يعمل به لقصر مدة حكم الإمبراطور.
5. لعل في العبارة الأخيرة الواردة في مرسوم ميلان ما يؤكد ذلك وان عبارة Not be hidden تشير إلى الخوف من سابقة حدثت تحوم حول ما تنطوي عليه هذه العبارة من معنى ويخشى تكرارها.
6. إن مرسوم ميلان لم يصدره قسطنطين منفرداً بل صدر منه ومن شريكه في الحكم ليسينيوس.[5]

والحقيقة أن هذه الرسالة الصادرة من قسطنطين وليسينيوس عبارة عن تأكيد لما ورد في مرسم جاليريوس الصادر في سنة 311م. وأعطت هذه الرسالة المسيحيين وغيرهم من معتنقي الديانات الأخرى كامل الحرية في إتباع العقيدة التي يختارونها، وبالتالي أصبحت المسيحية ديانة معترف بها كغيرها من الديانات في الإمبراطورية.[6] واستكمالاً لمحتوى مرسوم ميلان نقول إن المرسوم يرد كل الحقوق الدينية إلى المسيحية التي كانوا حرموا منها ظلماً، ونص على إن تعاد للكنيسة كل أماكن عبادتهم والأراضي العامة المصادرة دون جدل أو إبطاء أو تكلفة. واقترن هذا الإنذار الصارم بوعد كريم يقضي بأن يدفع - لمن اشتروا أملاك الكنيسة ودفعوا مبالغ كبيرة - تعويض من خزانة الإمبراطورية.[7]

واختلف الباحثون في شرح الدوافع الحقيقية لاعتراف قسطنطين بالمسيحية، فالمؤرخ الكنسي يوسيبيوس Eusebius أسقف قيسارية بفلسطين وصديق الإمبراطور قسطنطين. يعتقد بأن دوافع الإمبراطور هي دوافع دينية أملتها الإرادة الإلهية. وهناك رواية تنسب - ربما خطأ - إلى يوسيبيوس إن قسطنطين قص عليه انه رأى سنة 312م قبيل خوضه معركة جسر ملفيان ضد خصمه ماكسنتيوس صليباً نورانياً على قرص الشمس يحيط بالأفق عند الغروب مكتوباً عليه بهذا ستنتصر.

---

[4] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 49.
محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية (بيروت، 1981) ص25-26.
[5] Oman, C.W. 1914. The Byzantine Empire. London, p 27.
[6] Ashour, S. & Rabie, H. 1971. Fifty Documents in Medieval History. Cairo, pp 9-10.
[7] Vryonis, S. 1967. Byzantium and Europe. London, pp 22-23.

ثم راء المسيح في الليلة الثانية في حلم حاملاً نفس العلامة مخبراً الإمبراطور بأن يتقدم إلى المعركة بالصليب.[8] وعند الفجر قص قسطنطين حلمه على رفاقه. ويقال إن الصليب كان مرسوماً على دروع رجاله عندما خاضوا غمار معركة Milvian Bridge التي أتاحت له السيادة على الغرب، وبالتالي اعتقد قسطنطين بأن إله المسيحيين أعطاه المساعدة والعون في نزاعه ضد خصمه ماكسنتيوس.[9]

ويقال أيضا إن تأثر الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية يرجع إلى حد ما إلى دور أمه هيلانه التي اعتنقت المسيحية، واعتبرت فيما بعد قديسة (القديسة هيلانه). ويبدو إن هيلانه لعبت دوراً هاماً في اعتراف قسطنطين بالمسيحية، وعملت على رفع شأنها في جميع إنحاء الإمبراطورية بعد سنة 313م، فزارت بيت المقدس، حيث وزعت العطايا بسخاء، وساهمت في تشييد الكثير من الكنائس. ويقال أنها أثناء زيارتها لبيت المقدس اكتشفت صليب الصلبوت. ولم يذكر أحد من المؤرخين المعاصرين شيئا عن دور هيلانه في مسألة العثور على خشبة الصليب، كما يرجح بعض الباحثين أنها توفيت قبل اكتشافه.[10]

ويري البعض إن سياسة قسطنطين الدينية قد أملتها ضرورات سياسة، وأنه أدرك بذكائه إن المسيحية سوف تصبح قوة عالمية.[11] والدليل على ذلك أنه أدرك إن اضطهاد المسيحية لم يعق انتشارها بل ازداد المسيحيون تمسكاً بها. يضاف إلى ذلك إن قسطنطين أدرك إن دعوة المسيحية للمساواة والسلام والمحبة والإيثار تحتم ضرورة إتباع سياسة ايجابية نحوها حتى تستطيع إن تملا حاجات الناس النفسية مع قصور الوثنية. يضاف إلى ذلك إن قسطنطين وجد إن الإمبراطورية سوف تعتمد بشكل رئيسي في مواردها المالية على ولاياتها في أسيا الصغرى والشام ومصر، حيث انتشرت المسيحية بعد مخاطر القوط والفرس وغيرهم، مما رأى معه ضرورة كسب ولاء سكان الولايات الشرقية حفاظاً على وحدة الإمبراطورية.

وكيفما كان الأمر، فاعتراف قسطنطين بالمسيحية يعني تثبيت دعائمها وتمهيد الأرض لازدهارها. حيث منح الإمبراطور رجال الدين المسيحيين نفس الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها كهنة الديانة الوثنية، واعفوا من الضرائب وتأدية الوظائف المدنية حتى يتسنى لهم تأدية واجباتهم الدينية. وازدادت الكنائس غنى نتيجة ما كان يصل إليها من هدايا وأموال وهبات وأراض وأملاك من الدولة ومن سكان الإمبراطورية. واعفي المسيحيون من حضور الاحتفالات الوثنية. ويقال إن قسطنطين أمر بتشييد عدد كبير من الكنائس في إنحاء الإمبراطورية مثل كنيسة القديس بطرس في روما وكنيسة الصعود على جبل الزيتون وكنيسة المهد في بيت لحم. وزين قسطنطين فيما بعد

---

[8] يوسيبيوس Eusebius: ولد حوالي سنة 260م في فلسطين، واضطهد وسجن في قيسارية سنة 309م. وفي سنة 313م وبعد انتصار المسيحية اختير أسقفا لمدينة قيسارية وأصبح من اعلم واشهر رجال عصره ومن المقربين إلى الإمبراطور قسطنطين، كما اشترك في مجمع إنطاكية سنة 331م وغيره من المجامع الكنسية. وكان Eusebius عالما وأديبا عظيماً كتب كتاباً مهماً في التاريخ الكنسي وآخر عن حياة قسطنطين فضلاً عن كتاباته في المسائل اللاهوتية والعقائدية، ومات سنة 340م. أنظر:
Eusebius. 1926. The Ecclesiastical History. London. Introduction, pp ix- xxvii.

[9] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 50.

[10] اسحق عبيد: قصة عثور القديسة هيلانه على خشبة الصليب أسطورة أم واقع؟ المجلة التاريخية المصرية - مجلد17 – 1970 - ص5-21.

[11] Vryonis. Byzantium and Europe, p 24.

عاصمته الجديدة القسطنطينية بعدد من الكنائس، اشهرها كنيسة الرسل وغيرها، كما تم في عهد قسطنطين تشييد كنائس في أماكن أخرى في إنطاكية ونيقوميديا وشمال افريقية.[12]

ومن الجدير بالذكر إن الإمبراطور قسطنطين رأى - بعد اعترافه بالمسيحية كديانة من الديانات المعترف بها في الإمبراطورية - إن وحدة وإحياء الإمبراطورية تعتمدان على وحدة الكنيسة، وبالتالي استخدم قوة الإمبراطورية وعظمتها في محاولة لرىء الصدع في النزاع الذي بدأ يظهر وقتذاك بين رجال الدين. وتصرف قسطنطين لا كإمبراطور روماني Pontifex maximus بل كإمبراطور وبابا بيزنطي في إن واحد Byzantine Caesaropapism والدليل على ذلك إن الإمبراطور قسطنطين عندما عقد في سنة 325م في مدينة نيقيه Nicaea أول مجمع ديني مسكوني (عالمي) ليبحث رجال الدين العقيدة وشئون الكنيسة، هو الذي بدأ بالدعوة إلى هذا المجمع، ودعا الأساقفة إلى نيقيه وجعلهم في ضيافة الإمبراطورية، وترأس جلسات المجمع ووجه قراراته، وفرض على الأساقفة القرارات اللاهوتية التي فضلها، وترك بذلك بصمات واضحة على علاقات الكنيسة بالإمبراطورية في الشرق. ومعنى هذا إن الإمبراطور البيزنطي أصبح سيد الكنيسة والمتحكم في شؤونها، مما كان له أثر كبير في تاريخ الكنيسة الشرقية.[13]

وتجدر الإشارة إلى إن هذا التعاون بين الكنيسة والإمبراطورية الذي بدأه قسطنطين قد أدى إلى كثير من المشاكل، إذ أصبحت الإمبراطورية البيزنطية منذ ذلك الحين مجبرة على إن تكون طرفاً في كل الخلافات والمنازعات الكنسية، وبالتالي لم تعد الخلافات المذهبية من خصوصيات الكنيسة وحدها، بل كانت تتأثر بالظروف السياسية.

وبعد إن اعترف قسطنطين الكبير بالمسيحية كديانة من ديانات الإمبراطورية كان لابد لاكتمال ظهور الإمبراطورية البيزنطية إن تشيد مدينة مسيحية الصبغة لتكون عاصمة للإمبراطورية بدلاً من روما التي ظلت حصنا للوثنية إلى وقت ليس بقصير، لهذا نقل قسطنطين عاصمة الإمبراطورية إلى شواطئ البوسفور في الشرق وهي القسطنطينية. ومن المعروف إن بعض أباطرة الرومان حاولوا منذ عهد يوليوس قيصر (قتل سنة 44 ق.م) الانتقال بعاصمتهم إلى الشرق. فقد فكر يوليوس قيصر في جعل الإسكندرية أو طروادة في أسيا الصغرى عاصمة له. وسبق القول بأن دقلديانوس جعل مقر حكمه مدينة نيقوميديا في آسيا الصغرى عندما احتفظ لنفسه بالجزء الشرقي من الإمبراطورية.[14]

2. ظهور المذاهب الدينية المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية:

شغلت قضية الثالوث التي أثارها القس السكندري آريوس علماء اللاهوت وكذلك الأباطرة لأكثر من نصف قرن من الزمان. حيث أن آريوس أنكر إلوهية المسيح وأنكر صفة الشبه بين الأب والابن، ورفض مجمع نيقيه 325م آراء آريوس. ولعبت الأريوسية دوراً مهماً خلال حكم الإمبراطور فالنس، غير إن موت هذا الإمبراطور سنة 378م أمام القوط أعطى ضربة قاسية

[12] حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية (القاهرة، 2000) ص27-28.
[13] Hussey, J. M. 1967. The Byzantine World. 3rd edition. London, p 12.
[14] Ostrogorsky. 1956. History of the Byzantine State. Trans- by Jon Hussey. Oxford, p 44.

للمذهب الأريوسي. فعندما تولى ثيودوسيوس الأول عرش الإمبراطورية سنة 379م ضيق الخناق على الأريوسيين الهراطقة والوثنيين، وأصدر قرار سنة 380م أعلن فيه إن المسيحي الحق هو الذي يؤمن بالثالوث: الأب والابن والروح كما بشرت به الأناجيل وكتابات الرسل، أما ما عداهم فهم الهراطقة (المعتوهون) ليس من حقهم إن يطلقوا على أماكن عباداتهم كلمة كنائس وهم معرضون للعقاب الشديد والاضطهاد.[15] وفي السنة التالية 381م دعا الإمبراطور ثيودوسيوس إلى مجمع ديني مسكوني في القسطنطينية، وهو المجمع المسكوني الثاني الذي رأسه أسقف إنطاكية ولم يحضره احد من كنيستي روما والإسكندرية. وأعاد هذا المجمع التأكيد على المذهب الأثناسيوس، وأوصى باعتبار الأريوسية هرطقة. وأكد قرارات مجمع نيقيه 325م. وقرر هذا المجمع أيضا رفع كنيسة بيزنطة إلى المرتبة الثانية بعد كنيسة روما، إي وضع كنيسة القسطنطينية قبل كنيسة الإسكندرية، وبالتالي صار أسقف كنيسة القسطنطينية "يتمتع بالشرف الذي يتلو الشرف الذي يتمتع به أسقف روما، لان القسطنطينية هي روما الجديدة". وهكذا أصبح الإمبراطور ثيودوسيوس وكأنه المسئول الأول عن شئون الكنيسة.[16]

واتخذ الإمبراطور ثيودوسيوس الأول أيضا خطوات صارمة ضد الوثنيين، فقد منعهم من تقديم القرابين لإلهتهم، وأمر بإغلاق الكثير من معابدهم. وأصدر سنة 392م قراراً منع بموجبه الوثنيين من تقديم القرابين وإحراق البخور في معابدهم وما إلى ذلك. واعتبر كل من يقوم بهذه الإعمال قد ارتكب جرماً ضد الإمبراطور والدين وبالتالي يجب توقيع العقوبات الشديدة عليه. وألغى قرار الإمبراطور وجود الوثنية كدين معترف به وأشار إليها على أنها (خرافة).[17]

ثم قام الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني ابن أركاديوس (408-450م) بتوجيه ضربة عنيفة ضد مدرسة أثينا الوثنية مثلما فعل جده ثيودوسيوس الأول من قبل. ففي سنة 425م أصدر هذا الإمبراطور قرارا بتأسيس معهد علمي مسيحي في القسطنطينية ينافس بأساتذته وطلابه معهد أثينا الوثني الذي كان لا يزال تدرس فيه الفلسفة اليونانية. والحقيقة إن القسطنطينية منذ أصبحت عاصمة للإمبراطورية في عصر الإمبراطور قسطنطين وفد إليها كثير من علماء البلاغة والفلسفة من افريقية والشام وغيرهما. حتى أصبحت قبل عصر ثيودوسيوس الثاني اكبر مركز ثقافي في الإمبراطورية. وفي سنة 425م أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني قراراً بتنظيم مدرسة عالية كانت قد نشأت في القسطنطينية، وتولى التدريس فيها واحد وثلاثون أستاذاً قاموا بتدريس النحو والبلاغة والقانون والفلسفة. وعلى الرغم من إن اللغة اللاتينية كانت لا تزال اللغة الرسمية في الإمبراطورية، إلا إن قرار ثيودوسيوس أمر بإنشاء كراسي للغة اليونانية التي أصبحت اللغة الشائعة في الجانب الشرقي للإمبراطورية. وأدى ذلك إلى زيادة الاهتمام بتدريس اللغة اليونانية في جامعة القسطنطينية أكثر من الاهتمام بتدريس اللاتينية. وأصبح ذلك المركز التعليمي في القسطنطينية أكثر من الاهتمام بتدريس اللاتينية. ومنافساً خطراً لمدرسة أثينا الوثنية التي بدأت

[15] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 80.
[16] Daoud, D. A. 1964. Alexandria and the Early Church Councils. Cahirs d'Alexandrie. Serie II. pp 57.
[17] Eusebius. 1965. The history of the Church from Christ to Constantine. Trans- by Williamson, G.A. Middlesex, p 111.

تتداعي وتضمحل بسبب انتصار المسيحية. وسرعان ما أصبحت جامعة ثيودوسيوس الثاني نواة للثقافة ومركزاً للحضارة البيزنطية.[18]

وهدأت الأريوسية بالتدريج في الشرق ولكن ظهر جدل كنسي جديد أثر على مجريات الأمور في الإمبراطورية البيزنطية اكبر من الأثر الذي خلفته المشكلة الأريوسية. ونشأ هذا الجدل الكنسي نتيجة الاختلاف الكبير في تعاليم المدرستين الدينيتين في إنطاكية والإسكندرية. فإذا كان المذهب الأريوسي قد أنكر إلوهية المسيح فقد دار الجدل الجديد في مسألة علاقة الطبيعة البشرية في المسيح بطبيعته الإلهية. ورأت مدرسة إنطاكية الدينية في أواخر القرن الرابع الميلادي إن للمسيح طبيعتين منفصلتين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية تعيشان جنباً إلى جنب، فالمسيح - في رأي هذه المدرسة - هو الوعاء الذي اختاره الله ليضع فيه الطبيعة الإلهية، وهو في نفس الوقت ابن للسيدة مريم العذراء، فالمسيح بشر فيه طبيعة إلهية، ومريم ليست أم آله ولكنها أم المسيح. وكانت مدرسة الإسكندرية بقيادة البطريك كيرلس الأول Cyril (430-463م) تعارض هذا الرأي وتقول بان الله خلق إنساناً ووضع فيه طبيعتين إلهية وبشرية، فاتحدت الطبيعتان معاً في شخصيته "وأصبح في المسيح اقنوماً واحداً وطبيعة واحدة بعد الاتحاد بدون اختلاف ولا امتزاج ولا استحالة".[19]

وفي سنة 428م أصبح نسطوريوس Nestorius بطريركاً لكنيسة القسطنطينية. وكان نسطوريوس سوري الموطن واحد إتباع مدرسة إنطاكيا اللاهوتية. فاستغل مركزه الديني الكبير للدعوة لأفكار وآراء مدرسة إنطاكية التي تقول بوجود طبيعتين في المسيح بشرية وإلهية منفصلتين عن بعضهما البعض. هذا في الوقت الذي أيد فيه الرهبان في مصر أسقف الإسكندرية كيرلس الأول، كما كان يؤيده رجال الدين في روما. وبالتالي أصبحت قضية طبيعة المسيح تلعب دوراً هاماً في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وفي علاقتها بكنيسة روما، وفي علاقتها بالولايات الشرقية التي ازداد فيها مذهب الطبيعة الواحدة قوة وانتشارا. وفي سنة 431م انعقد في مدينة افيسوس Ephesus المجمع المسكوني الثالث لبحث هذا الخلاف الكبير حول طبيعة المسيح. وحكم المجمع على نسطوريوس أسقف القسطنطينية بالزندقة والإلحاد لأنه أصر على إنسانية المسيح، واتهم بتقسيم شخصية المسيح إلى الكلمة المقدسة والمسيح الإنسان، فأحرز كيرلس بذلك نصراً كبيرا فقد انتصر على بطريرك عاصمة الإمبراطورية البيزنطية نفسها. ووصلت كنيسة الإسكندرية بذلك إلى درجة كبيرة وتطلعت إلى زعامة الكنيسة الشرقية. وبعد موت كيرلس سنة 444م سار خليفته ديوسقورس Dioscorus على خطاه، وحافظ على ما وصلت إليه كنيسة الإسكندرية من مكانه ودرجة عالية. وسانده اوتيخا Eutyches احد رجال الكنيسة في القسطنطينية الذي كان مقرباً للإمبراطور.[20]

---

[18] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 100-101.
أصدر ثيودوسيوس بعد ذلك سنة 438م مجموعته القانونية Codex Theodosianus التي تعتبر حدثا هاما في تاريخ التشريع الروماني قبل جستنيان. وبرهن ثيودوسيوس الثاني في مجموعته القانونية على ما حققته المسيحية من تأثير في ميدان التشريع وتغيير في الحياة الاجتماعية وغيرها للإمبراطورية. واشتملت هذه المجموعة على التشريعات القانونية التي صدرت منذ عهد قسطنطين الكبير إي منذ الاعتراف بالمسيحية حتى القوانين التي أصدرها ثيودوسيوس. وبالإضافة إلى أهمية هذه المجموعة كمصدر مهم لتشريعات جستنيان فيما بعد، فقد صدرت خلال فترة الغزوات الجرمانية لغرب أوروبا فأثرت بطريق مباشر أو غير مباشر على التشريعات الجرمانية، مثل قوانين القوط وغيرهم، وصبغتها بالصبغة المسيحية، انظر:
Ostrogorsky. History of the Byzantine State, p 56.

[19] ميشيل جرجس: الكنيسة المصرية، ، دار النهضة العربية (القاهرة، 1958م) ص71-72.

[20] Daoud. Alexandria and the Early Church, pp 57.

وهكذا اغفل رجال كنيسة الإسكندرية من إتباع كيرلس الطبيعة البشرية في المسيح، وأعلنوا انه على الرغم من وجود طبيعتين للمسيح إلا إن اللاهوت والناسوت اتحدا اتحاداً تاماً وكان هو المذهب المونوفيزتي Monophysitism الذي جعل للمسيح طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين "فاللاهوت والناسوت متحدان فيه اتحاداً تاماً في الجوهر وفي الاقنوم وفي الطبيعة، ليس هناك انفصال أو افتراق بين اللاهوت والناسوت في المسيح. وعارضت كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية مذهب الطبيعة الواحدة. وعندما زاد الخلاف حث ديوسقورس الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني على عقد مجمع في افيسوس سنة 449م. ورأس ديوسقورس هذا المجمع، وقرر صحة مذهب اوتيخا المونوفيزتي الذي أنكر فيه ناسوت المسيح (الطبيعة البشرية) إنكارا تاما "وان للمسيح طبيعة واحدة، وان ناسوت المسيح قد تلاشى تماماً في لاهوته، اختلط به وانعدم فيه، مثل نقطة الخل عندما تختلط بالمحيط". وسرعان ما انتشر الاضطراب في العالم المسيحي، فقد شن البابا ليو حرباً ضد هذا المجمع حتى اسقط من عداد المجامع المسكونية وعرف باسم مجمع اللصوص Latrocinium.[21]

وفي السنة التالية لمجمع افيسوس إي سنة 450م مات الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني دون إن يترك وريثاً، فخلفه على عرش الإمبراطورية مارقيان Marcian زوج أخته بولكيريا Pulcheria. وكان مارقيان قائداً عسكرياً قديراً حكم الإمبراطورية فيما بين سنتي 450-457م. وحاول هذا الإمبراطور - ربما تحت تأثير زوجته بولكيريا - إن يقضي على الخلاف الديني الذي هدد وحدة الإمبراطورية البيزنطية ومكانتها. لهذا دعا مارقيان سنة 451م إلى عقد مجمع مسكوني في خلقدونية لبحث شئون العقيدة. وانعقد المجمع وهو المجمع المسكوني الرابع، وحضره عدد كبير من ممثلي الكنائس المسيحية، بما في ذلك ممثلون من قبل البابا ليو الأول العظيم. وأدان مجمع خلقدونية قرارات مجمع اللصوص في افيسوس، وأدان أسقف الإسكندرية ديوسقورس، وحكم المجمع بعزله ونفيه، ووجه اللوم أيضا إلى يوطيخا. وأنكر المجمع ورفض المذهب المونوفيزتي إي مذهب الطبيعة الواحدة، وقرر إن خلاص البشر يأتي عن طريق منقذ هو في نفس الوقت إله له كل صفات الإلوهية، وإنسان له كل صفات الإنسان "طبيعتان بدون تغيير أو انقسام". وأجاز المجمع الصيغة التي نقحها البابا ليو وأوردها في رسالته العقيدية المسماة Tomos التي فند فيها آراء اوتيخا وديوسقورس والتي ورد فيها "هناك طبيعتان في المسيح يجب تمييز إحداهما عن الأخرى حتى بعد تجسده، وهما الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، وقد ظل الاختلاف بينهما باقياً بالرغم من وحدة الشخصية". وهذه الصيغة أصبحت قاعدة التعاليم الدينية للكنيسة الأرثوذكسية.

تفاقمت المشكلة الدينية في الإمبراطورية البيزنطية مع مرور الزمن، إذ ازداد مذهب الطبيعة الواحدة قوة في الأقاليم الشرقية، الأمر الذي أدى إلى اتساع شقة الخلاف بين القسطنطينية والولايات الشرقية التابعة لها. وقد حاول الإمبراطور زينون (474-491م) إن يوفق بين مسيحي الولايات الشرقية أتباع مذهب الطبيعة الواحدة وبين أتباع الطبيعتين. إي أتباع مجمع خلقدونية وان يجد حلاً وسطاً فنشر زينون في سنة 482م وبموافقة بطريرك القسطنطينية قراره المشهور المسمى الهينوتيكون Henoticon إي قرار الوحدة. واعترف هذا القرار بقرارات المجامع المسكونية الثلاث

[21] وهيب عطا الله جرجس: تعليم كنيسة الإسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح (القاهرة، 1961) ص15-16.

الأول (نيقيه 325م، القسطنطينية 381م، افيسوس 431م) - كما سنرى لاحقا - وتجنب قرار الوحدة إي إشارة تشين تعاليم الطبيعة الواحدة أو تعاليم الطبيعتين، وعدم ذكر كلمات الطبيعة الواحدة والطبيعتين. ورفض القرار رفضاً لبقا ما كان قد اقره المجمع الخلقدوني عن اتحاد الطبيعتين في المسيح. غير إن قرار الوحدة هذا لم يرضي إي من الطرفين، فلم يرضي أتباع مذهب الطبيعتين بالتنازلات التي منحت للمونوفيزتيين، ورأى أتباع المذهب المونوفيزتي عدم وضوح القرار واحتوائه على تنازلات غير كافية. لهذا لم يوحد قرار الوحدة الذي أصدره الإمبراطور زينون الصفوف بل زاد من شقة الخلاف والانقسام والتفرقة بين أتباع الطبيعة الواحة وأتباع الطبيعتين. وتدخل بابا روما في هذا النزاع الجديد، فأعلن رفضه لقرار الوحدة، وأصدر قرار الحرمان ضد بطريرك القسطنطينية اكاكيوس Acacius في مجمع ديني عقد في مدينة روما. ورد البطريرك على هذا بان امتنع عن ذكر اسم البابا أثناء تأدية الطقوس الدينية، وبدأت صفحة جديدة من النزاع مع البابوية دامت أكثر من ثلاثين عاما.[22]

واستفحلت المشكلة وزاد الخلاف الديني مع مضي السنين. فعندما توفي زينون سنة 491م وقع الاختيار على أنستاسيوس الأول Anstasius I لتولي عرش الإمبراطورية. ووجد الإمبراطور الجديد الخلاف على أشده بين أتباع المذهبين، وأعلن في بداية الأمر انه من أنصار المذهب الارثودكسي (مذهب الطبيعتين) إرضاء لبطريرك القسطنطينية، غير انه تحول بعد قليل إلى تأييد المذهب المونوفيزتي (مذهب الطبيعة الواحدة). وفرح الأقباط في مصر والسوريون بهذا التحول في موقف الإمبراطور، إلا إن سياسته في معاملة المونوفيزتيين أدت إلى تذمر الناس، وسخطهم، والى اندلاع الاضطرابات والفتن في القسطنطينية لدرجة إشعال الحرائق في المباني العامة وتحطيم تمثال الإمبراطور، والتظاهر ضده في ميدان السباق، وتعرضه للشتائم والقذف بالحجارة. وأدت سياسة أنستاسيوس الدينية إلى قيام القائد فيتاليان Vitalian بفتنة في تراقيا. وقاد فيتاليان جيشا مكونا من الهون والبلغار، ومن المحتمل من الصقالبة أيضا، وتقدم نحو القسطنطينية بمساعدة أسطول كبير. ولا شك إن غرضه كان سياسياً لعزل الإمبراطور، غير انه أعلن انه قام للدفاع عن الكنيسة الارثودكسية المغلوب على أمرها. ولم يستطع أنستاسيوس القضاء على هذه الفتنة إلا بعد صراع مرير، غير إن فيتاليان كشف للبرابرة مواطن ضعف الإمبراطورية وثراء القسطنطينية.[23]

وفي سنة 518م مات الإمبراطور أنستاسيوس دون وريث، وسادت الإمبراطورية البيزنطية فترة اضطراب انتهت بتولية جستين الأول Justin I عرش الإمبراطورية في نفس السنة. وكان جستين يشغل وظيفة الحرس الإمبراطوري. ولم يكد يتولى الإمبراطورية حتى حاول القضاء على الخلافات الدينية، فأعلن تأييده ومساندته لقرارات خلقدونية، واضطهد أتباع مذهب الطبيعة الواحدة اضطهاداً شديداً، وأعلن جستين استئناف العلاقات الودية مع كنيسة روما قاضياً بذلك على القطيعة التي كانت قائمة بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية منذ قرار الوحدة الذي أصدره زينون.[24]

---

[22] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 108-109.

[23] نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية - ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1957) ص101.

[24] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 130.

ورغم إن جستين كان مؤيداً لمذهب الطبيعتين مذهب مجمع خلقدونية، واخذ على عاتقه محاربة المذهب المونوفيزتي في داخل الإمبراطورية، إلا انه اتبع سياسة مساعدة المسيحية خارج الإمبراطورية ضد إي خطر مهما كان مذهبه. والدليل على ذلك إن هذا الإمبراطور ساند وساعد مملكة اكسوم Axum الحبشية في غزوها لليمن، رغم إن مملكة الحبشة كانت تتبع مذهب الطبيعة الواحدة. وقد غزا الأحباش بلاد اليمن اثر حملة الاضطهاد التي قادها أخر ملوك حمير (ذو نواس) ضد المسيحيين في بلاده. فبعد إن تسربت المسيحية إلى بلاد اليمن اشتدت المنافسة بين النصارى واليهود. ورأى ذو نواس في انتشار المسيحية في بلاده قوة للأحباش، فأوقع بالنصارى سنة 523م في مذبحة نجران الشهيرة، ثم جمع من نجا منهم وخيرهم بين القتل واعتناق اليهودية فاختاروه القتل، فخد لهم أخدود النار ذات الوقود ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة البروج: ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7). وكان لمساعدة جستين للأحباش اثر كبير على العلاقات بين مملكة الحبشة والإمبراطورية البيزنطية، وقام بينهما تحالف قوي دام زمناً طويلاً.[25]

أما بالنسبة للمذهب المونوفيزتي إي مذهب الطبيعة الواحدة فقد تأصلت جذوره بتوالي السنين في مصر والشام لدرجة إن أباطرة القرنين السادس والسابع الميلادي اتبعوا سياسة الاضطهاد أحياناً ومحاولة الوفاق أحياناً أخرى في محاولات فاشلة لجلب أتباع مذهب الطبيعة الواحدة إلى حظيرة كنيسة القسطنطينية إي كنيسة الإمبراطورية البيزنطية. غير إن النتائج السياسية لهذا الخلاف الكنسي أدى إلى اتساع الفرقة الثقافية داخل الإمبراطورية البيزنطية مما سهل فيما بعد للعرب الفاتحين من فتح الشام ومصر لما عرف عن المسلمين من تسامح في أمور العقيدة.[26]

3. المجامع الدينية المسيحية:

المجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية، رسم الرسل نظامها في حياتهم، إذ عقدوا المجمع الأول في بيت المقدس أو ما يسمى أورشليم Jerusalem سنة 105م برئاسة الأسقف "يعقوب الرسول" للنظر في ختان الأممي (غير اليهود) ثم نسجت الكنيسة على منوالهم.

والمجامع قسمان: مجامع مسكونية (إي عالمية مسكونية نسبة إلى الأرض المسكونة). ومجامع محلية أو مكانية، وقد عقدت المجامع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى، وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار وكان السبب الرئيسي لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغي فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشان مبتدعيها، وقد عقد من المجامع المسكونية عشرون مجمعاً ابتداء من مجمع نيقيه 325م حتى مجمع الفاتيكان سنة 1869م ولا يعترف الأرثوذكس إلا بقرارات المجامع السبع الأولى التي كان أخرها مجمع نيقيه الثاني سنة 787م ومن أهم المجامع مجمع نيقيه الأول، وفيهما تقررت العقائد الرئيسية للمسيحية التي تلتقي حولها جميع الفرق والمذاهب المسيحية (إلوهية المسيح وإلوهية روح القدس واستكمال عقيدة التثبيت بذلك).

---

[25] القرآن الكريم: سورة البروج، آيات 4-7.

[26] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 131.

وأما المجامع المكانية فكثيرة. وكانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة، أو رفض بعض العقائد، أو للنظر في بعض الشئون المحلية.[27] ولعل من الخير ونحن على ذكر بكثير من المجامع إن نلم إلمامه قصيرة شاملة بأهم المجامع المسيحية، مسكونية أو محلية (انظر إلى جدول رقم (1) بخصوص أسماء المجامع الدينية، وسنوات انعقاد تلك المجامع) وان نبين ما اتخذته من قرارات، وفيما يلي هذا الحديث عنها:

1- مجمع نيقيه: عقد مجمع نيقيه **Nicaea** سنة 325م، ويعد مؤتمر نيقيه أهم المجامع المسيحية، إذا اتخذت فيه اخطر القرارات، وكان عقده بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير.

وكانت أهم القضايا التي بحثها مجمع نيقيه المسكوني آراء أحد كهنة مدينة الإسكندرية ويدعى آريوس Arius السكندري حوالي (250-336م) الذي كان يقول بأن المسيح مخلوق بشر، وأنه أقل من الأب في الجوهر، وبالتالي فانه أقل منه مرتبة. وأضاف بأنه لابد أن يكون هناك وقت لم يكن فيه المسيح مخلوقاً، وكان فيه الله الخالق وحده. فأنكر آريوس إلوهية المسيح، وأنكر صفة الشبه بين الأب والابن، وأثار بذلك عاصفة من الاحتجاج والانقسام في العالم المسيحي، مما جعل الإمبراطور قسطنطين يهتم بأمر هذا الانشقاق ويوجه الدعوة إلى جميع الأساقفة في الإمبراطورية للاجتماع في مجمع مسكوني في نيقيه. ولبى الدعوة 318 أسقفاً من أساقفة العالم المسيحي منهم أساقفة روما والإسكندرية وقرطاجنة وإنطاكية ونيقوميديا وغيرهم. ودامت جلسات المجمع سبعة وتسعين يوماً برئاسة الإمبراطور قسطنطين.[28] ولعب الشماس السكندري أثناسيوس Athanasius الذي لم يكن يتجاوز - وقتذاك - التاسعة والعشرين من عمره دوراً مهماً في هذا المجمع. فقد شرح هذا الشماس السكندري الذي صار فيما بعد أسقفاً لكرسي الإسكندرية، لممثلي كنائس العالم معنى الإيمان، ثم فند آراء آريوس في براعة وإقناع. ورأى أثناسيوس أن آراء الأريوسيين مصيرها إلى الزوال والفناء لأنه : "كما إن الأب أزلي يجب إن يكون الابن أيضاً أزلياً، لان كل مانراه في الأب يجب إن يكون بلا جدال في الابن، الأب نور والابن شعاع ونور حقيقي، الأب آله حق والابن آله حق".[29]

وأخيرا رفض المجمع أراء آريوس وقرر إن الابن إي المسيح من نفس جوهر الأب Homoousios وبالتالي قرر قسي المسيح وانه آله حق من آله حق. وقرر المجمع حرمان آريوس ووضع قانوناً عاماً للإيمان المسيحي أوله (نؤمن بآله واحد) إي إن الثالوث واحد لا ينقسم، كما وضع قانوناً لأصل نظام الكنيسة وانتخاب رعاتها وتأديبهم. وقرر المجمع أيضا منع الزواج الثاني

---

[27] نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص102.

[28] Stanley, A. 1908. Lectures on the History of the Eastern Church. London, pp 52-60.
إن عدد الذين حضروا مجمع نيقيه أولاً من الإباء الروحانيين 2048 وان الخلاف اشتد بينهم حول القول بإلوهية المسيح ووصل الخلاف إلى المعارك، وتبنت الأغلبية الساحقة رأي آريوس، فأصدر الإمبراطور قراره بفض الاجتماع ثم أعيد عقد الاجتماع عقب ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وبإلوهية المسيح وعددهم 318 وحضر الإمبراطور نفسه، واتخذت فيه قرارات خطيرة وضعت الأساس للمسيحية التي لا تزال تتبعها الكنائس. انظر:
Nichols, R.H. 1941. The Growth of the Christian Church. Philadelphia, pp 55-56.
اسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في " مدينة الله " (القاهرة، 1972) ص83.
السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م، دار النهضة العربية (بيروت، 1982) ص94-95.
ميشيل جرجس: الكنيسة المصرية، ص70-71.

[29] حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص28-29.

لمن كان متزوجاً من رجال الدين المسيحي وماتت زوجته.[30] واختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات السابقة وقرر تدمير ما عداها من الرسائل والأناجيل.[31]

2- مجمع صور Tyre وتجديد رأي آريوس عن الوحدانية: مجمع صور الإقليمي الذي عقد بعد ذلك ببضع سنوات وقرر وحدانية الله وان المسيح رسوله، فكان بذلك تجديداً لرأي آريوس القائل بالوحدانية، وهذا المجمع لم يعترف به.

3- مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م وقد قرر هذا المجمع إن روح القدس إله.

4- مجمع افيسوس الأول Ephesus سنة 431م الذي تحدثنا عنه أنفاً والذي تقرر فيه إن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وان العذراء ولدت إلهاً وتدعى لذلك أم الإله، وكان ذلك رداً على حركة نسطور.

5- مجمع افيسوس الثاني سنة 449م وقد عقد بأمر الإمبراطور ثيودوسيوس وناقش فلابيوس الذي اتهم بإحياء أراء نسطور ثم حكم بعزله ولم تعترف كنيسة روما بهذا المجمع.

6- مجمع خلقدونية Chalecodon سنة 451م وقد أيد المجمع قرار مجمع افيسوس الأول ورفض قرار افيسوس الثاني، ولعن نسطور وديوسقورس وإتباعهما، وكان هذا المجمع قد عقد أولاً في القسطنطينية ثم انتقل إلى خلقدونية، وقد حضره أساقفة روما، كما حضره البابا ديوسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته. وقد اشتد الخلاف بين الفريقين في اليوم الأول حتى إذا كان اليوم الثاني منع البابا ديوسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة، واتخذ المجتمعون قراراً يقول بالطبيعتين، ورفض ديوسقورس طلب الإمبراطور الموافقة على هذا القرار، فنفاه الإمبراطور بعيدا عن مصر حيث مات في منفاه، وقد ظل أقباط مصر حتى ألان يرفضون قرارات هذا المجمع ويدينون بالولاء لبطريرك الإسكندرية.[32]

ويهمنا هنا القول بان مجمع خلقدونية رفع مرة أخرى من شان كنيسة القسطنطينية، وجعلها في درجة أعلى من كنيسة الإسكندرية. ومنح أعضاء مجمع خلقدونية أساقفة الكنائس الخمس لقب بطريرك وهي بالترتيب الخلقدوني: روما، القسطنطينية، الإسكندرية، إنطاكية، بيت المقدس. وكانت النتيجة المباشرة لقرارات مجمع خلقدونية هي ازدياد شقة الخلاف بين القسطنطينية وبين الولايات الشرقية التابعة لها. وكان لذلك نتائج سياسية خطيرة لم يتوقعها المشتركون في المجمع، فمعظم سكان مصر والشام، وهم من عناصر غير يونانية، كانوا من إتباع مذهب الطبيعة الواحدة إي المذهب المونوفيزتي، وتمسكوا بمذهبهم حتى بعد مجمع خلقدونية، ولم يميلوا حتى إلى الوفاق لدرجة إن الكنيسة القبطية المصرية منعت اللغة اليونانية عند إجراء الطقوس الكنسية، واستخدمت اللغة القبطية في قداستها، وسميت الكنيسة القبطية باسم الأرثوذكسية. وهكذا كان الخلاف بين مذهب الطبيعيتين الذي تؤمن به القسطنطينية ومذهب الطبيعة الواحدة التي تؤمن به الولايات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، النقطة التي ترتكز حولها الخلافات الكنسية والتي انطلقت منها معارضة

[30] أثناسيوس الرسولي: رسائل أثناسيوس عن الروح القدس - تعريب القس مرقس داود (بدون مكان، بدون تاريخ) ص86-88.
[31] زكي شنودة: موسوعة تاريخ الاقباط (القاهرة، بدون تاريخ) ج1، ص177.
[32] العريني: الدولة البيزنطية، ص95.

الأقباط والسوريين للحكم البيزنطي ورغبتهم في الخلاص منه أولاً ثم الترحيب بالفرس ثم بالعرب المسلمين فيما بعد.[33]

7- مجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م وقد أيد قرارات مجمع نيقيه ومجمع القسطنطينية الأول ومجمع خلقدونية ولعن وطرد أصحاب الفكرة التي شاعت حينئذ عن تناسخ الأرواح وان شخص المسيح لم يكن حقيقة بل خيالاً.

8- مجمع القسطنطينية الثالث سنة 680م وقد قرر هذا المجمع إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، وكان ذلك رداً على المذهب الماروني الذي كان يقول بطبيعتين ومشيئة واحدة.

9- مجمع روما سنة 869م وفي هذا المجمع تقرر:

أ- اعتبار الروح القدس منبثق من الأب والابن.
ب- من يريد المحاكمة في أمر يتعلق بالمسيحية يرفع دعوى إلى كنيسة روما.
ج- المسيحيون في جميع بلاد العالم يخضعون لقرارات كنيسة روما.

10- مجمع القسطنطينية الذي عقد سنة 879م برئاسة فوسيوس بطريرك كنيسة القسطنطينية وفيه تقرر إن انبثاق الروح القدس من الأب فقط، وبهذا المجمع وسابقه تم انقسام الكنيسة إلى غربية وشرقية وأصبحت المجامع خاصة بإحداهما وتبطل قرارات الأخرى ولا تعترف بها.

11- مجمع روما الذي عقد سنة 1225م وفيه تقرر إن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء.

12- مجمع روما سنة 1869م وفيه تقرر إن البابا معصوم.

وهناك نقد سياسي يوجهه النقاد إلى قرارات المجمع التاسع (مجمع روما سنة 869م) إذ تقرر في هذا المجمع إن جميع المسيحيين في جميع بلدان العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما، ومثل هذا القرار يعتبر خطراً للغاية، انه تدخل سافر في شئون الأمم واستقلال الدول، فمعناه إن المسيحيين أيا كانت بلادهم يتبعون حكوماتهم بأجسامهم ويتبعون كنيسة روما بأرواحهم، وقد كان البابا يخضع الملوك والحكومات إليه باسم هذا القرار، فتمردت بعض الحكومات على هذا الوضع وأعلنت أنها لا دينية، فاتجه البابا بقراره إلى الرعايا بعد إن عجز عن إخضاع الحكومات، وفي العصر الحديث نجد البابا يساوم بهذه السلطة التي بيده، فقد حدث إن قابل البابا رئيس جمهورية اندونيسيا السابق وطلب من هذا الرئيس السماح لعدد اكبر من المبشرين بدخول بلاده، ووعده نظير ذلك إن يضمن له ولاء المسيحيين بهذه البلاد، وقد أثار هذا التصريح ثائرة المواطنين عندما أدركوا إن ولاء المسيحيين من مواطنيهم إنما هو في يد رئيس كنيسة روما.[34]

---

[33] عن مجمع خلقدونية أنظر:
Daoud. Alexandria and the Early Church, pp 61-63.

[34] سعيد عبدالفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (النهضات والحضارة والنظم) مكتبة الانجلو (القاهرة، 1986) ج2، ص227.

ويعد من اصدق القول ما كتبه الأستاذ زكي شنودة في تعليقه على"المجامع" ونحن نقتبسه فيما يلي: «كانت هذه المجامع في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحي، ثم لم تلبث إن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الإمبراطور، لتنفيذ إغراضه، مستغلا في ذلك مطامع بعض الأساقفة وطموحهم إلى النفوذ والسلطان، وهكذا أصبحت المجامع أداة هدم بعد إن كانت أداة بناء، فقد فتحت الباب على مصراعيه للخصوم والشقاق بين المسيحيين في البلاد المختلفة».[35]

وتمثل المجامع الكنسية ركناً مهماً من أركان التنظيم الكنسي في العصور الوسطى. والواقع إن انتشار المسيحية، وما صحبه من اتساع نفوذ الكنيسة استلزم عقد كثير من المجامع الدينية منذ القرن الرابع لحل المسائل المعقدة التي صحبت انتشار المسيحية من جهة ولتنظيم شئون الكنيسة وتدعيم نفوذها من جهة أخرى.[36] وهنا نشير إن الكنيسة لم تكن أول من ابتكر فكرة عقد المجامع أو صاحبة الفضل في ظهورها، بل فكرتها ظهرت من أصحاب الديانة الوثنية واليهودية.[37]

وإذا كانت معظم المراجع التاريخية قد ركزت اهتمامها في المجامع العالمية المسكونية السبعة الأولى إلا وهي مجمع نيقيه سنة 325م. ومجمع القسطنطينية سنة 381م. ومجمع افيسوس سنة 431م. ومجمع خلقدونية سنة 451م. ومجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م. ومجمع القسطنطينية الثالث سنة 680م. ومجمع نيقيه الثاني سنة 787م. فانه من الثابت إن إحداث العصور الوسطى شهدت - عدا المجامع السابقة - عدداً من المجامع الدينية التي لها الأثر العظيم في التاريخ الأوروبي بوجه عام والتاريخ الكنسي بوجه خاص.[38]

ومن هذه المجامع ما اتخذ طابعاً عاماً عالمياً فحضرها الأساقفة من جميع إنحاء العالم المسيحي ليتدارسوا سوياً المشاكل التي واجهتهم في مناطق نفوذهم أو ليبحثوا أوجه الخلاف فيما بينهم ويزيلوا ما قد يكون هناك من سوء الفهم عن طريق الحجة والإقناع. وخير مثل لهذا النوع من المجامع مجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م الذي أجتمع بسبب الخلاف حول تفسير بمعنى المسائل اللاهوتية ومجمع القسطنطينية الثالث سنة 680م الذي أدان مذهب الطبيعة الواحدة، ومجمع نيقيه الثاني 787م الذي أدان اللا ايقونيين، ثم مجمع القسطنطينية الرابع سنة 869م الذي قرر إدانة البطريرك فتيوس وعزله. ومنذ ذلك الوقت أصبحت المجامع الدينية التي تعقد في الغرب لا تختص إلا بشئون الكنيسة الغربية، وان كان اسم مسكوني أو عالمي قد أطلق أيضا على مجامع اللتران البابوية Lateran Councils وهي التي عقدت بالكاتدرائية والبابوية في روما سنوات 1123م، 1139م، 1179م، 1351م، 1512م. وهكذا أحصيت المجامع المسكونية في تاريخ المسيحية بعشرين مجمعا.[39] والملاحظ في هذه المجامع السابقة أنها كانت تجمع بين أعضاء الكنيسة في الشرق والغرب، حتى كان الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية، وهو الانشقاق الذي بدأت حوادثه في القرن التاسع والذي انتهت ذيوله في القرن الحادي عشر (1054م) بالانفصال التام بين

---

[35] زكي شنودة: موسوعة تاريخ الاقباط، ج1، ص176.
[36] Painter, S. 1964. A History of the Middle Ages 284-1500AD. London, pp 16-17.
[37] Eyre, E. 2002. European Civilization. University College London, London, p 208.
[38] Painter. A History of the Middle Ages. p 17.
[39] Smith, A. H. 1950. Thou Art Peter: A History of Roman Catholic Doctrine and Practice. London: Watts & Co. pp 551-553.

الكنيستين. ولم تعترف الكنيسة الشرقية سوى بالمجامع السبعة الأولى فقط على أنها مسكونية. (انظر إلى جدول رقم (1) بخصوص عدد المجامع الدينية العالمية).

اسم المجمع الديني	تاريخ انعقاده	اسم المجمع الديني	تاريخ انعقاده
مجمع نيقيه الأول.	325م	مجمع اللتران الرابع.	1215م
مجمع القسطنطينية الأول.	381م	مجمع ليون الأول.	1245م
مجمع افيسوس.	431م	مجمع ليون الثاني.	1274م
مجمع خلقدونية.	451م	مجمع فينا.	1311م
مجمع القسطنطينية الثاني.	553م	مجمع كونستانس.	1414 -1418م
مجمع القسطنطينية الثالث.	680م	مجمع بازل (متمم لسابقه).	1431م
مجمع نيقيه الثاني.	787م	مجمع فرارا- فلورنسا.	1438 -1442م
مجمع القسطنطينية الرابع.	869م	مجمع اللتران الخامس.	1513 -1517م
مجمع اللتران الأول.	1123م	مجمع ترنت.	1545 -1563م
مجمع اللتران الثاني.	1139م	مجمع الفاتيكان.	1869م
مجمع اللتران الثالث.	1179م		

جدول رقم (1) المجامع الدينية

بالإضافة إلى هذه المجامع العالمية أو المسكونية، وجد نوع أخر من المجامع الدينية المحلية ذات الأثر المحدود. ذلك إن الأساقفة في بلد من بلدان غرب أوروبا اعتادوا أحياناً إن ينظموا اجتماعاً دينياً يجمع شملهم للنظر فيما يعنيهم من مسائل أو يعترضهم من مشاكل، مثلما حدث سنة 597م من اجتماع اثنين وستين أسقفا وخمسة من رؤساء الأساقفة من اسبانيا وجنوب فرنسا في طليطلة. ويقسم التنظيم الكنسي هذا النوع من المجامع إلى ما يعرف باسم المجامع الإقليمية للمنظمة. فيقوم رئيس الأساقفة في ذلك الإقليم بدعوة الأساقفة التابعين له وغيرهم من كبار الدين للمشاركة في اجتماع ديني خاص إقليمي الطابع. ومن الواضح إن هذا النوع من المجامع الإقليمية كان له أثره في تركيز السلطة الكنسية وتوحيد نظم الكنيسة ومقاومة النزعة الانفصالية في بعض البلدان الأوروبية.[40]

وأخيراً يأتي نوع اصغر من المجامع الدينية، هي المجامع الأسقفية التي (تقضي) في دعوة الأسقف الواحد لقساوسة الكنائس التابعين له في أسقفيته لبعض ما يهمهم من مسائل. وهكذا بلغت المجامع الدينية درجة من الكثرة والتنوع في أوروبا العصور الوسطى. جعلت لها أثراً خطيراً في الحياة الدينية. وهنا ينبغي إن نستبعد من تفكيرنا الآراء الدستورية الحديثة الخاصة بالغرض من عقد المجامع والمجالس. فلا يمتد بنا التفكير إلى أن المجامع الدينية التي عرفتها أوروبا العصور الوسطى تستهدف بأي حال تحديد نفوذ البابوية أو تقييد نفوذ كبار رجال الكنيسة.[41] فالحكومة الكنسية في غرب أوروبا أصبحت عند نهاية القرن الثاني عشر الميلادي أشبه بالملكية المطلقة، ومن ثم لم يكن هناك إي مطمع للمجامع الكنسية - سواء كانت مسكونية أو إقليمية أو أسقفية - في

[40] Chabot, J. B. 1899. The Chronique de Michel le Syrien Patriarch Jacobite d'Antioche (1166-1199). Vol. IV. Paris: n.p. pp 111-112.
[41] Eyre. European Civilization, p 209-210.

تحديد سلطات البابا أو غيره من كبار رجال الدين. أما الأهداف الأساسية للمجامع المسكونية فكانت مقاومة درب من دروب الهرطقة التي أخذت تهدد الكنيسة بين حين وأخر، أو الرغبة في القيام بحركة شاملة لنصرة المسيحية مثل الحروب الصليبية. أو الشعور بضرورة القيام بحركة جامعة لإصلاح الكنيسة وتدعيمها. ومن الواضح أن هذه الأهداف التي كانت تنتهي - بطريق مباشر أو غير مباشر- إلى تقوية نفوذ البابوية وتدعيم سلطاتها.[42] وهكذا غدت البابوية على عهد انوسنت الثالث تسيطر على الكنيسة سيطرة تامة فضلاً عن تحكمها في المجامع الدينية الكبرى تحكماً بعيد الأثر. حقيقة انه ظهر فيما بعد محاولة لجعل المجامع الدينية تسمو في إرادتها ونفوذها على البابوية. ولكن هذه المحاولة لم تظهر إلا في القرن الخامس عشر، إي قرب انقسام العصور الوسطى.[43]

ومن الطبيعي أن هذه الإحكام التي أصدرناها على المجامع العامة سنرى يمكن تطبيقها بهذه الروح ذاتها على المجامع الإقليمية والأسقفية. فالمجمع الإقليمي الذي يجمع بين أساقفة الإقليم الواحد، والمجمع الأسقفي الذي يجمع بين قساوسة الأسقفية الواحدة لم يستهدفها مطلقاً الحد من نفوذ رئيس الأساقفة في إقليمه أو نفوذ الأسقف في أسقفيته. ولكن إذا كان الغرض الأساسي من هذه المجامع هو التعاون وبحث المسائل التي تهم رجال الدين في الإقليم أو الأسقفية، فانه توجد بعض حالات فردية قام فيها رجال الدين المجتمعون في بعض هذه المجامع باستنكار سلوك أسقف أو رئيس أساقفة، يطلبوا بعزله على أساس تصرفاته غير المقبولة.

أما عن القواعد المتبعة في دعوة هذه المجامع للانعقاد ثم كيفية تنظيمها برئاستها. فتتفق كلها على مبادئ تركيز السلطة في الكنيسة. وقد ظل الكاثوليك أمداً طويلاً يعتقدون في أن البابوية هي التي دعت جميع المجامع المسكونية، أو على الأقل لم تعقد هذه المجامع إلا بموافقة البابا وتأييده. وبعضهم عادوا فاعترفوا في القرن الماضي فقط بان الإمبراطور هو الذي دعا المجامع المسكونية الثمانية الأولى وان موافقة البابا سلفاً لم تشترط في عقد هذه المجامع، وان كانت موافقته على قرارات كل مجمع شرطاً ضرورياً لإلزام الكنيسة الغربية بإتباعها.[44] ولم يلبث القانون الكنسي الذي تم نضجه وجمعه في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلادي. أن نص على انه ليس لأحد حق دعوة المجمع الديني إلا الرئيس الديني الأعلى للمنطقة التي يمثلها المجمع، فإذا كان المجمع عاماً فالبابا وحده هو الذي يمتلك حق دعوته ورئاسته،[45] أما شخصياً وعن طريق إنابة من يمثله في الرئاسة.[46] أما إذا كان المجمع إقليمياً فان الأسقف هو الذي يدعو إليه ويقوم برئاسته على انه يلاحظ دائماً أن هذه النظم لم تصل إلى درجة من التحديد والتنظيم إلا عند نهاية القرن الثاني عشر الميلادي. في حين كانت الأوضاع الخاصة بدعوة المجامع الدينية في الشطر الأول من العصور الوسطى أكثر بساطة واقل تعقيد حتى قام الأباطرة بدعوة المجامع الدينية في كثير من الأحيان واكتفت البابوية بإرسال مندوبين عنها في هذه المجامع مما أثار في بعض الأحيان خلافات بين الأباطرة ومندوبي البابوية حول رئاسة المجمع الديني.[47]

---

[42] سعيد عبدالفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، ج2، ص228.

[43] Eyre. European Civilization, p 210.

[44] Smith. Thou Art Peter. pp 551-552.

[45] سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى، ج2، ص229.

[46] Smith. Thon Art Pete. pp 551-554.

[47] Chabot. The Chronique de Michel le Syrien Patriarch Jacobite. Vol. IV. p 114.

الخـــــاتمة

وباختصار، فإن دراستنا لهذا لموضوع (**اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية**) توصلت الدراسة إلى إيضاح، إن انتصار المسيحية تحقق في عصر الإمبراطور قسطنطين، ولم يكن في ذلك اعتراف بحقها في الوجود فقط، بل في وضعها تحت حماية الإمبراطورية، وهذا في حد ذاته ذو مغزى واضح في تاريخ المسيحية الأولى. فالمسيحية ظهرت قبل الإمبراطور قسطنطين بحوالي ثلاثة قرون ولم يكن حتى عصر الإمبراطور قسطنطين قد اعتنقها إلا أقلية صغيرة في عالم البحر المتوسط، لهذا كان انتصار المسيحية بالذات على ديانات شرقية أخرى يرجع بالدرجة الأولى إلى التحمس وتفضيل الإمبراطورية البيزنطية لها.

ونستنتج من هذه الدراسة، إن اعتراف قسطنطين بالمسيحية لم يكن يعني منحها حق وجود شرعي مماثل للوجود الوثني فحسب، بل كان يعني تثبيت دعائمها وتمهيد الأرض لازدهارها. ومثلها مثل الديانة الزرادتشتية عندما وقف حكام فارس الساسانيين إلى جانبها واتخذوها ديانة للإمبراطورية وأدى إلى انتشارها. وبالتالي أمر الإمبراطور قسطنطين بتشييد عدد كبير من الكنائس في داخل الإمبراطورية البيزنطية وخارجها.

ونستنتج أيضا، أن الخطر الذي هدد الإمبراطورية البيزنطية في مطلع حياتها هو الخلافات الدينية المذهبية. ويلاحظ إن هذه الخلافات نجحت إلى حد ما في إلحاق ضرر كبير في الشرق البيزنطي، في الوقت الذي لم تكن هذه الخلافات المذهبية موجودة في الغرب اللاتيني. ومن المعروف إن اعتراف الإمبراطور قسطنطين الكبير بالمسيحية ساعد على انتشارها إلى حد كبير. ومما زاد من الخلافات الدينية المذهبية إن المجتمع البيزنطي نشأ مجتمعاً دينياً، وكان اللاهوت هو الموضوع المفضل للمناقشة حتى بين عامة سكان القسطنطينية. وتفاقمت المشكلة الدينية في الإمبراطورية البيزنطية مع مرور الزمن، إذ ازداد مذهب الطبيعة الواحدة قوة في الأقاليم الشرقية، الأمر الذي أدى إلى اتساع شقة الخلاف بين القسطنطينية والولايات الشرقية التابعة لها.

واتضح لنا، إن المجامع الدينية العالمية تمثل ركناً هاماً من أركان التنظيم الكنسي في العصور الوسطي. والواقع إن انتشار المسيحية، ومصاحبه من اتساع نفوذ الكنيسة استلزم عقد كثير من المجامع الدينية منذ القرن الرابع الميلادي لحل المسائل المعقدة التي صحبت انتشار المسيحية من جهة ولتنظيم شئون الكنيسة وتدعيم بسلطانها من جهة أخري.

وأخيراً من الواضح للباحث إن هذه المجامع الدينية اتخذت سلطة قوية وقررت قرارات تعتبر أصولاً في الدين المسيحي، أنها صنعت الإلهة وتحدثت عن طبيعتها، ومنحت الكنيسة سلطة محو السيئات، وقررت عصمة البابا، وتلك كما ترى أشياء ضخمة لا يتصور الإنسان أنها من خصائص البشر. ولقد أخذت المجامع سلطة لم تعرفها أكثر الأديان أو كلها، ففي الإسلام مثلا للعلماء إن اجتهدوا ولكن في الفروع، إما عدد الصلوات وعدد الركعات وفرائض الحج وأمثالها لا تخضع للاجتهاد، وليس للمسلمين إن شرعوا فالمشرع هو الله العلي العظيم. والمسلمون بعيدون جداً عن صنع الإلهة، والله وحده - عند المسلمين - هو غافر الذنوب وقابل الثواب شديد العقاب ذو الطول، والعصمة لله وحده، وليس للأنبياء مع عظيم مكانتهم عصمة إلا في التبليغ وفقاً لرأي اغلب العلماء.

المصـــــادر والمراجـــــــع

- **القرآن الكريم.**
- أثناسيوس الرسولي: رسائل أثناسيوس عن الروح القدس - تعريب القس مرقس داود (بدون مكان، بدون تاريخ).
- اسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في "مدينة الله" (القاهرة، 1972م).
- اسحق عبيد: قصة عثور القديسة هيلانه على خشبة الصليب أسطورة ام واقع؟ المجلة التاريخية المصرية - مجلد17 - 1970م.
- حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية (القاهرة، 2000م).
- زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط، ج1 (القاهرة، بدون تاريخ).
- سعيد عبدالفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (النهضات والحضارة والنظم) ج2، مكتبة الانجلو، (القاهرة، 1986م).
- سيد احمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية (القاهرة، 1975م).
- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م، دار النهضة العربية (بيروت، 1982م).
- محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية (بيروت، 1981م).
- ميشيل جرجس: الكنيسة المصرية، دار النهضة العربية (القاهرة، 1958م).
- نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية - ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1957م).
- وهيب عطا الله جرجس: تعليم كنيسة الإسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح (القاهرة، 1961م).

- Ashour, S. & Rabie, H. 1971. *Fifty Documents in Medieval History*. Cairo.

- Chabot, J.-B. 1899. *The Chronique de Michel le Syrien Patriarch Jacobite d'Antioche (1166-1199)*. Vol. IV. Paris: n.p.

- Daoud, D. A. 1964. *Alexandria and the Early Church Councils*. Cahirsd' Alexandrie. Serie II.

- Davis, R.H.C. 1968. *History of Medieval Europe from Constantine to Saint Louis*. London.

- Eusebius. 1926. *The Ecclesiastical History*. London. Introduction.

- Eusebius. 1965. *The history of the Church from Christ to Constantine*. Trans-by Williamson, G.A. Middlesex.

- Eyre, E. 2002. *European Civilization*. University College London, London.

- Hussey, J.M. 1967. *The Byzantine World*. 3rd edition. London.

- Nichols, R. H. 1941. *The Growth of the Christian Church*. Philadelphia.

- Oman, C.W. 1914. *The Byzantine Empire*. London.

- Ostrogorsky. 1956. *History of the Byzantine State*. Trans- by Jon Hussey. Oxford.

- Painter, S. 1964. *A History of the Middle Ages 284-1500AD*. London.

- Smith, A. H. 1950. *Thou Art Peter: A History of Roman Catholic Doctrine and Practice*. London: Watts & Co.

- Stanley, A. 1908. *Lectures on the History of the Eastern Church*. London.

- Vasiliev, A. 1961. *A History of the Byzantine Empire 324-1453AD*. 2 Voles. 3rd edition. Vol. 1. Madison and Milwauk.

- Vryonis, S. 1967. *Byzantium and Europe*. London.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

ظاهرة السلوك العدواني لدى المراهقين الليبيين بعد ثورة 17 فبراير (دراسة تحليلية)

د. مرفت خميس عبد القادر التارقى

(عضو هيئة تدريس بقسم التربية وعلم النفس كلية الآداب - جامعة بنغازي)

الملخص

يعتبر السلوك العدواني من الظواهر الاجتماعية التى لازمت المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور وعانت منه الإنسانية على مر الزمان، وهو أحد القضايا الهامة فى المجال التربوى، وسيظل أحد الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة وتكمن خطورة السلوك العدواني فيما يتركه من آثار سلبية على كلٍ من الفرد و المجتمع حيث يمثل مشكلة خطيرة بالنسبة للمجتمع، وذلك من جراء فقده لهذه العناصر البشرية والتى كان يمكنها أن تساهم فى بنائه وتنميته، كما أنها تمثل بالنسبة للفرد نفسه مشكلة خطيرة من حيث اضطرا ب علاقته بغيره من الناس وفقده لإمكانية إقامة علاقات جديدة سليمة مع الغير.

ويرى كثير من الباحثين أن السلوك العدواني شأنه شأن اى سلوك إنسانى متعدد الأبعاد متباين الأسباب، بعضها ذاتي يرجع إلى تكوين الفرد الجسمي والنفسي، وبعضها اجتماعي يرجعُ إلى ظروفٍ نشأته وتربيته فى البيت والمدرسة وفى هذا البحث تم تناول السلوك العدوانى من ناحية أخرى مختلفة وهى: الظروف المجتمعية وكيف تؤثر على سلوك الفرد وتكون تربة خصبة لنمو مثل هذا النوع من السلوك وخصوصا عند المراهق وجاءت اهداف البحث كما يلي:

- مناقشة ظاهرة العنف فى المجتمع الليبي في ظل الأحداث الراهنة.
- مناقشة دور مؤسسات المجتمع الليبي فى الحد من ظاهرة العنف.
- تقديم توصيات مستقبلية للتخفيف من حدة ظاهرة العنف فى المجتمع الليبى.

وتناولت الباحثة فى الجانب النظري للبحث الخلفية النظرية والأدبيات والدراسات التى تناولت موضوع السلوك العدواني من حيث تعريفه وأشكاله و أهم النظريات التى حاولت تفسيره والاستفادة منها، فى محاولة معرفة أسباب ظاهرة السلوك العدواني فى المجتمع الليبي، وتفسيرها فى ضوء الظروف الراهنة التى يعيشها المراهق الليبي.

وقد تم مناقشة وتحليل أسباب هذه الظاهرة فى ضوء التغيرات المجتمعية التى تحدث فى المجتمع الليبى، وفى ظل الظروف الراهنة دون أن نغفل الجوانب الأخرى المرتبطة بالسلوك العدواني، وتأمل الباحثة فى دراسات لاحقة أن يتم تناول هذه الظاهرة بصورة ميدانية حتى نتمكن من الوقوف على أسباب هذه الظاهرة ومناقشتها بصورة أكثر عمقا وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن ظاهرة السلوك العدواني بين المراهقين فى المجتمع الليبى لم تكن وليدة فترة قريبة بل إن هناك مجموعة من الأسباب فى المجتمع ساعدت على ظهورها بشكل ملحوظ وبالتالي تم وضع مجموعة من التوصيات يمكن من خلالها التخفيف من حدة هذه الظاهرة بما يتناسب وظروف المجتمع الليبي .

ظاهرة السلوك العدواني لدى المراهقين الليبيين بعد ثورة 17 فبراير

مقدمـــــــة

مما لا شك فيه أن ظاهرة السلوك العدوانى أصبحت حقيقة واقعية موجودة في معظم المجتمعات، فالنظر في أسبابها وأصولها مسألة في غاية الأهمية، ولأن صحة وقوة المجتمعات تقاس بمدى قوة و صحة أفرادها في شتى المجالات، وهذا لا يتأتى إلا بتربية سديدة وتوجيه راشد لسلوك وعلاقات أفراده، إلا أنه في خضم هذا الجو المفعم بالانفعالات والصراع والتوتر يعانى الشباب الليبي الكثير من المشكلات الاجتماعية والنفسية، من أبرزها "السلوك العدواني" خاصة بعد ثورات الربيع العربي التي اجتاحت معظم مجتمعاتنا العربية وأصبحت ظاهرة واسعة الانتشار وبصورة خاصة في المجتمع الليبي مما يبعث الخوف والقلق والإحباط بين أفراده ويجعل الجو مهيئا لمزيد من العدوان على اختلاف أشكاله وخاصة بين فئة المراهقين. ففى هذه المرحلة تكون مظاهر السلوك العدوانى متمثلة فى العنف اللفظى والجسدى، مما يكون له تأثير كبير فى تكوين وبناء شخصيته، الأمر الذى يحتاج الى تضافر الجهود سواءً على صعيد المؤسسات الحكومية أو مؤسسات المجتمع المدني لكونها ظاهرة اجتماعية بالدرجة الاولى و تؤثر انعكاساتها السلبية على المجتمع بأسره ولابد في هذا الجانب من التعامل بحذر ودراسة دقيقة واعية لكافة الظروف البيئية المحيطة باعتبارها ظاهرة متشعبة تتغذى من مصادر مختلفة.

والسلوك العدوانى ليس ظاهرة جديدة وليدة اليوم أو الأمس وإنما هى ظاهرة قديمة وجدت منذ بدء الخلق وتعتبر قصة قابيل وهابيل خير مثال على هذه الظاهرة فهى أول ظاهرة عنف على مر التاريخ الإنسانى، ولم يسجل التاريخ فترة زمنية اختفت فيها ظاهرة السلوك العدوانى فى حياة الانسان، فالسلوك العدواني ينبع أساسا من المجتمع. وما يحدث فيه من تغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية،و شتى جوانب الحياة وهى عوامل متداخلة ومتشابكة يؤدي توافرها إلى بروز العنف فى المجتمع كظاهرة ومتى تمت الاستطاعة الوقوف على هذه العوامل والمحددات استطعنا فهم وتفسير ظاهرة السلوك العدواني داخل المجتمع، ومهما اختلفت أسباب هذه الظاهرة ودوافعها فإنها تشكل خطرا على المجتمع وإعاقة لتقدمه، بل هو خطر على الوجود الإنسانى لما تمثله من تهديد خطير للشعور بالامن والاستقرار فقد توصلت العديد من الدراسات منها دراسة (Chemtob,*1997*) ودراسة جاسم (2013) إلى أن الاحداث المتمثلة فى الحروب وما بعدها تحدث تهديدا داخليا للأفراد وصعوبة فى التعايش والتكيف، وأن تعاملهم مع أحداث الحياة غالبا ما يكون عدائيا، لذلك أصبح البحث عن وسائل وسبل للحد من خطورة السلوك العدوانى وخصوصا لدى المراهقين هدفا تسعى اليه المجتمعات رغبة فى تحقيق الأمن والاستقرار، وهذا ما دعا الباحثين والمهتمين الى توجيه اهتمامهم لدراسة هذا السلوك المنحرف والتصدى له بكل الوسائل والبحث عن العوامل التى ترتبط به وتهيئ البيئة الملائمة لتفشى هذه الظاهرة داخل المجتمع.

وبالنظر الى هذه الظاهرة بدراسة و تعمق نجد أنها ظاهرة شبابية بامتياز تتطور حسب المستجدات التى تطرأ على المجتمع والمتمثلة فى العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فمثل هذه العوامل من شانها ان تعمل على خلق حالة من الإحباط وعدم الثقة بالنفس والغيرة عند الشباب وذلك بحكم تكوينهم الفسيولوجى والنفسى المتطلع للمثالية والرافض للواقع والساعى دائما للتغيير، وبحكم ما تتميز به مرحلة الشباب من تغيرات فى النمو الجسمى والعقلى والنفسى فضلا عن انها اخطر مراحل العمر، واهمها فهى مرحلة البناء والإنتاج والعطاء الاجتماعى، وهى مرحلة القوة

والنشاط والحماس والحيوية التى غالبا ما تبرز وتظهر بوضوح فى سلوكيات الشباب بالاحتجاج على الأوضاع السائدة فى المجتمع، وما يعانيه الشباب من أزمات ومشاكل داخل المجتمع فإذا أردنا ان نعالج هذه الظاهرة ينبغى أن نبدأ من المجتمع الشبابى. (القوس، 2008)

والمتتبع لهذه الظاهرة يلاحظ زيادة واضحة فى حجمها عموما، فالمشكلة ليست فى ظاهرة السلوك العدواني فى حد ذاتها، فهى موجودة كما ذكرنا سابقا منذ القدم، إنما المشكلة فى زيادة اتساع مساحة هذه الظاهرة فى المجتمعات العربية بصورة عامة والمجتمع الليبيى بصورة خاصة حيث انتشرت بصورة ملحوظة داخل المؤسسات والوحدات الاجتماعية فى الدولة، بل وحتى داخل الاسرة والمدرسة والعمل والتجمعات السكانية ووسائل المواصلات وغيرها، وأصبح المجتمع الليبيى يعاني من هذه الظاهرة بصورة واضحة بعد ثورة 17 فبراير، وقد يكون هذا راجعا إلى تردى الوضع الأمنى وما يرافقه من مواجهات عنيفة بجميع أنواع الاسلحة وانفجارات تكاد تكون مستمرة، وقصف للبيوت والمنازل والمدارس والاماكن العامة والخاصة، وإطلاق الرصاص والقذائف على التجمعات السكانية دون تمييز، فضلا عن الاعتقالات وحالات الاستشهاد والاعاقة ورؤية المشاهد المرعبة فى أعلى مستوياتها، كل هذه الأمور تخلق ظروفا ضاغطة على الفرد داخل المجتمع تؤثر على جميع جوانب حياته وتنقلب على المدى البعيد إلى مشكلات نفسية كثيرة منها: السلوك العدوانى سواء أكان موجها نحو الذات أو نحو الاخرين ولابد فى هذا الجانب من التعامل بحذر وعناية ودراسة واعية ودقيقة والاطلاع على كافة الظروف البيئية التى تدفع الفرد إلى السلوك العدوانى.

ومهما اختلفت وجهات النظرحول ما يحدث فى المجتمع الليبى فيما إذا كان سلوكاً عدوانياً أو عنفا إلا أن الأفراد فى المجتمع هم من يلمسون خطورة هذه الظاهرة نتيجة لهول ما نعانيه من صراعات خصوصا بين المراهقين فلا يكاد أحدهم يحتمل مشادة كلامية إلا وقد جد في هزيمة الآخرين وتحديهم ومعارضتهم، بل وفى بعض الاحيان القتل باستخدام الانواع المختلفة من الأسلحة إشباعا وتأكيدا لقوته وسلطته.

وهذه الظاهرة شأنها شأن غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى تحتاج الى دراسة لمعرفة حجمها الحقيقى ولمعرفة العوامل المؤدية إليها لفهمها ومن ثم تحليلها والكشف عن أسبابها حتى يتسنى للمتخصصين العمل على الحد من انتشارها حتى لا يتطور السلوك العدواني عند المراهقين الليبيين ويصبح ارهاباً ومن هذا المنطلق جاءت فكرة البحث الحالي.

وعليه يهدف البحث إلى:

- مناقشة ظاهرة السلوك العدواني فى المجتمع الليبي في ظل الأحداث الراهنة.
- مناقشة دور مؤسسات المجتمع الليبيى فى الحد من ظاهرة السلوك العدواني؟
- تقديم توصيات مستقبلية للتخفيف من حدة هذه الظاهرة فى المجتمع الليبى.

وهكذا تهدف هده الدراسة إلى رصد وتحليل وفهم ظاهرة السلوك العدوانى فى المجتمع الليبى خصوصا فى مرحلة المراهقة، ومن ثم الوصول إلى تقديم اقتراحات وتوصيات، كما أنها تمثل بداية لانتاج معرفة علمية متخصصة تستتبع بغيرها من الدراسات سواء من طرف الباحثة أو من طرف باحثين آخرين.

وبالنظر إلى الأدبيات التى تناوت ظاهرة السلوك العدوانى وجد أنها كثيرة فقد اهتم بها المتخصصون من جوانب متعددة حيث ربطها البعض بمتغيرات نفسية وأخرى اجتماعية وتناولوها كظاهرة من جميع جوانبها لكن لم تعثر الباحثة إلا على القليل جدا من الدراسات العربية التى تناولت السلوك العدوانى من حيث ارتباطها بالمجتمع، وما يحدث فيه من تغيرات سياسية وهذا هو الجديد الدى تقدمه الدراسة الحالية وتأمل الباحثة أن تكون هذه الدراسة بداية لسلسلة من الدراسات المختلفة حول هذه الظاهرة فى المجتمع الليبيى، وتاتي اهميتها باعتبارها احدى الموضوعات البحثية الهامة على المستويين النظرى والعملى و ذات طابع خاص فى موضوعها.

وتستمد هذه الدراسة أهميتها ايضا من حيث إنها تتناول ظاهرة شديدة الخطورة على الفرد والمجتمع، وهذا الأمر يحتم دراستها دراسة علمية حتى يتم حصرها والوصول فى نهاية الأمر إلى لفت نظر الباحثين والسياسيين لحجمها وخطورتها على المجتمع الليبى ككل من أجل إيجاد الحلول الملائمة لها.

كما تأمل الباحثة أن تسهم هذه الدراسة فى إعادة رسم السياسات ووضع الاستراتجيات والخطط لمواجهة هذه الظاهرة للتخفيف والحد من انتشارها كما انها قد تسهم فى دفع الاخرين إلى اعتماد منهج علمى متجدد للتعرف على طبيعة هذه الظاهرة ومواجهتها ليس على مستوى المجتمع الليبيى فحسب بل على مستوى العالم العربى.

- الاطار النظري:

تناولت الباحثة فى هذا الجانب الخلفية النظرية و الأدبيات والدراسات التى تناولت موضوع السلوك العدواني من حيث تعريفه وأشكاله وأهم النظريات التى حاولت تفسير السلوك العدواني والاستفادة منها فى محاولة معرفة اسباب ظاهرة السلوك العدواني فى المجتمع.

- مفاهيم الدراسة:

قدم الباحثون تعريفات عديدة للسلوك العدواني وتناولوه من زوايا مختلفة، من هذه التعريفات:

- يعرفه الجبالى (2009) بانه عبارة عن سلوك ناجم عن تفاعل الطاقة الكامنة بداخل الفرد مع وجود عوائق خارجية ضاغطة موجودة فى بيئته بحيث تحد من تحقيق اهدافه مما يؤدى الى ايذاء الاخرين وقد يوجَه هذا العدوان نحو ذاته أو نحو الآخرين كما قد يكون هذا الايذاءُ إما مادياً أو معنوياً.
- تعرفه عجرود (2007) بأنه عبارة عن فعل يتضمن ايذاء الاخرين يكون مصحوبا بانفعالات الانفجار والتوتر وكأي فعل أخر لابد أن يكون له هدف يتمثل فى تحقيق مصلحة معنوية أو مادية.
- يعرفه الفايز (2010) بأنه الحاق الضرر بالآخرين فرديا أو جماعيا لفظيا أو بدنيا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ويشمل أيضا إلحاق الضرر بنفسه.

- يعرفه آبو مصطفى وآخرون (2008) بأنه سلوك متعلم يحدث نتيجة لإحباط الفرد من البيئة الأسرية أو البيئة التعليمية ويتمثل فى إيذاء الذات والأخرين والممتلكات العامة وإلحاق الضرر بها.
- يعرفه الشهرى (2009) بأنه كل فعل او تهديد يتضمن استخدام القوة بهدف الحاق الأذى الجسمى أو النفسى بالآخرين.
- تعرفه تهانى (2012) بأنه سلوك يصدره الفرد أو الجماعة لفظيا أو بدنيا أو ماديا مباشر أو غير مباشر بقصد إيقاع الأذى بشخص أو جماعة أو الذات أو الممتلكات الخاصة أو العامة.
- يعرفه الطيار (2005) بأنه أي فعل عدواني يكمن خلفه مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية ويمارس تجاه الاخرين وينتج عنه قتل أو اذى أو تدمير للممتلكات.

ويمكن القول بأن الوصول الى تعريف واحد للسلوك العدواني أمر فى غاية الصعوبة وذلك لاختلاف الآراء حول معنى السلوك العدواني والأطر النظرية المرتبطة به والعوامل البيئية والاجتماعية والنفسية المرتبطة به.

ومهما اختلفت التعريفات التى تناولت السلوك العدواني إلا أن الباحثة ترى أنها تشترك فى ان السلوك العدواني هو فعل عنيف يهدف صاحبه الى الحاق الضرر بنفسه أو بالآخرين أو امتلاك وحيازة شئ وفى هذه الدراسة تنظر الباحثة الى السلوك العدوانى كنتيجة لتغير سياسى حدث فى المجتمع الليبيى ادى الى ظهور سلوك عدوانى بصورة ملحوظة كالقتل العمد واتلاف الممتلكات العامة والخاصة والخطف وما الى دلك.

وهناك العديد من المفاهيم يتم استخدمها كمترادفات للسلوك العدوانى لأنها تشترك مع الأخير فى المظهر العام لكن من وجهة نظر الباحثة ان هناك فرق بسيط بينها وبين السلوك العدوانى لذا وجب على المتخصصين فى مجال علم النفس أن يوضحوا الفرق بين هذه المفاهيم و بين السلوك العدواني وهذه المفاهيم هي:

السلوك العدواني والارهاب: السلوك العدواني والإرهاب كلاهما صورة من صور الآخر، إلا أن الإرهاب يعتبر صورة أكثر مبالغة من السلوك العدوانى، كما أن كل إرهاب يعتبر سلوكا عدوانيا وليس كل سلوك عدوانى إرهابا.

السلوك العدواني و العنف: العدوان هو عبارة عن دافع أولي، أي إن النية مبيتة لإحداث أذى أو ضرر، أيًا كان نوعه وحجمه للنفس أو الغير، فإذا تحول هذا الدافع إلى سلوك ظاهر، مسببًا الأذى أو ملحق الضرر، حينئذ يمكن القول إنه عنف وبهذا فالعنف هو التعبير الصريح الظاهر عن العدوان.

السلوك العدواني و الغضب: السلوك العدوانى مظهر من مظاهر التعبير عن الغضب، حيث إن الغضب عبارة عن غريزة متأصلة في طبيعة النفس البشرية يصاحبها تغيرات عضوية كاحمرار الوجه وزيادة ضربات القلب وتقلص في العضلات تنتهي بالاستعداد للقيام بالسلوك العدوانى.

السلوك العدواني والقوة: إن النتائج المترتبة على السلوك العدوانى كإلحاق الأذى بالنفس، أو الآخرين، أو تدمير الممتلكات، لا يتم إلا عن طريق القوة أو استخدامها لتنفيذ ذلك، وهذا دليل واضح

على أن القوة مرتبطة بالسلوك العدوانى لأنها الأداة المحركة له فوجود القوة مع السلوك العدواني يعطي فرصة لظهوره وحدوثه. (العدوى، 2008)

وترى الباحثة أن جميع هذه المفاهيم (الإرهاب، العنف، الغضب، القوة) تشترك مع السلوك العدوانى فى الحاق الضرر بالاخرين لكن نوع الضرر يختلف فى كل مفهوم على حدة، فالضرر فى حالة الارهاب يؤدي حتما إلى الموت فى حين ان الضرر فى حالة العنف او الغضب ليس بالضرورة يؤدي إلى الموت بل إلحاق الضرر فقط ومثل هذه الفروق البسيطة قد تؤدى إلى فهم خاطئ لطبيعة اي موضوع.

- أشكال السلوك العدواني:

مع أن السلوك العدوانى ليس ظاهرة حديثة بل هو موجود منذ بداية النشاط البشري على سطح الأرض إلا أن أشكاله تعددت وكثرت مظاهره في الآونة الأخيرة بشكل واضح في جميع المجتمعات مما دفع الكثير من الباحثين الى دراسته لمعرفة مظاهره وأنماطه ولم يأتِ هذا الاهتمام من فراغ، فهناك الكثير من العوامل التي دفعت إلى تفشي هذه الظاهرة وللسلوك العدوانى أشكاله الكثيرة والمتنوعة منها:

- السلوك العدواني من حيث الاتجاه:

اولا: عدوان موجه نحو الآخرين: وهو العدوان الأكثر شيوعا يكون الهدف منه إيذاء الآخرين.

ثانيا: عدوان موجه نحو الذات: يكون موجه نحو نفسه بدلا من الذى اعتدى عليه.

ثالثا: عدوان تحويلى أو مزاح: وهو تحويل العدوان من شخص لايستطيع إيذاءه كالأب مثلا إلى أول شخص يراه أمامه.

- السلوك العدوانى من حيث الشكل:

اولا: العدوان المادي الجسدي: مثل الهجوم والضرب وغيرها من الطرق البدنية.

ثانيا: العدوان المعنوي اللفظي: يقصد به الاستجابة اللفظية أو الرمزية التى تحمل ايذاء نفسياً واجتماعياً للآخرين كالاحتقار والإهانة.

- السلوك العدوانى من حيث النوع:

اولا: العدوان السلبي: يقصد به التخريب والتدمير.

ثانيا: العدوان الايجابي: يقوم به الشخص ليصبح متميزا عن الآخرين.

- **السلوك العدوانى من وجهة نظر نفسية:**

اولا: عدوان مباشر (ظاهر): يقصد به ايقاع الأذى بالذات أو بالآخرين بطريقة مباشرة.

ثانيا: عدوان غير مباشر (غير ظاهر): يقصد به إيقاع الاذى بالذات أو بالآخرين بطريقة غير مباشرة. (أبوحطب، 2002)

وترى الباحثة أن السلوك العدواني السائد بين المراهقين فى المجتمع الليبى هو مزيج بين هذه الأشكال المختلفة فهو لا يقتصر على نوع واحد، فتارة يكون موجها نحو الآخرين (وهو النوع الاكثر شيوعا) وغالبا ما يكون جسديا مثل الضرب أو الاعتداء على الأخرين والهدف منه الخراب والتدمير وفى أحيان كثيرة يكون ظاهراً و فى بعض الاحيان يكون غير ظاهر وايا ما كان نوع هذا السلوك فهو يحتاج الى تكاتف جهود المهتمين للحد منه حتى لا يتحول إلى إرهاب عندها يصبح التعامل معه أمرا فى غاية الصعوبة.

- **النظريات المفسرة للسلوك العدواني:**

يعد السلوك العدوانى من القضايا الهامة فى المجال التربوى فهو أحد الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة، ويرى بعض الباحثين أن السلوك العدواني شأنه شأن أي سلوك إنسانى متعدد الأبعاد ومتشابك الأسباب بحيث لا يمكننا رده إلى تفسير واحد ومع تعدد أشكال السلوك العدواني و أسبابه تعددت النظريات التى حاولت تفسيره من هذه النظريات:

- **اولا: نظرية التحليل النفسى:**

ينظر علماء النفس الى السلوك العدواني على أنه غريزة فطرية تحدد الاتجاه الذى يأخذه السلوك، ويرى فرويد إن الانسان يولد ولديه نزعة نحو التخريب والعدوان، ويجب التعبير عنها بشكل أو بأخر فإن لم تجد هذه الطاقة منفذا لها إلى الخارج (البيئة) فقد توجه نحو الفرد نفسه، وبهذا يمكن القول إن السلوك العدوانى طاقة لا شعورية داخل الانسان يعبر عنها الفرد بطريقة سلوكية نتيجة لاثارة خارجية. (صالح، 2012)

وقد أثير جدل كثير حول هذه النظرية وعارضها بعض الباحثين حيت رأوا أن هذه النظرية لم تنجح فى وضع نماذج تفسيرية صالحة ومقنعة، فهى بعيدة عن الواقع وغير صالحة لتفسير بعض انماط السلوك الإجرامى، وأحيانا أخرى تقدم تفسيرات عامة وغير مقنعة يصعب تعميمها على الانسان. (الطيار، 2005)

- **ثانيا: النظرية البيولوجية:**

يرى أصحاب هذه النظرية أن سبب العدوان بيولوجى فى تكوين الشخص، فالانسان لديه مجموعة من الغرائز تدفعه لان يسلك سلوكا معيناً من أجل إشباعها، لذا يُعد السلوك العدواني سلوكا

غريزيا هدفه تصريف الطاقات العدوانية الداخلية وإطلاقها حتى يشعر الانسان بالراحة فالعدوان وفقا لهذه الطريقة فطرى موروث وغريزي. (سامية، 2013)

بمعنى أن العدوان غير متعلم، وأنه محصلة للخصائص البيولوجية للإنسان، فهذه النظرية تفسر العدوان على أنه نتيجة اضطرابات فسيولوجية وتنطلق في المعالجة من خلال هذا التفسير للسلوك العدواني.

- **ثالثا: نظرية التعلم الاجتماعي:**

يرى أصحاب هذه النظرية أن مفاهيم مثل الغرائز لا يمكن أن تكون مسؤولة عن العدوان، فالعدوان سلوك متعمد ينتج من خلال التعلم بالملاحظة والتقليد، كذلك يرون أن أساليب التنشئة الاجتماعية تلعب دوراً هاماً في تعلم الأفراد الأساليب السلوكية التي يتمكنون عن طريقها من تحقيق أهدافهم. وهكذا يصبح مبدأ التعلم هو المبدأ الذي يجعل من العدوان أداة لتحقيق الأهداف أو عائقاً دون تحقيقها، فالعدوان عند "باندور " يعد سلوكاً متعلماً يتعلمه الإنسان عن طريق مشاهدة غيره، وتسجيل هذه الأنماط السلوكية على شكل استجابات رمزية يستخدمها في تقليد السلوك الذي يلاحظه، فالأطفال يتعلمون سلوك العدوان من الكبار عن طريق الخبرة المباشرة. (مجلى، 2013)

- **رابعا : النظرية السلوكية:**

ترى هذه النظرية ان السلوك بصفة عامة مكتسب متعلم، وبالتالى فان الفرد يتعلم السلوك العدواني من البيئة التى يعيش فيها، ويرى السلوكيون أن العدوا ن، شأنه شأن أي سلوك، يمكن تشكيله ويمكن تعديله وفقًا لقوانين التعلم، ولذلك ركزت دراسات السلوكيين في دراساتهم للعدوان على حقيقة يؤمنون بها وهى أن معظم أو أغلب السلوك متعلم من البيئة، ومن ثم فإن الخبرات المختلفة (المثيرات) التي اكتسب منها شخص ما السلوك العدوانى (الاستجابة العنيفة) قد تم تدعيمها بما يعزز لدى الشخص ظهور الاستجابة العدوانية كلما تعرض لموقف محبط، وهكذا يعتبرالسلوكيون أن العدوان سلوك متعلم يمكن تعديله من خلال هدم نموذج التعلم العدوانى واعادة بناء نموذج التعلم من جديد. (الصالح، 2012)

ومهما اختلف النظريات التى حاولت تفسير ظاهرة السلوك العدواني فإنه لا يمكن فهم هذه الظاهرة بمعزل عن هذه التفسيرات فهى الأساس الذى استند اليه الباحثون فى تفسيراتهم المختلفة فلو تم وضع مثلا تفسير لظاهرة السلوك العدوانى فى المجتمع الليبى فانه يمكن القول ان هذه الظاهرة ظهرت بوضوح بعد ثورة 17 فبراير وقد يكون هناك احتمال ان يكون السبب راجع الى ما شاهده المراهق أثناء الحرب من قتل وتخريب ودمار ادى به إلى اكتساب مثل هذا السلوك ونحن فى هذا التفسير نعتمد على وجهة النظر السلوكية التى رات ان السلوك العدوانى سلوك مكتسب متعلم من البيئة.

- **أسباب السلوك العدواني فى المجتمع الليبى:**

أصبحت ظاهرة السلوك العدواني من الظواهر الاجتماعية الخطيرة التي باتت واضحة على مرأى ومسمع الجميع مثل أي ظاهرة اجتماعية منتشرة والتي تُعد من السلوكيات الخطيرة التي تحدث آثارًا اجتماعية سيئة ولا يمكن قبولها في أي مجتمع بشري وخاصة المجتمعات التي تمتاز بحضارة إنسانية راسخة اتسمت بالهدوء والاستقرار.

وقد اهتم الباحثون فى ميدان التربية وعلم النفس والاجتماع بالبحث فى أسباب هذه الظاهرة ووجدوا أن الفرد لا يولد عدوانيا بل ان هناك عوامل تؤثر في تكوينه النفسي وتجعله يتصرف ويسلك سلوكا عدوانيا يشير اليها الجبالى (2009) بان هناك عوامل وراثية وعوامل بيولوجية وعوامل فسيولوجية وعوامل طبيعية ونفسية واجتماعية، ولكن نحن الأن لسنا بصدد الحديث عنها لأنها لا تمثل الجانب الأساسى فى البحث، وقد رأت الباحثة أن تتطرق لهذه العوامل لأنه لا يمكننا تفسير ظاهرة السلوك العدواني فى المجتمع الليبى بمعزل عن هذه العوامل.

واذا ما تحدثنا عن أسباب هذه الظاهرة فى مجتمعنا الليبى يلاحظ أن ما يتعرض له مجتمعنا من اضطرابات سياسية لمدة أربع سنوات متتالية أدى إلى شيوع بعض الاضطرابات النفسية لدى أفراده والسلوك العدواني هو الطابع الغالب، والواضح لدى أفراد المجتمع الليبى خصوصا بين فئة المراهقين، وهذا لا يعنى عدم وجود هذه الظاهرة قبل ذلك، لكن هذه الظاهرة تطورت بصورة ملحوظة وواضحة بعد ثورة 17 فبراير ومن وجهة نظر الباحثة ان السلوك العدوانى لا يمكن رده إلى عامل واحد بل إنه نتاج وحصيلة جملة من العوامل المتفاعلة بيولوجياً ونفسياً واجتماعياً وأسرياً وسياسياً، كلها تتفاعل مع ظروف الحدث أو الموقف فتؤدي إلى استجابة العدوان ولا شك ان هذه الظاهرة لها انعكاساتها المجتمعية والبيئية وهى تمثل تهديدا لمنجزات المجتمع الذى نعيش فيه وهذا ما توصلت اليه العديد من الدراسات منها دراسة ابوزهرى واخرون (2008) ودراسة كواد (2011) ان من يعيشون حياة عنيفة يتأثرون بالعنف ويصبح طابعا دائما فى سلوكهم.

يمكن القول إن تعدد وتنوع وسائل السلوك العدواني أعطت أبعاد جديدة لهذه الظاهرة فظهرت وسائل علمية حديثة أكثر سهولة فى الحركة والنقل وأكثر تدميرا وأقلها اكتشافا قبل ارتكاب السلوك العدواني.

كذلك عدم وضوح طرق التربية الحديثة وغياب الهدف القومى الذى يمتص طاقات الشباب وانعدام العدالة الاجتماعية ونقص ممارسة الديمقراطية الحقيقية وانهيارمستوى التعليم والقيم الاخلاقية السائدة والبطالة وعدم المشاركة فى انجاز القرارات وحرمانه من ممارسة حقه فى التعبير عن ذاته والفراغ الفكرى الذى يعيشه المراهق فى المجتمع الليبيى، كل ذلك يجعل نفوس المراهقين مرتعا خصبا لكل الأفكار المغرية، وعرضة لكل إغراء مادي يستعمل مصيدة لهؤلاء لتوريطهم في أعمال العنف بطعم إخراجهم من وضعيتهم الصعبة، فينقادون بسهولة وراء كل داع بحق أو بغير حق مما يزيد من حدة هذه ظاهرة.

كذلك تتفق الباحثة مع وجهة نظر الصالح (2012) فى ان وسائل الإعلام التى يشاهدها المراهقون تقوم بتغذية الخبرة الحياتية اليومية العدوانية وذلك من خلال عرضها المتكرر لصور

القمع والقتل على شاشات التلفاز وفى نشرات الأخبار والبرامج السياسية الأمر الذى يجعل المراهق يتعامل مع المجتمع بطريقة عدوانية وبالتالى يقوم بممارسة العدوانية، لأنها السلوك الوحيد الذى يراه سائدا فى المجتمع وبالتالي فإن هذا يتطلب من المؤسسات الإعلامية أخذ الحذر والحيطة عند عرضها لبرامجها حتى لا تكون المؤسسة مشاركة في زيادة السلوك العدوانى لدى أفراد المجتمع.

- النتائج:

ترى الباحثة أن السلوك العدوانى ليس سببه فقط هو الظروف البيئية السيئة السائدة فى المجتمع الليبى، فلو كانت هذه الظروف هى السبب الوحيد للعدوان لجعل كل المراهقين الموجودين فى هذه الظروف عدوانيين، بل ان هناك مجموعة من الأسباب المتصلة والمتداخلة التى يصعب الفصل بينها فى السلوك العدوانى ويتضح من ذلك أن أى تفسير شامل للسلوك العدوانى يجب أن يأخذ كافة هذه العوامل بعين الاعتبار.

1- ظاهرة السلوك العدوانى مزيج من العوامل النفسية والاجتماعية والسياسية لابد من العمل على توفير المرشدين المتخصصين النفسيين والاجتماعيين والتربويين لخلق اكبر عدد ممكن من فرص الاندماج والتفاعل للحد من هذه الظاهرة.
2- التوجيه الديني له عظيم الأثر في تعديل السلوك وخاصة السلوك العدواني ونشر القيم النبيلة وثقافة التسامح والحوار التى يحث عليها ديننا الحنيف لتحقيق التوازن النفسى وتنمية الشعور بالايمان والثقة وبالتالى التقليل من حدة السلوك العدوانى.
3- زيادة الوعى بالآثار السلبية للسلوك العدوانى على الفرد والمجتمع من خلال إعداد برامج إرشادية علاجية مميزة تقوم على اساس توجيه السلوك العدواني عند فئة المراهقين إلى أنشطة مختلفة مثل الرياضة والتنافس والكفاح للنهوض بالمجتمع.
4- الاستفادة من خبرات وتجارب الدول الأخرى فى كيفية مواجهة ظاهرة السلوك العدواني بما يتوافق مع الإمكانات المتاحة فى المجتمع الليبى مع ضرورة تفعيل دور المؤسسات التربوية كالجامعة مثلا فى علاقتها بالمجتمع للحد من هذه الظاهرة عن طريق اعداد خطط دراسية وتربوية تعمل على التقليل من التاثيرات السلبية المترتبة على السلوك العدوانى.

المراجع

1. أبو حطب، ياسين مسلم (2002) فاعلية برنامج مقترح لتخفيف السلوك العدواني لدى طلاب الصف التاسع الأساسى بمحافظات غزة. رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة.
2. أبو زهرى، على زيدان و جمال عبد ربه وجهاد جميل (2008) اتجاهات طلاب الجامعات الفلسطنية نحو العنف ومستوى ممارستهم له. مجلة جامعة الاقصى، م12، ع1، ص125-172.
3. أبو مصطفى، نظمى عودة ونجاح عواد السمرى (2008) علاقة الأحداث الضاغطة بالسلوك العدواني (دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة الاقصى) مجلة الجامعة الاسلامية، م16، ع1، ص347 – 410.
4. جاسم، أحمد لطيف (2013) اضطرابات ما بعد الضغوط الصدمية وعلاقتها بالسلوك العدوانى لدى تلاميذ المدارس الابتدائية. مجلة الآداب، ع106، ص609 – 652.
5. الجبالى، اشرف ابراهيم (2009) المشكلات السلوكية لدى الاطفال بعد حرب غزة وعلاقتها ببعض المتغيرات. رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة.
6. سامية، بوشاشى (2013) السلوك العدوانى وعلاقته بالتوافق النفسى الاجتماعى لدى طلبة الجامعة دراسة ميدانية بجامعة مولود معمرى – بتزى وزو، رسالة ماجستير، الجزائر.
7. الشهري، على بن نوح (2009) العنف لدى طلاب المرحلة المتوسطة فى ضوء بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية فى مدينة جدة. رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، مكة المكرمة.
8. الصالح، تهانى محمد (2012) درجة مظاهر وأسباب السلوك العدواني لدى طلبة المرحلة الأساسية فى المدارس الحكومية فى محافظات شمال الضفة الغربية وطرق علاجها من وجهة نظر المعلمين. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين.
9. الطيار، فهد بن على (2005) العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية دراسة ميدانية لمدارس شرق الرياض. رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض.
10. عجرود، صباح (2007) التوجيه المدرسى وعلاقته بالعنف فى الوسط المدرسى حسب اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم الثانوي والتقني بولاية أم البواقي. رسالة ماجستير، جامعة منتورى، قسنطينة.
11. العدوى، أسامة محمد (2008) دور مديرى المدارس تجاه الحد من ظاهرة العنف لدى طلبة المرحلة الثانوية بمحافظات غزة وسبل تفعيله من وجهة نظر المعلمين. رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة.
12. الفايز، سعود بن عبد العزيز (2010) مفهوم الذات وعلاقته بالسلوك العدوانى لدى المراهقين من مجهولى الهوية (ذوى الظروف الخاصة) دراسة ميدانية فى مدينة الرياض. رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض.
13. القوس، سعود بن سهل (2008) العوامل المرتبطة بالعنف كما يراها الشباب دراسة اجتماعية ميدانية لاحدى المؤسسات الخدمية. رسالة ماجستير، جامعة عين شمس.
14. كواد، طه حميد (2011) اضطراب مابعد الضغوط الصدمية والعنف لدى طلبة المرحلة الإعدادية. مجلة البحوث التربوية والنفسية، ع32، ص72 – 107.
15. مجلى، شايع عبد الله (2013) تقدير الذات وعلاقته بالسلوك العدوانى لدى طلبة الصف الثامن من مرحلة التعليم الاساسى بمدينة صعدة. مجلة جامعة دمشق، م29، ع1، ص59 – 104.

16. Chemtob, C. M., Novaco, R.W.& Smith, G.(1997):Cognitive Behavioral treatment for sever anger in posttraumatic stress disorder, Journal of clinical psychology, (65),(184-189).

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

Effective Participation as Smooth Path to Community Development

A case study of Karmjay water reservoir - Sudan

Dr. Abdal Mageed Ahmad Abdal Rahman

(Associate professor of sociology- Faculty of Arts and Sciences – Almarj)

Effective Participation as Smooth Path to Community Development

A case study of Karmjay water reservoir - Sudan

Abstract:

The past half a century of governmental efforts displayed disappointing results of failures in sustainability of many community development programmes. Water storages have been constructed by participation of the concerned communities and governmental efforts as tangible solution. Participation paradigm as a method and theory together with demand responsive approach have been tested as research tool to acquire accelerated smooth sustainable community development. Karamjay (Sudan) water reservoir has been studied. The goals targeted are that community services that appeared as due to compulsive needs are more likely to influence group solidarity, creative achievements and sustainability. This study adopts descriptive analytic method, and has reached to many conclusions, some of which are that participatory approach is one of the best theories and research methods used in implementing community development programmes that express demand responsive. The success of constructing Karamjay dam led to smooth change in some cultural traits and values.

Key words: Participation, demand responsive, community Development, reservoir building, change.

مستخلص:

شهدت جهود الحكومات خلال نصف قرن نتائج غير مرضية وفشلاً في استدامة كثير من برامج التنمية الاجتماعية. فقد أُنشئت خزانات للمياه بمشاركة الجماعات المستفيدة لإيجاد حلول واقعية وملموسة. أُستخدم نموذج المشاركة الشعبيَّة كطريقة ونظريَّة وأُسلوب للاستجابة للحاجات في هذه الدراسة، واختبرت مدى قدرتها لانزال تنمية سريعة ومستدامة. هدفت الدراسة إلى أن خدمات المجتمع التي تقوم والمعتمدة على ضرورية الحاجة لها تقود غالباً إلى تضامن الجماعة، وإنجاز خلَّاق واستدامة للمشروع. تبنت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت لعدد من النتائج منها أنَّ أُسلوب المشاركة الشعبيَّة هي أفضل النظريات والأساليب في إنفاذ برامج تنمية المجتمع خاصَّة التي تُعبِّر عن الحاجات الضروريَّة. إنَّ نجاح تشييد خزَّان كرم جي أدَّى إلى تغيير سلس في بعض السمات الثقافيَّة والقيم الاجتماعيَّة.

1. Introduction:

The pressing need for water has influenced man in his life history. Efforts were dedicated for billions of man-days of labour to obtain it, let alone safe drinking water, or else to combat diseases resulting from water use side- effects. Moreover, the population instability and conflicts around water sources. The present scene in the twenty first century discloses that almost about 33% of the population in third world countries faces acute water shortage; however, large amounts of water drain to seas each year[1].

The problem of water shortage can easily be solved by water harvesting, but the case is far more complicated by the mere fact that people are spreading in vast areas, and most of them suffer acute poverty, added to the huge number of livestock that need access to water. Hence, there is difficulty to alleviate water supply needed by sole governmental efforts and services due to high cost. The past half a century of governmental efforts displayed disappointing results. The drilling of wells cost high as the water-table is deep in most cases and extracted by means of pumping machines. The whole operating system generates many obstacles of fuel shortage, spare parts not found in the near vicinity, inefficient manpower for running and operating the whole system technically and lack of financial capacity[2]. To surpass those difficulties dams, reservoirs and water storages are recommended, but the cost is still high to be implemented by governmental efforts solely. Hence, community participation in water harvesting projects is inevitable to lessen the cost and facilitate their construction, bring in sustainability as well as providing some other social development services.

Community participation enhances and consolidates social development whenever there is high need for certain good (water, health or education services, security and settlement). The more the service provided is highly needed, the more active is the involvement of the community. However, effective community participation in social development determines certain prerequisites. People should feel and realize that the project serves the benefits of the whole group, and that the system does not contradict or disturb their values or rules of consensus on certain issues and culture, thus facilitating social and cultural change with less friction. People should also be consulted and shared in those projects by creative thinking, planning, implementing and operating the system through time. The process stimulates a degree of confidence, sense of ownership and contribution of all without alienating some groups or individuals including women.

From the above demonstration participation has both theoretical and methodological connotations. The research questions, therefore, are:

([1]) Keller, Andrew, *et.a*l., (2000*), Water Scarcity and the Role of Storage in Developmen*t, Research Report 39, International Water Management Institute (IWMI), Colomb, Sri Lanka.

([2]) Faillace, Costantino, **(**Aug. 2008*),Water Development in Semi-arid Land with a Focus on East Africa, Symposium on Sustainable Groundwater Development for Small Villages of Underdeveloped Communities by Simple, Low-cost Technology*. Oslo.

a- Can community participation bring in sustainable development without causing social and cultural unrest?
b- Can the achievement of goals lead to initiation of other community development services, and that each achievement encourages formulating new ones, that is to say, accelerating development?
c- Are water harvesting projects, through water storages and reservoirs, considered a priority to start accelerated sustainable development and other participatory development projects?
d- To which extend can the results of this study be a useful experiment to other situations in different regions?

The society is an integrated and interdependent system, and that any conflict may lead to malfunction. The school, the reservoir and the hospital are all based on a land which is property of others. Conflicts occur unless consensus between groups takes place and activated on those issues (decisions). The importance of this research, therefore, is to consolidate cooperation and synergy for the completion of programs which generate trust, mutual respect and facilitates smooth change. Again, the nature of a new programme seeks acquisition of extra skills, and appearance of new roles. These roles often find acceptance whenever they have been coincided with the needs, culture and values of the concerned society, in other words, they stem and agreed upon by the members of the community.

There are many reasons that stand behind the significance of community participation in social development. It helps individuals to understand the dimension of their problem. They can then propose and carry suitable solutions that conform to the social and cultural setting. Hence, developmental changes will not be impeded in the implementation phase of the project as the beneficiaries seek to keep, sustain and make use of it.

The main goals this study tries to achieve are that:

a- Community services that emerge as demand responsive are more likely lead to group solidarity, creative achievement and sustainability of programmes.
b- Community participation, as an approach and method, is necessary and effective for enforcement of projects and social development.
c- Strengthening the participation of the vulnerable and the marginalized segments of the community plays a constructive role in the enforcement of programmes.
d- Outsiders (the governments and organizations) role is to stimulate, grant, carry technical roles and give priority to community development programs that follow the method and approach of participation.
e- Participation confirms the importance of endogenous knowledge in community development.

2. Community participation: an approach and method:

Community participation has been a dominant theme in the literature of development since early 1970s and 1980s.The concept found rigorous discussions in the circles of applied anthropology, applied sociology and rural development planners. Although there is no consensus on participatory approach effectiveness in planning, implementing, management and organization of the programme, new strands have grown confirming its usefulness[3]. Emphasis has increased due to the shifts in development thinking procedures. The scenario has gone to adopt "development from below paradigm". The advocators of "development from below" emphasize individuals participation in planning, implementing, management and organization of programs. They also seek sustainability of projects; hence, the trend is contrary to the "development from above approach ", the centralized standardized task of governments and donors, that dominated the spectrum of development *anti-quem* 1980s.[4]

The different contributions in researching and developing the concept "community participation" brought insight many definitions, some of which are:

a- "Voluntary contributions to public programmes, but people do not play a role in shaping the programmes."[5]
b- Involvement in shaping, implementing and evaluating programmes and sharing benefits.[6]
c- The capacity for influencing decision making processes at all levels of societal organizations[7].
d- " A group of people in a locality initiating a social action process that seeks to empower individuals and groups of the people by providing these groups with skills they need to effect change in their own community… it is a people's programme with governmental aid… and not a government program with people's aid".[8]
e- "Participation as [an end] the empowerment of people to take greater responsibility for their acquisition of skills, knowledge and experience."[9]

([3]) Rifkin, Susan B. and Maria Kangere, (2002), What is Participation, A participatory Strategy in Africa in I*nternational Journal of Disability, Community and Rehabitation*, University College, London, p. 38.
([4]) Chambers, Robert, (1994), The Origins and Practice of Participatory Rural Appraisal, in *World Development*, vol. 22, No. 7, p.953
([5]) Chambers, Robert, *op. cit.*, p. 41.
[6]) Chambers, Robert, *ibid*, p. 41. (
([7]) Kelly, K. and Vlaenderen, H. Van,(1995), Evaluating Participation Processes in Community Development< in *Evaluation and Program Planning*, vol. 18, No. 4, p. 373.
[8]) Zadeh, B. Saheb and Nobaya Ahmad, (Jan.2010), Participation and Community Development, in (*Current Research Journal of Social Sciences*, 2(1): 13-14.
([9]) Nissen-Petersen, Erik, (2006), *Water from Small Dams*, The Royal Danish Embassy, (Danita), Kenya, retrieved from www. Waterforaridland.com

It seems likely that the several definitions made to "community participation approach" as due to variety of development sectors and development fields in general. Based on these notions and the wide range of research fields that community participation approach covers, a number of related families of approaches have been evolved.

"Participatory rural appraisal (PRA)" that has been developed early in 1990sis one of those variants. It is "an approach and method for learning about rural life and conditions from, with and by rural people".[10]

A further approach is the "demand-response approach". It considers that a demand for a certain good is impulsive to drive individuals to amalgamate efforts, display choices and take decisions to participate in order to achieve that goal.[11]

For the sake of sustainability and to overcome sectoral divisions, an approach called "multiple use of water service (MUS)" is evolved. The approach seeks poverty alleviation in areas where people are needy for water for their domestic life, herds, and agriculture. It is also considered a starting or datum point for initiating and providing other community development services.[12]

The evolution of community development approaches generates many new terms, and concepts have also been coined. Although these concepts are differently expressed, they can be lumped together as being referring to developmental actions and processes that are carried by collective efforts of individuals for the sake of the whole group, some of which can be briefly displayed in the following:

a- Dialogue: It refers to participation of a group of people who come to a joint understanding. These groups are not uniform mass of people since they are grossly different in level of education, power and access to resources, what Kelly and Van called "participatory understanding".[13]Dialogue therefore, initiates the process of development and facilitates social action.
b- Partnership: It is the description of different kinds of interaction between different groups, such as governmental departments, volunteers and the local people.[14]

The dogma of community participation paradigm is that development cannot be attained unless the individuals of the concerned society participate in different phases of programme implementation. This almost takes place in micro-level societies. Political support is vital to the success of the programme.

---

[10]) Chambers, Robert, *op. cit*., p. 953.(
([11]) L., S. Rautanen, *et.al.*,(2014), Community-driven Multiple Use Water Service: Lessons Learned by Rural Village Water Resources Management Project in Nepal, in *Water Alternatives*, 7 (1): p.162
([12]) L. S. Rautanen, *ibid*, p. 162.
[13]) Kelly, K. and Van Vlaenderen, *op. cit.*, 371. (
[14]) Kelly, K. and Van Vlaernderen, *ibid*, p. 372.(

Different levels of participants make efforts to achieve their developmental goals. They comprise on the top level governmental representatives, who are the administrators and the technicians among others, the middle steps are made of prominent figures of the concerned group, who are more educated and empowered like leading citizens or religious leaders. There be at the grass-root level the poor, the weak and the illiterate. This is analytically visualized as "ladder of participation".[15]The degree of the contribution varies, some effectively participate, others attend but do not contribute. Hence, presence of some of the members of the community does not signify participation, a fact that let some scholars, who deeply think of methodology and analyses, minimize quantitative methods in analyzing those activities.[16]This situation stimulates preference of verbal interaction methods such semi-structural interviewing, focused group discussion and observation.[17]

3. Water harvesting and developing countries:

Lack of safe drinking water and sanitation in developing countries, especially sub-Saharan Africa, has led some people to live in bad plight and harsh conditions there. Globally there are about 1.1 billion people lacking access to adequate drinking water, while about 2.6 billion fall short of basic sanitation and good hygiene, most of whom live in rural areas.[18] The projection in this situation presents darker image as about two-thirds of fresh water is appropriated for agriculture, and great amount of water is lost by evaporation processes due to ineffective methods of irrigation; this is in addition to the expectation that more than five billion of the world's population will face great difficulties in access to sanitation services by 2030.[19]

The burden of bringing water to the resident is assigned to vulnerable segments of the community, who are the women and the children. But the sources of water are along distance from the residence. It is stated that women and girls in developing countries walk a distance of nearly six kilometers a day in order to get water,[20] stay there for two to four hours in queue, bring home heavy water containers**,** and to begin, thereafter, other domestic purposes.[21] Botswana, Burkina Faso, Kenya and Ivory Coast are cases in point where women spent more than four hours a day to collect water from sources.[22]

([15]) B. Rifkin, Susan and Maria Kangere, *op. cit*., p.43.
([16]) B. Rifkin, Susan and Maria Kangere, *op. cit.*, p.43.
[17]) Chambers, Robert, *op. cit*., pp. 958 – 989. (
([18]) United Nations Population Fund, (August, 2002), Water: A Critical Resource, New York, NY.
([19]) Jonah, Cherutich, *et. al*., (2015), Water access and sustainable rural livelihood: A case of Elementaita Division in Kakuu Country, Kenya, in *International Journal of Science , Technology and Society*, 3, p. 14.
([20]) United Nations Population Fund, *op. cit.*
([21]) United Nations , Johannesburg Summit , (2002), *Facts sheet, World Summit on sustainable Development*, New York, p. 7
[22]) Jonah, Cherutich, *et. al*., *op. cit*. p. 14.(

The tasks associated with women and girls hinder their education. Girls students' performance in schools recorded constant or intermittent absence.[23]They sometimes do not even given a chance for education as they are occupied in other missions, namely providing water from the sources and carrying some other domestic works.

The consequences of processes of colleting water from far away source cast also negative impacts on their health. They are exposed to diseases such as malaria and diarrhea among other ones. Moreover, carrying containers full of water for long distances effect their health greatly, especially during pregnancy[24]. The repercussion of inadequate water is exemplified by the recognition of many water-related diseases.

The scarcity of water and the resulting vulnerability of health status of women and the lack or loss of educational opportunities have led to a deficiency of women's empowerment and privation of participation in their society's associated affairs, including social development.

The loss of educational opportunities and difficult health conditions experienced by women and children due to lack of safe drinking water and sanitation stimulated the United Nations General Assembly to adopt resolution (A/RES/44/292). The resolution explicitly recognized that getting clean water and sanitation are basic for the realization of human rights. As such the General Assembly called on the states to work on the provision of financial allocation, community capacity building and the provision of appropriate technology to obtain water.[25]Moreover, the United Nations Millennium Summit in 2000 considered obtaining safe drinking water is one of the Millennium Development Goals, and stated that the world nations should seek to halve the percentage of individuals who have not access to safe clean drinking water and sanitation in the period 2005 – 2015.[26]

The traditional approach of water harvesting that accelerated pace in 1980s, the decade of water and sanitation, doomed to failure in many regions as it could not achieve sustainability. Governments' role at the time was to implement services as promoters rather than providers by means of participation. It is the adoption of development decisions on higher levels, and that the governments tend to set up new water supply programme services and leave the completed ones without maintenance through time;[27]they are sometimes left without finishing parts of the project exemplified by Burkina Faso instance.[28] The beneficiaries, on the other hand, have been left without

---

([23]) Jonah, Cherutich, *et. al., ibid*, p. 14.
([24]) Jonah, Cherutich, *et. al., ibid*., p. 14.
([25]) United Nations General Assembly (28 July 2010), *The human Right to Water and Sanitation*, Resolution adopted (A/RES/44/292)
([26]) Jonah, Cherutich, *et. al., op. cit.,* p. 13.
([27]) Sara, Jennifer and Travis Katz, *Making Rural Water Supply Sustainable*, Report on the impact of project rules , UNDP-World Bank Water and Sanitation Program, p. 2.
([28]) Misra, Arun Kumar, (Aug. 2011), *Towards Drinking Water Security in India: Lessons from the field*, Water and Sanitation Program, Roots Advertising Services, p. 5.

capacity building in methods of operation and maintenance. In fact, they were far away during the period of project construction, and do not even feel a sense of ownership of the project nor do they care about the way it was done.

The implications of the processes of water harvesting in those periods stimulated an attitude of effective participation of the beneficiaries. Hence, they should be incorporated from the onset of the program by expressing demand, determine the purposes of the reservoir that may include human consumption, stock watering and irrigation,[29] and participate in planning, siting, construction, operation and maintenance. The impact of reservoir implementation on health and environment should carefully be considered.[30]

A committee should be established as early as the program is agreed upon. Representation of different groups of the community is highly essential. It should be composed of prominent figures, some educated individuals, the weak and the poor. Women, who are usually responsible in most developing countries for bringing water home, should be represented. This committee may later be converted to a permanent committee for operation and maintenance after project completion.

Operation and maintenance are among the obvert issues to be sought for from the start. Since the beneficiaries are left to their own to carry these tasks in the end, individuals' capacity building in course of project implementation is highly important.[31]

Recognizing the crucial role of reservoirs, small dams and water storage structures, efforts have been made to construct types that conform to the nature of the site and communities' requirements for water. Different types of water storages have been constructed in different parts of third world countries, such as in East Asia, South Asia, West and East Africa and the Andes in South America.[32]Some of these reservoirs are small in size, close to point of use and easily operated and maintained, part of them are in the form of pits, others are constructed across the valleys and water courses. They have been described with different nomenclatures. These types of reservoirs face problems of sedimentation. Many countries have adopted water harvesting. The following instances provide some of those examples:

The majority of Kenya population lives in scattered villages. They engage in grazing economies that depend on animal husbandry and rain-fed agriculture, water was obtained from dry river beds, called "sand rivers ". In the past drilling shallow and deep holes have been made to provide water. Although water is obtained, many difficulties

---

([29]) Roaqrk, Philip, et. al., (Nov. 1989),*Developing Sustainable Community Water Supply System, Key Questions for African Development Foundation Applications,* WASH Field Report No. 270, ADF Working Paper Series No. 4, Washington , DC., p. 9.
([30])Sara, Jennifer and Travis Katz, *op. cit.*, p. 3.
([31]) Stephens, Tim, (2010), *Manual on Small Earth Dams: A guide to siting, design and construction,* Irrigation and Drainage Paper 64, Food and Agriculture Organization of the United Nations, Rome.
([32]) Sara, Jennifer and Travis Katz, *op. cit.*, p.1.

have been raised. Water table is deep, extracted by pumping machines, and spare parts are not available in the near project area. Some of those water sources were made to preserve large amounts of water on the grounds that the abundance of water reserved might have solved the problem of water shortage to considerable number of people and stocks there. The latter programmes did not consider environmental degradation due to over grazing and rapid over stepping around water source area. It is now realized that the use of appropriate technology by constructing ponds and underground tanks or other types of artificial aquifers is most suitable in semi-arid land, this is in addition to participation of the beneficiaries in the project implementation.[33]

In India many regions suffer lack of safe drinking water. This instance can be visualized by the example of Khintala village where about 378 women suffer short of drinking water. There are no water storage or hand pumps, while the nearest water source lies about 2.5 kilometers from the village, and it takes three to four hours to fetch it. To combat this severe shortage the local government through community participation succeeded in implementing several water reservoirs in rural areas. The programme made use of people's innate wisdom together with modern science to provide drinking water, security, and save women's time and efforts.[34]

To attain water sustainability in Maharashtra in India, the beneficiaries are asked to pay water tax that will be collected by entrusted individuals so as to be specifically used for operation and maintenance of the water storage. This instance of water tax collection has been adopted all over the region of Maharashtra.[35]

The project of water reservoirs in India sought women empowerment. They had been represented in the reservoir's operation and maintenance committee and income generating programmes. These storages opened new avenues for many self-help groups that were formed to carry income generating activities, the total of which exceeded 2700 enterprise units. The consequences of water programme sustainability that it helps to reduce health expenditures and attain students' regular school attendance**,** saved about 3.8 hours a day that has been exploited to increase their revenue, in addition to the implementation of some community services including schools and health centres.[36]

Certain types of rainwater storage reservoirs have been constructed in semi-arid region in the Sudan. They are traditionally labeled Hafeer. It is designed by building a construction in a location where rain water comes up to in the valleys and water courses. The Hafeer is designed to preserve large quantities of water for domestic use and animal watering for the dry season. The most evident problem generated by the Hafeer construction is pollution due to the contamination of water. Normally an outlet is made to a pet or deep hole or storage tank for water to flow in for the use of man. The Hafeer is

([33]) Faillace, Costantino, *op. cit.*
([34])Misra, Arun Kumar, *op. cit*., pp. 7-8.
([35])Misra, Arun Kumar, *ibid*, p. 16.
([36])Misra, Arun Kumar, *ibid*, pp. 17 – 21.

also fenced to keep and draw animals from entering. The average capacity of the storage ranges from 15000 to 250000 cubic metre. There are different types of Hafeers; the traditional one which is a normal hole dug on ground surface, other ones are built under ground or the lined storages. There are some other types that have been built across the valleys to preserve large quantities of water. They have hybrid characteristics between small dug hole and a small dam.[37]

There are some famous reservoirs in the Sudan. The Gadambliyya reservoir (Hafeer) in the vicinity of Al-Gadarif city was built to provide water for domestic purposes and stock watering,. The other reservoir is Haloof Hafeer which is located in near Al-Fasher city. It is constructed early in 1970s with earth embarkment and central concrete spillway, and with a capacity of about 500000 cubic metres of water. Rainfalls in August 2005 caused severe damage to the reservoir.[38]Moreover, Gulou water storage is famous for providing a whole city of Al-Fasher with water. Its population exceeds half a million persons.

4. Karamjay water reservoir case study:

A. location:

Karamjay centre lies about 83 kilometers east of Nyala city the headquarters of Southern Darfur State. It is located about 25 kilometers north east of Shiairiyya city the head of the province, 30 kilometers of Khazzan Jadeed, 15 kilometers of Ghurabbashshay the former seat of the tribes' chieftain, and 20 kilometres south east of Nittaiga. Formerly Karamjay is a small village with population density of about 1000 persons called Krunjay. Its name has been changed to Karamjay after the construction of the reservoir. The new appellation means hospitality. Around it scattered 21 villages which are: Dingiyya, Dalim, Kurtail, Hillat hasab, Dukoor Nazalu, Yuyaye, Sandergay, Dumadya, Shanaabla, Kraib, Brugbrug, Hashaba, Hakkamiyya, Um-Himmaida, Araid, Um-Shool, Miraikha, Mundah, Hillat Al-Baida, Hillat Abdul Raheim Tantunj and Hiwaish.

The research area geology is characterized by sedimentary basin which is made up of Nubian sandstone and Umm Ruwaba formation that have the potential to preserve water supplies.[39]

The research area is located in semi-arid zone. Water is scarce in many places and people suffer much to collect water from remote places where it is available, and where people assemble to obtain and carry it on animals' backs. It is true that some places are exceptional in availability of water as they are located in rich ground water areas besides

([37])Misra, Arun Kumar, *op. cit,* pp. 46 - 48.

([38]) Department for International Development, (25 October, 2007) , *Darfur: Water Supply in a vulnerable environment,* Phase two of Tearfund's Darfur Environment Study, p. 3.
([39]) Department for International Development, *ibid,* p. 1.

the banks of seasonal water courses *(wadis)*. Karamjay, the case of this study, lies adjacent to a valley *(wadi)* that crosses some of its wards, however, water is scarce. Rain water flows off into the valleys *(wadis)*, some water infiltrates deeply, thereby leads to rapid saturation and recharges the basement aquifer of the valley area. The process recurs every year for four months starting from July.[40]

B. target population:

The inhabitants of the villages mentioned before around Karmjay comprise the target population. Although they resemble each other in terms of culture and values, they are originally made of different tribal groups. They are compelled by the pressures of acute lack of water in their areas to think over their situation, and consider questions related to reservoir construction and other outcomes. Economically they depend mainly on dry farming and animal husbandry.

C. methodology:

This study adopts descriptive analytic method to display, explain and interpret the data collected on qualitative bases, which is best to use when participatory approach is accepted as a method and theory. A fieldwork was carried by a research team. Many sources have been utilized to obtain field primary data. Structural focus group interviews were held with fifteen of the inhabitants who have participated in the dam building; this is in addition to three groups of household interviewed on gender segregated focus groups bases. These groups are randomly selected. Other purposive samples were selected for interviews. They are the members of the steering committee that supervised the process of reservoir construction. The mayor (*Umda*, The chieftain) Azzain Bahr Aldeen was interviewed as key figure who initiated and proposed the project, and who have headed the native's steering committee for building the reservoir. Some of the administrators and engineers in Nyala, the headquarters of the region, were also interviewed.

5. Karmjay water storage dam construction:

The majority of the target group obtains water from a thirty metres deep well at Karmjay village before the implementation of the reservoir for a long time not specified by them. They stay sometimes for a complete day in queue, and often wait for water to cluster before extracting since the well is almost silted especially during May and June, and the rest of the groups collect water from other faraway places. In this situation a former headmaster, who was appointed mayor (chieftain) instead of his dead father, thought to change the scene. He proposed construction of water storage dam across the valley, began a dialogue to persuade and convince the inhabitants of the adjacent villages to accept the idea, and to deliver an application for that to local regional authorities in Southern Darfur State. After many sessions these partners reached to terms of consensus.

(40) Department for International Development, *op. cit*., p. 1.

The authorities in the regional state agreed on condition that the beneficiaries and their neighbours through local chieftains in Karmjay, Shairiyya and Ajara pay a sum of five millions Sudanese pounds so that their contribution amounts half the required money. A committee composed of ten men was constituted. They paid their commitment, and a schedule of programme implementation was set up. The roles of each sector, the beneficiaries and the government, are specified. It seems more likely that the necessity and demand accelerated this response and activated participation processes.

Engineers and technicians came early and have determined the site of construction and catchment area. The beneficiaries from all villages assembled to discuss the whole question of water dam construction. Land ownership right is the first to handle since the dam, catchment area and the routes leading to the site are possessions of some people; and associated with land tenure system among the group, and has also to do with social values. Change takes place gradually in the communities, and sometimes it confronts many hindrances that impede its process. It is imperative that it would be hardly feasible to carry change in social values like the codes accepted by the communities in the organization of land tenure system. What happened there is that the land owners made concessions without being paid any price or incentives at the time, but the regional state authorities promised to pay them some lot after finishing dam construction. The instance confirms the credibility of demand responsive approach combined with participatory approach that this study tries to vindicate.

A committee of ten people has been formulated to carry the mission of managing and coordinating the work on the site between the engineers and technicians on one side and the group of beneficiaries on the other. A camp was prepared for the working group in the implementation of the reservoir. Working equipment were provided and food was prepared for the first week. The administrative units of Yaseen, Nitaiga, Mahajriyya, Mirshing, Khazzan Jadeed, Shiairiyya, Labadu and Ghurabbashshay brought sugar sacks to assist in the provision of food and to sell the surplus to get money for the establishment of reservoir operations.

People are divided into groups of tens to participate in the different works in dam implementation. Some are asked to load the vehicles with sand, gravel and stones and bring them to the work site. The selection of these materials is made under the technicians and engineers supervision. These actions have decreased expenditure. There were about 300 persons of the workers in the dam implementation worked on paid bases. Some of them were migrants from these villages returned from Nyala city to participate in the construction as wage workers, most of whom are builders motivated by work opportunities. The construction of the reservoir continued for six consecutive months.

After some time the reservoir capacity was unsatisfactory due to excessive sedimentation and the consumption of highly increased number of population. It was estimated at the time that the quantity of storage water should be increased from 2000 cubic metres to 4000 cubic metres. A new partnership came into focus to solve the

problem of enlargement of reservoir capacity. World Vision, a non-governmental organization, sponsored 500.000 Sudanese pounds to rehabitate the reservoir.

6. Beneficiaries' participation and accelerated community development:

Manifestations of change began to be notified. No sooner had the working groups in storage dam began to arrive than many services had been plotted close the construction area. Restaurants and tea making shops were erected. The beneficiaries, who used to have their meals at home , tried to have them near the project site in order to save time. Time value has been elevated in the cultural value system ladder.

The beneficiaries began to think rationally of providing basic needs and other services within their domain. They began to depart their villages and settle in Karamjay, where the dam storage has been erected. It is only not so long after the implementation of the reservoir that large numbers of people have settled there. The total estimated number reached approximately 15000 persons, that is to say, it increased fifteen times as much as before dam construction. Change seems to be deep and swift in a traditional community where resistance to change is firm. The land owners made concessions, lowered the prices of their assets and sold them to the new comers who prefer to settle near the dam.

When large numbers of those villages inhabitants have arrived, there grew a tendency to organize their new resident besides the reservoir site. Survey teams were brought to plan the locale. The beneficiaries once again participated to share remuneration of village survey. The house area for each person is 500 square metres, and roads have been surveyed. The arrangement of residents were made according to the cultural setting before departure to the new place. All those who had been residing in a separate village are set to reside near each other, and thus there are many wards in the new settlement in Karamjay each one resembles a former existing village, and have been termed with the name of those villages.

The beneficiaries of Karamjay water storage are farmers and animal breeders. They found that their animals could not be brought with them as their numbers are high exceeding ten for each person in many cases. They are over the carrying capacity of the site. This case brought new obligation to the community. Some of their cattle and goats should be left elsewhere or sold. In fact the culture of those people tries to liquidate their fortune that they obtained from crops selling into animals. But they decided to accept change, to sacrifice their fortune, as they may think, in favour of obtaining water, saving time and effort, and enjoy other basic services. Accordingly many individuals have sold their herds and a few not exceeding two or three were kept, and others preferred to keep them out of in the near skirts of their residence. The stock that have been kept in the borders of their were usually brought to the reservoir twice or thrice a week. New occupations appeared, such as shepherds who work on wage bases.

Although many deep rooted changes have taken place in that community, over all change is impossible. Those groups kept to carry their occupation as farmers. They have not changed the place or the type of crops usually cultivated. They still produce sorghum (Dura, Dukhun), sesame and broad beans. Since land tenure systems have not yet been altered, the people who migrated to the reservoir area could not obtain other lands for farming instead of theirs in their old village, they were obliged to keep intact their tradition; and change was hindered. In the rainy season those groups depart to settle in their farms for some time to cultivate their crops.

In winter and after harvesting their crops, people usually stay almost with no rigorous work till the next rainy season. Now that they discovered many areas for production in their new settlement, they began to carry some new secondary occupations. Some of the target group began to grow vegetables in the periphery of the reservoir such as okra, tomato, watermelon and muskmelon. Change in the diet system took place. Formerly fresh vegetables were part of the meal in the rainy season, and few kinds are part of the meal through the rest of the year. They were planted in an area adjacent to the house under the care of women, called (Jubraka). The current practices show that vegetables are planted by men, and that the role of women has stopped.

Accompanying this accelerated change in introducing new occupations in Karamjay, brick making started near the water reservoir dam. Instead of thatch the common and sole material for cottage and fences construction, bricks soon began to shape some inhabitants' houses. Different social classes began to be discerned. Dependency on family and relatives decreased, this led to creative thinking among groups to fetch new areas of production, or carry some other vocations as secondary occupations. Camels that have been used for transportation of farm production were sold due to the exhaustive carrying capacity of the reservoir area, in addition to the threatens of thieves and smugglers. In return carts drawn by donkeys or horses substituted those means of transport. Trucks also became available as Karamjay market has flourished.

The economic part of life is not the only affected system, the services also found much care. Participation is the means through which the beneficiaries sought to attain community development. The lessons learnt from storage dam helped them to initiate, organize, operate and implement new programmes in services sector. Hence a two classes and an office were built for a new a school, a health unit service was constructed, a mosque was built; and police office was opened. The market area was surveyed. Girl pupils who spent much of their time seeking water have found ample time to attend school, and boys, who look after herds, have regular attendance in schools as most of those herds were sold. Some of the beneficiaries found some jobs in these community services institutions. Safe drinking water is targeted in Karamjay. Hence four hand pumps wells were implemented in different locations in the village. These wells were dug due to the shallow water table as water infiltrates from the water storage.

7. Conclusion:

This study reached to the following conclusions:

- **a-** Participatory Approach is one of the best theories and research methods used in providing and implementing community development programs, especially when there is a sense of ownership of the programme and realization that it serves the benefits of the whole group.
- **b-** Community development programmes which are based on demand responsive projects especially water harvesting ones, lead to adoption of new and other service projects as they help foster creative thinking.
- **c-** It is, therefore, not only the application of community participation as research theory and method to generate sustainability and introduce new programmes to accelerate development, it is the combination of that approach with demand responsive approach that can provide the required goals. In other words, it is not the theory, method and research area as the paradigm of community participation depends on, but it must include the research topic which is demand responsive to the beneficiaries that may be called "effective participation approach".
- **d-** Participation of the beneficiaries supports individuals' solidarity, and increases their active contribution that leads to programme completion and smooth change in some cultural traits and values. It further stimulates ideas to introduce new community development, seeks acquisition of new skills, and opens avenues to play roles that have not been practiced before.
- **e-** The success of community development projects by community participation leads to the adoption of other new projects, especially if the project is demand responsive. The success of constructing a dam across a valley to provide water in Karamjaj village, the case study, led the beneficiaries wavier some of the values associated with land tenure, adhere to decamp for residing in the villages around the project site, live with other groups there. The school, the health centre, the police office, the mosque and the market are but essential needs that Karamjay community has established. Therefore, the more the services pose higher degree in the communities' requirements, the more active is the involvement of the community.
- **f-** The results of community development programs in Karamjay village can be used in many instances, especially in sub-tropical areas, and that water harvesting operations are the most influential in the acceleration of development processes which need substantial political support and backing from the states.

- References:

(1) Chambers, Robert, (1994), The Origins and Practice of Participatory Rural Appraisal, in *World Development*, vol. 22, No. 7, p.953.

(2) Department for International Development, (25 October, 2007) , *Darfur: Water Supply in a vulnerable environment*, Phase two of Tearfund's Darfur Environment Study,

(3) Faillace, Costantino, (Aug. 2008), *Water Development in Semi-arid Land with a Focus on East Africa*, Symposium on Sustainable Groundwater Development for Small Villages of Underdeveloped Communities by Simple, Low-cost Technology. Oslo.

(4) Keller, Andrew, et.al. (2000), *Water Scarcity and the Role of Storage in Development*, Research Report 39, International Water Management Institute (IWMI), Colomb, Sri Lanka.

(5) Kelly, K. and Vlaenderen, H. Van,(1995), Evaluating Participation Processes in Community Development, in *Evaluation and Program Planning*, vol. 18: (4), pp. 371-374.

(6) L., S. Rautanen, et.al. (2014), Community-driven Multiple Use Water Service: Lessons Learned by Rural Village Water Resources Management Project in Nepal, in *Water Alternatives*, 7 (1): pp. 160-177.

(7) Misra, Arun Kumar, (Aug. 2011), *Towards Drinking Water Security in India: Lessons from the field*, Water and Sanitation Program, Roots Advertising Services.

(8) Nissen-Petersen, Erik, (2006), Water from Small Dams, The Royal Danish Embassy, (Danita), Kenya, retrieved from *www.Waterforaridland.com*, retrieved on 13 Jan. 2015.

(9) Roaqrk, Philip, et.al. (Nov. 1989), *Developing Sustainable Community Water Supply System, Key Questions for African Development Foundation Applications*, WASH Field Report No. 270, ADF Working Paper Series No. 4, Washington , DC.

(10) Sara, Jennifer and Travis Katz, (n.d.), *Making Rural Water Supply Sustainable*, Report on the impact of project rules , UNDP-World Bank Water and Sanitation Program, in www.wsp.org, retrieved on 25 Jan. 2015.

(11) Stephens, Tim, (2010), *Manual on Small Earth Dams: A guide to siting, design and construction*, Irrigation and Drainage Paper 64, Food and Agriculture Organization of the United Nations, Rome.

(12) United Nations General Assembly (28 July 2010), *the human Right to Water and Sanitation*, Resolution adopted (A/RES/44/292).

(13) United Nations, Johannesburg Summit, (2002), Facts sheet, World Summit on sustainable Development, New York.

(14) Zadeh, B. Saheb and Nobaya Ahmad, (Jan.2010), Participation and Community Development, in *Current Research Journal of Social Sciences*, 2(1): pp. 13-14.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

English in Libya and the Need for EAP

Dr. NAji M. El-Hemri

(M.Ed., M.A., Ph.D. (applied linguistics) Dept. of English, Faculty of Arts, Benghazi University)

English in Libya and the Need for EAP

Abstract:

English as a school subject enjoys a very distinguished status within the Libyan education system both at the pre-university and the university level. This type of distinction stems from the role that said language plays at those levels. This paper addresses the need for a special type of English i.e. English for Academic Purposes ' EAP' that is felt to be needed to be inserted in the pre-university English language syllabi. Establishing this need is based on the researcher's own 35 years experience of university teaching as well as his Ph.D. thesis (2000) that used a field research regarding using English a s a medium of instruction in both faculties of medicine and faculties of engineering in the Libyan universities.

This article comes in two sections: (1) Section one is a brief literature review of the origins of ESP as the main umbrella that accommodates EAP, the reasons for EAP emergence, and the types of EAP. (2) Section two reviews the importance of inserting EAP within the Libyan pre-university educational system.

- **Introduction**

Almost everybody knows that English enjoys a very important status within the Libyan educational system. A fact that stems of the very prominent role that English plays not only as school subject at the pre-university stages but also at the university level as a medium of instruction in most applied science faculties. By instruction, here, I do not only mean the language of lectures and lecturers but also the language of most the educational written material used in the said faculties. This paper addresses a topic closely related to the role that English plays as a medium of instruction at the university level i.e. English for Academic Purposes 'EAP'. EAP is a sub-branching of English for Specific Purposes known in the circles of applied linguistics as 'ESP'.

- **The Origin of ESP**

Perhaps it is difficult to pinpoint the exact origin of ESP and the exact date and place of its first emergence. However; ESP did not emerge for nothing. Therefore, we need to identify the reasons for its emergence to have a convincing background for its existence and its ever increasing impact on the language teaching/learning process. Hutchinson and Waters (1987) identify three obvious reasons for the emergence of ESP. They are: the new world with its very peculiar demands, the revolution that took place in the fields of linguistics and language learning, and the awareness that led to focusing on the learner's needs.

The post Second World War revolution that took place worldwide resulted in an expansion in the fields of science and economics. Almost all the activities related to this expansion and revolution were in need to a language that would cope with this fast moving spheres of science and technology. Needless to say that English was the immediate and obvious fulfillment of such a need due to the fact that most economic and technological activities took place in an English speaking country i.e. the United States of America. In acknowledgement of this; Hutchison and Waters (1987:6) say that the said huge changes brought with it an "… age of enormous and unprecedented expansion in scientific, technical and economic activity on an international scale. For various reasons, most notably the economic power of the United States in the post-war world, the role fell to English." Hutchinson and Waters (ibid.) continue to state that this resulted in placing pressure on the language teaching profession to come up with the required and proper response to accommodate the newly arising need for ESP. Gatehouse (2001:2) says that "the second key reason cited as having a tremendous impact on the emergence of ESP was a revolution in linguistics." Hutchinson and Waters as cited in Gatehouse (200:2) emphasize this required change when they say "one significant discovery was in the ways that spoken and written English vary." They (ibid) go on to state that this discovery led to more significant change, as far as ESP is concerned, when they say "This idea was taken one step further. If language in different situations varies, then tailoring language

instruction to meet the needs of learners in specific contexts is also possible." The third and final reason for the emergence of ESP as stated by Hutchinson and Waters (1987) as cited in Gatehouse (2001:2) is related to linguistics and psychology. To clarify this, they say

> Learners were seen to employ different learning strategies, use different skills, enter with different learning schemata, and be motivated by different needs and interests. Therefore; focus on learners' needs became equally paramount as the methods employed to disseminate linguistic knowledge. Designing specific courses to better meet these individual needs was a natural extension of this thinking. To this day, the catchword in ESL circles is learner-centered or learning-oriented.

All the above stated reasons for the emergence of ESP are summarized in a number of lecture notes by Lowe (2009:1). Lowe's account of the said reasons can be summarized more as follows:

A. The Demands of a Brave New World, post WW2 'This is Lowe's title'.

1. The huge sudden expansions in the fields of science, technology and economics.

2. The dominance of English as a medium of instruction in fields of science and business.

3. Awareness of new generations of English language learners who knew why they need English.

4. 'Time and money constraints created a need for cost effective courses with clearly defined goals'. Here Lowe (ibid.) relates what he says to Hutchinson and Waters (1987:7).

5. The teaching of English expanded outside the educational institutions and consequently teachers became accountable in front of whoever pays for the concerned courses, i.e. positive results were expected.

B. Advances in the field of linguistics and language teaching.

1. Emphasis on language in the real world i.e. the communicative approach.

2. The effect of the belief that language varies according uses and situations. This, of course, led to the need for concentrating on the features of the language of each specific field.

C. Emphasis of psychology

This meant taking into consideration learners' attitude in learning as well as their needs.

- **Types of ESP**

From the theoretical point of view, ESP has different types and orientations that deserve being looked at to have a full view of what ESP is and is about. ESP courses themselves come in different types to serve different needs. Therefore; one needs to make a clear-cut distinction between the various types of ESP. Robinson (1991:2) touches this side when she says " a major distinction is often drawn between EOP (English for Occupational Purposes), involving work-related needs and trainings, and EAP (English for Academic Purposes), involving academic study needs." It is this branching of ESP that is to be reviewed more thoroughly later in this paper to show how much need there exists for using it in English at the secondary level so that our students are well-prepared to cope with a situation where English is used as medium of instruction in some of the applied science faculties in most Libyan universities specially in engineering and medicine.

It is obvious that for avoiding overlapping of views regarding what ESP is and is not, we need to pinpoint what are the criteria to ESP. Emphasizing this, Robinson (ibid.:2) says "… it is not uncommon to find courses which the organizers wish to think of as ESP courses but which do not appear to fit these criteria." She (ibid.:2-3) goes on to establish a number of criteria the presence of which would guarantee that the course is a real ESP one. Robinson (ibid.) criteria can be summarized as follows:

1. An ESP course must be goal-oriented.

2. An ESP course is based on needs analysis.

Robinson (ibid.) goes on to state features that are not seen as criteria but can be seen as characteristics that distinguish ESP courses from other types of English language courses. These are: (a) normally an ESP course is for a limited period of time, (b) the students are usually adults rather than young, and (c) the target students are not usually beginners, i.e. an ESP course student must have a reasonable general English background.

Seeing it from another angle, Gatehouse (2001:3) as cited by Carter (1983) identifies three types of ESP that can be summarized as follows:

1. English as restricted language

This type is a repertoire required by a specific kind of learners to be used in a specific type of situations and therefore; cannot be viewed as a proper preparation for

communicating in situations other than those identified and rehearsed in the pre-determined situations.

2. English for academic and occupational purposes

This is the type that provides courses that are designed to serve those who need English for preceding their education in situations where English is the medium of instruction or for use in specific situations where English is being used in particular way or type of communication.

3. English with specific topics

This is the type in which, as Carter (1983) as cited by Gatehouse (2001:4) sate, the communicative situations are anticipated as future needs for the targeted learner. Basing on Carter, Gatehouse (ibid.) says "This type of ESP is uniquely concerned with anticipated future English needs of, for example, scientists requiring English for postgraduate reading studies, attending conferences or working in foreign institutions."

- ## The Need for EAP

It is a well-established reality that most of the teaching/learning process in institutions of medicine, science, engineering, technology, etc orientations take place through English as a medium of instruction. Those who are usually in charge of designing or even choosing syllabi for the Libyan secondary education do not seem to pay enough attention to the above-stated reality. At this point, it has to be highlighted that the currently used textbooks do contain some instances of orientation toward applied science especially in the reading comprehension passages. However, the researcher sees this as by no means enough for preparing target students to cope with a situation where English is the medium of instruction upon joining university. Therefore; a new dimension needs to be created in the teaching/learning process regarding English as school subject within the Libyan secondary school system. This is said because we need to cater for the obvious need for the ability of using English as a medium of instruction. Emphasizing this, Wilmot (1985) as cited in El-Hemri (2000:67) says: "In recent years, the teaching and learning of English as a foreign and second language has expanded in specific directions, relatively a much longer growth area than the more traditional and general, or literary English." This is what the researcher meant by saying that a new dimension needs to be created in the English language teaching/learning process within the Libya secondary school system.

To put things in a more specific prospect, let us raise this question 'What is EAP?'

What's EAP?

As ESP can be viewed as a sub-branching of the English language teaching/learning process, EAP, in turn, can be viewed as sub-branching of ESP. As cited in El-Hemri (2000:69), in his taxonomy of ESP, Strevens (1977) made a distinction between two types of ESP. They are 'Occupational' and 'Educational'. Hirvela (1977) as cited in El-Hemri (ibid.) mentions that Strevens (1977) subdivided ESP into different types one of which was 'discipline-based' where target learners are provided with a course contents that concentrate on a specific discipline, medicine, engineering, etc. This is the spirit of EAP. Kennedy and Bolitho (1984:4) clarify this further when they view EAP as a sub-branch of ESP which is "taught generally within educational institutions to students needing English in their studies. The language taught may be based in particular discipline at higher levels of education when the student is specializing (in-study) or intends to specialize (pre-study) in a particular subject."

The above citation highlights the idea of serving a specific need when an EAP course of study is conducted. Emphasizing serving the academic need of the target learner is highlighted by Coffey (1984:4) when he says that an EAP course is a language course the aim of which is to "… to satisfy a student's need for a quick and economic use of English language to pursue a course of academic study."

To relate the issue of serving the target learner's needs, one would say that it is this kind of language courses or syllabi that are needed to equip our students at pre-university level with the very much needed ability to handle the situation of using English as a medium of instruction upon joining faculties of applied science.

Do we really need EAP?

A Ph.D. study conducted by El-Hemri (2000) used questionnaires to investigate whether EAP really needs to be inserted in the Libyan Educational System. He used three questionnaires, for secondary school students, university students and teachers in addition to interviewing of faculties of Engineering and Medicine lecturers. The questions in each questionnaire came in the forms of statements with which the targeted students express their agreement, disagreement, or being undecided. Statement no. 22 in the secondary school students questionnaire reads as follows "As English is the medium of instruction in many applied science faculties in most Libyan universities, I think that my present level in English is good enough for me to be able to cope with studying in such faculties." The students' response to this statement came as follows: 79.9% disagreed, 10.9% agreed while 9.2% were undecided. This type of believe is repeated in the same students response to statement No.24 which reads "The teaching materials I get in the school represent a sufficient teaching of EAP." The response to this statement came as follows:

68.7% of the students disagreed with the statement, 20.6% agreed with it, while the remaining 10.7% were undecided. The same attitude echoes again in the same students' response to statement No.26 which reads as follows: "The teaching materials I get in the school meet my need for English at the university." The students response was as follows: 71.0% disagreed, 12.2% agreed and the remaining 16.8% were undecided.

One section of the secondary school students' questionnaire was regarding reasons for studying English in addition to the obvious reason of English being a school subject. Statement No. 53 of the said section reads as follows: " I study English because it is very important for studying in applied science faculties where English is the medium of instruction." 79.5% of the students expressed their agreement with this statement, 11.5 disagreed with it while 9.0% were undecided.

The above stated were the views of about 1091 students who were covered by the questionnaire in the three cities of Benghazi, Tripoli, and Sebha. The reader may argue that these were views of students who were yet to join the universities and therefore their views may be seen as impressionistic and do not necessarily represent the situation as it is at the university. These views were double-checked by another students' questionnaire conducted at faculties of engineering and medicine where English is used as medium of instruction. The said questionnaire yielded the following results: statement No.15 reads as follows: "As English is the medium of instruction in my faculty, when I joined the university my level in English was good enough for me to cope with such a situation." The students response to this statement was: 65.3% said that they disagree, 23.1% said they agree, and 11.8% were undecided. This view was indirectly consolidated by the students' response to statement No. 24 which reads "The teaching materials that I had in secondary school represented a sufficient input for using EAP at the university." The students' response to this statement was: 69.3% disagreed, 22.2% agreed, and 8.5% were undecided. Yet another confirmation of lack of proper secondary school training on using English as a medium of instruction came from the same students response to statement No.35 which reads "English was the main problem that had to face when I joined the university" The students' response was as follows: 59.7% agreed with the statement, 26.3% disagreed with it and 14.0% were undecided. This response was immediately confirmed by the students' response to statement No.36 which reads "My limited ability in EAP represented a serious threat to my university technical education." The response to this statement was as follows: 45.0% agreed with statement, 36.7% disagreed with it and 18.3% were undecided.

A further confirmation of the students views came from lecturers of engineering and medicine who were interviewed as a means of a supplementary evidence of EAP being needed at the secondary level. The following excerpts were taken from the said lecturers:

One of the lecturers, referring to his students, said "They have never been prepared for such a situation" by 'situation he was referring to using English as a medium of instruction. This was confirmed by another lecturer who, referring to the same students in the same situation, said "highly intelligent, very motivated, and very hard working but their level of English is appalling." Yet another lecturer confirmed the fact that many students saw their very poor ability for using English as a medium of instruction as a threat to their university technical education when he said "many students drop out to go to faculties where English is only a taught subject." A fourth English speaking lecturer pointed out a more general handicap in English when he said "…I always feel that enjoying dealing with the friendly and very nice personalities of my students is usually hindered by their poor command of English and my lack of command of Arabic." The same lecturer continues to highlight the scope of the problem of the students being hindered by their poor command of English when he says "We listen for a certain purpose or purposes. Students mostly listen to understand. For them understanding is hindered by the use of medical and other scientific terminology. We try to simplify the language we use as much as possible, but there are always key words and idioms that cannot be avoided."

The above views of the students at both secondary and university levels and the university lecturers of engineering and medicine prove beyond any reasonable doubt that a strong need is felt for EAP at the secondary level to alleviate the burden of using English as a medium of instruction upon joining the university.

- **References:**

Coffey, P. (1984)-ESP: English for Specific Purposes in Jordan (1989).

El-Hemri, N.M. (2000)-English in the Libyan Secondary School: The Need for a Communicative Discourse-based EAP Syllabus. Unpublished Ph.D. Thesis, The University of Manchester, UK.

Gatehouse, K. (2001) Key Issues in English for Specific Purposes (ESP) Curriculum Development. The Internet TESOL Journal, Vol.VII, No.10, October 2001

Hirvela, A. (1977) 'Disciplinary Portfolios' and EAP Writing Instruction-ESP Journal, Vol.16, No.2 pp 83-100

Hutchinson, T. and Waters, A. (1987) English for Specific Purposes: A Learning-Centred Approach. Cambridge University Press.

Lowe, I (2009)-What Is ESP? WWW.scietificlangugae.com/esp/whatisesp.pdf

Jordan, R.R. 1989- English for Academic Purposes (EAP), State of the Art Article, and Language Teaching, 7/1989, Cambridge University Press.Robinson (1991) – ESP Today: A Practical Guide. Prentice Hall International, UK Ltd.

Strevens, P. (1977) New Orientation in the Teaching of English. Oxford University Press.

Willmot, M.B. (1985)- Modern Perspective in Teaching English as a Foreign Language with special reference to University Education Unpublished Ph.D. Thesis.